

كيحل البشير
جامعة ابن خلدون
-تيارت-

قرطاجة و الممالك النوميدية

دراسة في التأثير و التأثر

814 ق.م-146 ق م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء





قائمة المختصرات:

- Afr. rom : L'Africa romana.
- A.M.G : Arts et métiers graphiques.
- A.P.C : Annuaire de province de Constantine.
- Ant Afr : Antiquités Africaines.
- ARA : The Association for Roman Archaeology.
- B.A.A : Bulletin d'Archéologie Algérienne.
- B.C.T.H.S : Bulletin archéologique du Comité des travaux historiques et scientifiques.
- BAC : Bulletin archéologique du comité des travaux historiques et scientifiques.
- C.I.S : Corpus d'inscriptions Semiticarum.
- C.R.A.I : Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et belles-lettres.
- Enc. Berb : Encyclopédie Berbère.
- H.A.A.N : Histoire ancienne de l'Afrique du Nord.
- Libyca Arch. Epig : archéologie – Epigraphie.
- R.A.A.F : Revue de l'année d'Algérie en France.
- R.Afr : Revue Africaine.
- R.G.B.H : Revue Les grandes batailles de l'histoire
- R.T : Revue Tunisienne.
- Reppal : Revue des études phéniciennes puniques et des antiquités libyques.

المقدمـــــة

عُني المؤرخون والباحثون وقتاً طويلاً بالتاريخ السياسِي والاقتصادي لبلادِ المغرب القديم، وأعْمِلوا البحث في مراحله المختلفة، حتّى خُيّل لأمثالي ممن كان تستهويهم هذه الفترة من تاريخنا بما فيهـــا مـــن ممالك وملوك ومدن وغيرها، أنّ تاريخنا ما هو إلا حلقات متواصلة من الصراع بحثـا عــن التحــررِ والاستقلال، متجاهلين الجانبَ الحضاري وخاصةً الجانب العقائِدي الرُوحي منه.

يعد الجانب الروحي من الجوانِب التي لا يُمكن لأي باحثٍ إغفالها عند دراستِه حضارة الإنســانِ القديم، فهُو يعتبر مرآة عاكسة لتطور الانسان ومجالٌ يستقطِبُ نشاطاتِه الروحيةِ والفكريةِ؛ هذا الجانب القائم على أساس الدين، وانطواء القلبِ للمعبود ولجوئه له في رخاءٍ وشدةٍ، إضافةً الى الطقوسِ الجنائزية والمباني الدينية التي مُورست و بُنيت بطرق وأساليبٍ مختلفة، لذلك لا يمكننا فهم الانســانِ القــديم اذا أهملنا دراسة ديانته، ولا يمكننا استيعابِ المراحِلِ الكُبرى في تاريخِ حضارة ما استيعابا تامًا، اذا تجاهلنـــا آلهته ومؤسسَاته الدينية التي كانت في القديم عامِل تطورٍ لا عامِل هدم.

إن أهمية موضُوعي كامِنة في تفردها بتناول الحياة الدينية فقط في نوميديا كجانب حظاري مهـــم، دون التطرق الى الجوانب الحضارِية الاخرى، فالدّين في نُوميديا لم يأخذ بنصيبِه الكبيرِ مـــن الاهتمـــام خاصة الفترة التي سبقت قدوم الفينيقيين، عكسَ اهتمامِ الباحثين الكبير بالجوانب السياسية والعســكرية والاقتصادية، يضاف الى ذلك رغبتي في إثراء الجانب العقائدي من تاريخنا القديم بآلهته وطقوسِه الجنائزية والدينية، ومعابده وأضرحته، والتي لايزال الكثير منها ماثلا حتّى وقتنا هذا، مع إيضاحِ المعتقدات المحلية الأصلية، والتي مارس أغلبُ المؤرخين الغربيين طمسًا لها، بعدما أدمجُوها في معتقدات الحضـــاراتِ الـــتي وفدت إلى شمالِ افريقيا، والتي كان للحضارة القرطاجية النصيبُ الأكبر فيها، وهو ما أدى إلى غموضها و صعَّب كثيرا تأكيد أمر محليتِها أو أجنبيتها، لذلك سأساهم في التفريق بين المعتقد الأصيل والدخيل .

و بهذا فالمعتقداتُ النُوميدية في تِلك الفترة، كانت شبه هجِينةٍ وُلدت فيها العديــدُ مـــن الآلهـــة والطقوسُ والشعائر الجنائزيةِ المميزة، لذلك عنونتُ بحثي بـــ :

الحضور البوني الديني في نوميديا 814 ق.م/ 146ق.م

في محاولة للإجابة عن جملة من التساؤلات من أهمّها : ماهي المعتقداتُ الدينية المحلية التي مورست في بلاد المغرب القديم والالهة التي كانوا يعبدونها قبل انشاء قرطاجة ؟. كيف ساهمتْ مختلف العلاقات النُوميدية القرطاجية (إقتصادية، إجتماعية، عسكرية...) في إنتقالِ التأثيرِ الديني ؟، وأخيرًا ماهي مظاهر هذا التأثير؟.

الجدير بالذكر أن بحثِي هذا قد قُسم الى اربعةِ فصول شملت عناوينًا فرعية من أجلِ الإجابـــة على الإشكالياتِ التي طرحتُها آنفا، وزعتها على النحو التالي:

- أوّلـــها **الفصل التمهيدي** والذي عنونته بـــ : **قرطاجة والممالك النوميدية لمحة تاريخية**، وضمن هذا الفصل تطرقت الى :

الفينيقيين : أشرت الى موطنهم الأصلي الذي قدموا منه قبل استقرارِهم في السّاحل الســـوري ثم أهـــم العوامل التي دفعتهم الى ارتياد البحر وانشاء المحطات التجارية وصولا الى السّاحل الغربي للبحرِ الابيض المتوسط ،ثم انشائهم لمحطات تجارية على طول سواحِلِ المغربِ القديم، وأخيرا قـــدمنا تاريخـــا مـــوجزا لقرطاجة أهم مدنهم في الغربْ تطرقنا فيه الى تطورِها التجاري ثم انفصالِها عن صُور وتزعُمها المراكِـــز الغربية وختمناها بعلاقاتِها المختلفة مع السكان المحليين والاغريق وروما والتي انتهت بتدميرها وازالتـــها عن خارطة التاريخ في سنة 146ق.م؛ **النوميديون** : بينتُ التطور التاريخي للاسم ،ثم تطرقِ المصـــادر التاريخية للممالِك التي تشكلّت بالإشارةِ الى التقسيم الحاصلْ مع ذكرْ الحدود والاوضـــاعِ الاجتماعيـــة والاقتصادية والسياسية للمالك النُوميدية في شكل مقتضبٍ، وختمتُ الفصلَ التمهيدي هذا بإيجازِ أهـــم الملاحظات والنتائج التي توصلنا اليها.

- أما **الفصل الأول** جعلته بعنوان: **الطُقوس الدينية والجنائزية والمقدسات النوميدية قبل انشاء قرطاجـــة (814 ق.م)**، خصصتُه لدراسةِ العاداتِ الجنائزية التي عرفها النوميديون قبل إنشاء قرطاجة، مركزا على:

– **عادات الدفن المختلفة** كالدفن في الكُهوفِ والمغاراتِ في مرحلـــةٍ أولى، ثم اســـتعمالِ الحوانيـــت والجثاوي والدُولمن والدوائِر الحجرية وأخيرا الشُوشات في مرحلةٍ لاحقةٍ،– **تقديم القـــرابين** المختلفـــة الحيوانية والغذائية لمختلفِ المقدساتْ، وأخيرا –**مختلف المقدسات الطبيعية والحيوانية** كالشمس والقمر والجبالِ والأشجار...، إضافة الى تقديسِ الثيران والكباشِ وغيرهِما من حيواناتِ المِنطقة.

وقد ختمتُ هذا الفصل بأهمِ ما وصلتُ اليه من نتائِجِ.

- أما **الفصل الثـاني** فكانَ بعنوان : **دور العلاقات القرطاجية النوميدية في نقـــل التـــأثيرات الدينية**، وقد تضمن:

أولا: خُلاصة المعتقدات القرطاجية من الطقوس الدينية والجنائزية و الآلهة، و التي انتشرتْ في قرطاجة والمستوطنات التابعة لها، **ثانيا: دور العلاقات التاريخية** الممثلة أساسا في احتمال تطابق أصول الفينيقيين والنوميديين، على اعتبار أن بعض المؤرخين رجَّحوا أصلهُم السامِي، إضافة الى طولِ مـــدة الاســـتقرارِ القرطاجِي بشمالِ افريقِيا، هذه المُدة التي أمنت تمازجًا جيّدا بين الشعبين، و **العلاقاتِ الاقتصـــادية** الـــتي

بدأت في شكل بسيط مثلته المقايضة، لتتطور فيما بعد الى تعامل منظم ودائم حول أهــم المُســتوطناتِ المنتشرة على الساحل النوميدي، **أما العلاقات العسكرية** فظهرتْ في التحالِفِ المتقطع بين الشعبين، وما صاحبه من اشتراك عدد كبير من النُوميديين في الجيُوش القرطاجية، وفي حروبها، وهو أمرٌ سهل احتكاك الافراد وتبادل التأثيراتِ خاصة الدِينية منها،كما أن **العلاقاتِ الاجتماعية** خاصةً المصاهرة التي شملــتْ في مرحلة أولى الطبقاتِ الارستقراطِية، ثم توسعت الى باقِي طبقاتِ الشعبين كانت هي أيضا مــن أهــم أسباب انتقال المعتقداتِ من طرفٍ لآخر. وساهمتٍ مساهمةً كبيرة في إكمالِ بنــاءِ الحضــارةِ البُونيــة الوليدة.

وفي نهاية هذا الفصل قُمت بتقديم عددٍ من أهم النتائِج التي توصلتُ اليها.

- وفي **الفصل الثالث** الذي كان بعنوان: **الآلهة والطقوس الدينية والجنائزية البونية في نوميديا،** وقد ركزتُ فيه على أهمِ الاهين نتجَا عن التمازج وهما بعل حمُون وتانيت وجهُ بعل، مبرزا أصــولهما وخصائصهما وأماكن انتشارهما، إضافةً الى أهم القرابين التي قُدّمت لهُما، ثم شرحتُ في موضع آخــر أهم الطقوس الدينية القرطاجية في نوميديا، بدءًا بالطقــوسِ الدينيــة والقرابين المختلفة خاصةً البشرية مِنها وانتهاءا بالطقُوس الجنائِزية، ثم أفردتْ جزءا أخيرًا من هذا البحث حاولتُ فيه أن أبــين مواضِــع التأثير القرطاجي في الأضرحة والبناءات الدينية النُوميدية كضريحِ المدغاسِن، الخــروب وغيرهمــا مــن الأضرِحة.

و نهاية هذا الفصلُ تضمنتْ بعض النتائجِ التي وصلتُ إليها في هذا الجزء من البحث.

وفي نهاية الدراسة أجملتُ في **الخاتمة** بعضَ النتائجِ التي توصّلتُ إليها، ثمّ ألحقتــها بــبعضِ الملاحِــق والفهارِس تعميما للفائدة.

وقد جمعتُ بين عددٍ من المناهج في بحثي هذا، فقد أعملتُ المنهج التاريخِي عند ســردِ الأحــداث والوقائع،كما إستعنتُ بالمنهج الوصفِي عندما يستدعِي الأمر تبيين مشاهِد الآلهــة أو رمُوزهــا علــى الأنصابِ، والمنهج المقارن على إعتبارِ تعددُ الرواياتِ واختلافِها حول المسالةِ الواحِدة، خاصــةً عنــدما يتعلقِ الأمرِ بأصُول بعض الطقوسِ أوالآلهة.

ولابدّ من الإشارة أيضا الى أنّه قد صادفتني بعض الصعوبات من صميم بحثي هذا،كعدم القدرة على الوصول الى بعض المراجع المهمّة امّا لندرتها أو لجهلي بطبعها من عدمه، يضاف الى ذلك الصعوبة الــتي وجدتها عند تحديد مواضيع بعض المشاهد الصخرية عند دراسةِ المعتقدات النوميدية الباكرة نظرا لقلــة

الخبرة من جهة واختلاف المتخصصين حولها من جهة أخرى، وإن كنتُ لا أجرؤ على تبرئة نفسِي من بعض الإهمالِ الذي فرضته ظروفُ الحياةِ العمليةِ والاجتماعيةِ.

اعتمدت في دراستِي هذه على جملةٍ من المصادر والمراجع بدرجاتٍ متفاوتة، على حسب أهميتها ومعالجتها لموضوع الدراسة ومنها:

*- **المصادر الكلاسيكية**: وتميزت عمومًا بشحِ معلوماتها وتقطعها، بل وتناقُضها في مواضعٍ عديدة، نظرا لأنها كتبت عند احتكاك النوميديين أو القرطاجِيين بدولِ كتابها، ونذكُر أهمها في إشارات كل من **هيرودوت Hérodote** في تواريخه «**Histoires**» الى بعض المعلومات عن سُكان المنطقة الـتي عُرفـت بنُوميديا، وبعض الالهة والطقوسِ التي مارسُوها،كما ذكر الحيواناتِ التي كانت محل تقـديس، وهـي إشارة هامة جدا خاصة إذا رجَّحنا احتمال زيارتِه لليبيا، واعتمد البحثُ أيضا على بعضِ الأخبارِ الـتي نقلـها كـلٌ مـن **ديـودور الصـقلي Diodore de Sicile** (**80- 20** ق.م) صـاحب «المكتبـة التاريخية، **bibliothèque.historique**» الذي تطرق الى الشُعوبِ التي سكنت المنطقة،كما أشـار الى بعض من الهتهم وعاداتهم التي تهم الجانب الدِيني كطُرق تقديم القرابين، و**جوستان Justin** الذي أفـادني في كتابِه «تاريخ العالم، **Histoire.universelle**» عـن أصُـول الفِينيقـيين، وأسـطُورة تأسـيس قرطاجة،كما أفادتني أيضًا بعض الاشاراتِ عن المعتقداتِ البُونية في كتب كل مـن **بوليبيـوسPolybe** (**210 – 122 ق.م**) «التاريخ، **Histoire** » و**تيتوس ليفيوس Tite-Live** (**59** ق.م **ــ 17** م) «التـاريخ الروماني**Histoire.romaine**» عند دراستِي للعلاقاتِ التي جمعت بين القرطـاجِيين والنوميـديين، ولا أنسى إشارات القدّيس **أوغسطينوس** (**354 ــ 430** م) أسقف مدينة عنابة الذي تحدثَ عن استمرارِ بعض العاداتِ الدينية الوثنيةِ في زمانه وسطِ النوميديين.

كما أشير كذلك إلى مجمُوعة من المصادرِ مثل كتب سالُوست **Saluste** (**Catilina Jugurtha**) وجغرافية سترابُون**Strabon (géographie)** .

*- **المصادر المادية والنقائشية**: وقد كانت متنوعة، ففي المعتقدات الباكِرة مثلت الرُسوم الصخرية بالتاسيلي وبالأطلسِ الصحراوي خصوصًا أهم مصادِرِ البحث المادية، يضافُ اليها أيضا المدافِن البدائية الأولى و الأنصابِ النذرية والجنائِزية التي انتشرت في الشمال عمومًا والشمالي الشرقِي المحاذي لقرطاجة بشكل خاص، والتي جمعت المكتشفة منها في كتب خاصة كمُدونة النقُوشِ السامية (**CIS**)، والكتاب الثاني لأندري بارثييه (**le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine**)، إضافة الى نشـر

المكتشفاتِ الجديدة في دورياتِ مُتخصِصة كسيميتيكا (**Semitica**)، ودورية كارتــاقو (**Karthago**) ومجلة (**Reppal**) وغيرها.

*- **المراجع الحديثة**: اعتمدت أيضا على ابحاث عديدة لجُــون لــوكلاك (**Le Quellec J**) الــذي تخصُص في تفسير الرموز الدينية التي حملتها الرُسُوم الصخرية، خاصة في موضــوعِ تقــديس الــثيران والأبقار، وأبحاث موريس لوقلاي (**M Leglay**) و رنيه باسيه (**Basset R**) الهامة، والتي كانت مــن أكثر المصادرِ التي اعتمدتُ عليها، وترجعُ أهميتها لأنّ صاحِبه تطرق الى خصائِص ساتُورن وقارن بينها وبين الاله البوني بعل حمون، لذلك فقد تكررت في هوامِش هذا البحث كثيرًا، شأنُها شأن المقالاتِ التي نشرت في المجلاّت التارِيخية والأثرية المُتخصِصة على مدارِ قرنٍ ويزيد.

يضافُ الى ذلك،كتاباتِ ستيفان قزال الكثيرة (**St.Gsell**) خاصة ما احتواه مصنفهُ التاريخ القديم لشمال افريقيا، خاصة الأجزاء الأربعة منه، واستفدتْ أيضا من الكُتــب الهامــة لقبريــال كــامبس (**G.Camps**) كالنوميديين والحضارة البونية، وأصُول البربر، وغيرهما مــن المقــالاتِ والكتب،كمــا اعتمدت أيضا على كتاب البربر على هامشِ التاريخ لجيلبر شارل بيكار(**Picard CH.G**)، **وكتب كل من محمد فنطر وموريس لوقلاي(Leglay.M) كما** اعتمدت أيضا على كتب أخرى تخصصت بالدين البدائي بشكل عام ككتاب ايمانويل أناتي «**أصول الأديان في ما قبل التاريخ**» والجزء الأول مــن كتــاب مارسيا إلياد المعرَّب« **تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية**»، كما استفدت من كتب أخرى متخصصــة في دين الأنسان لكل من خزعل الماجِدي وفراس السوّاح، وطه الهاشِمي وغيرهم ممن لا يسعُ المجــال هُنــا لذكرهِم جمِيعا.

ولابدّ من الإشارة أيضًا الى كتب حديثة لأساتذة وطنيين تخصصوا في تاريخ المغربِ القديم، نــذكر منها على سبيل المثال، كتابُ التاريخِ المغاربي القديم السِياسي والحضاري لمحمد الهادي حارش، و معــالم التواجد الفينيقي بالجزائر و المملكة النُوميدية والحضارةِ البونية لُمحمد الصغير غانِم، وكتــاب المكنــون الحضاري الفينيقِي القرطاجي في الجزائِر لأحمد السليماني.

ومن المراجع أيضا مجموعة من الكُتب المترجمة، والتي تتبّعت من خلالها بعض التفاصيلِ عن الحيــاةِ الدينية في قرطاجة وفي بعض المدن التابِعة لها، كتاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية لجان مازيل، والبربــر الأصليون لجيان ديزانج و جون أفريك، و تاريخُ إفريقِيا الشمالية لشارل أُندري جُوليــان، و قرطاجــة الحضارةُ والتاريخ لفرانسوا دوكريه وغيرها من المراجِع المعرَّبة، هذا، بالإضافة إلى أعداد مُتنوعة مــن

المقالات والبحوث التي نشرت في المجلات التاريخِيـــة والأثريـــة، كمجـــلاتِ **Africa**) (**Semitica**) (**Revue Africaine**) (**Karthago**) (**Reppal**) (**Romana**).

كما اعتمدتُ أيضا على بعض المصادرِ الالكترونية، خاصةً المنتديات والمواقِع المتخُصصـــة بتـــارِيخ العالم القديم بشكل عام والجزائـــر بشـــكلٍّ خـــاصٍ، كموقـــع شـــبكة كلِيـــو للأبحـــاثِ التاريخيـــة (**www.clio.fr**) وموقع الجزائر القديمة الذي يضمُ عددًا مهمًّا من كُتُبِ ستيفان قزال وأعدادٍ من مجلـــة ليبيكا (**www.Algerieancienne.com**)، وأخيرًا وليس آخرًا موقع الفِينيقيين الالكترُوني الذي رغـــم طابعه السياحي إلّا أنه حوى معلومات قيمة على الفينيقيين واهتهم (**www.lesphiniciens.com**).

كما عدنا الى العديدِ من المصادِر المكتُوبة والمادِيَة والتي تمثلتِ اساسًا في المـــدافن البدائيـــة الأولى و الانصاب النذرية والجنائزية، اضافة الى الرسوماتِ الصخرية التِّي خلَّفها المغاربي القديم علـــى جُـــدرانِ الكُهُوف والمغاراتِ التي سكنَها، فقد قُمت بوصفِ تلك القبورِ والانصابِ والمشاهد الصخرِية وتحليلها لاستخراجِ ما تُمثله من مظاهرٍ دينية لإنسان تِلك الفترة، وهو ما سهل علينا تحديد المعتقدات الأصـــيلة من خلال تتبُعِ التغيراتِ الحاصِلة فيها ومقارنتِها بمعتقداتِ الحضاراتِ المجاورة، خاصةً حضارة الفِينيقيين.

وقد آملتُ في دراستي هذهِ الوصول الى مجمُوعةٍ من الأهدافِ أهمّها :

- – مَعرفة المعتقداتْ الأصلِية للنُوميديين من آلهةٍ وتقاليدٍ دينيةٍ وجنائزيةٍ، ثم تبيين ملامح التأثيراتِ الفينيقية فيها، حتى لا نضخم من شأن الحضارة الفينيقية بجعلها مصدرًا لكُل المعتقداتِ والشعائِر الدينية المحلية، بسببِ كون الفترة التاريخية السابقة لنُزُول الفينيقيين بشمالِ افريقيا من أكثرِ الفتـــراتِ غموضًـــا خاصة في جانبها الديني، رُغم المخلفات المادية الكثِيرة التي تركَها لنا السُكان القدماء، وهـــي مخلفـــات تدحضُ مزاعِم المؤرخِين الغربيين الذين جعلوا من تاريخِ بِلادنا القديم تاريخ تقليد دون تجديدٍ أو إبداع.
- – محاولةُ التعرفِ على أسماءِ أهمِ الآلهة الناتِجة عن التمازُج و معرفـــةِ أدوارِهـــا وخصائصِـــها ومساهماتِها في الحياة الدينية في نُوميديا.
- – معرفة مدى ارتباطِ الأهالي بالمعتقداتِ المحلية من جِهة والقرطاجِية من جِهة أخرى، خاصّـــة بعد تدميرِ قرطاجة.

وفي الأخير فإنّني لا أدّعي الكمالَ في عمَلِي هَذا، ولكنّني بذلتُ فيه ما استطعتُ من جُهـــد ومـــا أمكنَنِي من قدرة.   والحمد لله أولا و أخيرا

الفصل التمهيدي

قرطاجة والممالك النوميدية لمحة تاريخية

أولا: الفينيقيون في شمال إفريقيا:

1- أصول الفينيقيين.
2- الرحلة إلى شمال إفريقيا .
3- مُستوطنة قرطاجة [814 Carthage ق.م].

ثانيا: الممالك النوميـــــــدية :

1- التطور التارِيخي للاسم.
2- الممالك النوميدية في المصادر التاريخية.
3- تقسيم نوميديا :

أ/ مملكة نوميديا الشرقية (ماسيليا)

ب/ مملكة نوميديا الغربية: (مازيسيليا)

أولا : الفينيقيون في شمال إفريقيا :

1- **أصول الفينيقيين** * :

قبل الشروعِ في الحديث عن مَظاهر التأثير الحضَاري الفينيقي في نُوميديا لابُد لنَا أنْ نتعـــرفَ على هذا الشعبِ العظيم الذي جابَ البحار طلبًا للثروة وبحثا عن المعادنِ النفيسة اينما وجدت، فمنْ هُم الفينيقيون؟ وما هِي أصَّولُهم ؟.

إختلف المؤرخُون القدامَى والمُحدِثين حـــول الفينيقـــيين، فقـــد اِعتـــبرهم هِـــيرُودوت (**Hérodote**) مُهاجرين من سواحِلِ البحرِ الارتِيرِي (1)،كما أشارَ سترابون(**Strabon**) الى وجود معابد ومُدن في منطقةِ الخليج تتشابه مع مثيلاتها على السَّاحلِ الفينيقي (2)، فيما رأى جُوستان (**Justin**) أنهم نزحُوا إلى لبنانْ عن طريق البحر الميت بعد حُدوث زلزالٍ في موطنهم الأصـــلي(3)، أما فِيلُون الجُبيلي(**Philo Byblos**) فيرى أن موطِنهم الأول هو لبنان (4)، فيما يرى المؤرخ الايطالي موسكاتي (**Moscati-S**) أن الفينيقيين قبائل مُختلطة من الآراميين والفِلسطِينيين والعبرانيين وحدّتهُم وجمَعت بينهم الطبيعةُ الجُغرافية (5) .

هذا ويرجِّح أغلب المؤرخين أنهم قدموا مع الهجراتِ السّاميةِ (6) من شبه الجزيرة العربية بدايةً من سنة (**3130**ق.م) (7)، ويَستدِلُون على ذلك بِحملِ الفينيقيين لأسماءَ مُركَبَة مثل **عبد مَلقَرطْ** (عبد

---

*- كلمة سامية مشتقة من لفظ فونيكس (Phoenix) الذي أطلقه اليونانيون منذ النصف الثاني من الالفية الثانية قبل الميلاد، وتعني الصباغ الأحمر الأرجواني، الذي يعتبر واحدا من اكتشافاتهم، أما فيلون الجُبيلي فقد نسبها إلى اسم الجد الأول للفينيقيين ،للمزيد حول التسمية انظر : فاطمة الزهراء عزوز (2006) الروابط الفكرية الفينيقية – العبرانية المعتقدات الدينية الآداب الفنون، جامعة الجزائر: مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، ص55؛ سُليمان بن عبد الرحمن الذُبيب (ماي2004م) الأوجارتيون والفينيقيون ،مدخل تاريخي، الرياض: إصدارات الجمعية التاريخية السُعودية،الاصدار17، ص41.

1- البحر الارتيري: يقصد به هنا البحر الأحمر أو الخليج العربي، انظر: عبد الإله الملاّح (2001) تاريخ هيرودوت ، طبع المجمع الثقافي لإمارة أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،ص09؛ سعد بن فايز(2002) " الجذور التاريخية للهجرات العربية الى المغرب"،بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول تونس 2-4-جوان 2002م. الرياض: طبع مؤسسة التميمي للبحث العلمي. ص97.

2 - Strabon (1909) Géographie, trad Tardieu A, édit Hachette et Cie, vol III liv XVI, ch. III.4.

3 - Moscati S (1988) Les phénicien ,Milan :édit Bompiani,p05.

4- عبد مرعي (1993) فيلون الجبيلي، دمشق: دار الأبجدية للنشر، ص09.

5- موسكاتي سباتينو (1988)الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياط دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ص20.

6- الشعوب السامية: تسمية أطلقها الباحث الالماني(**شلتزر**) في عام **1781م** وذلك قياسا على سلسلة نسب سام بن نوح في الاصحاح العاشر من سفر التكوين، وهي مكونة من الاراميين والفينيقيين والعبيريين والعرب والبابليين والاشوريين،انظر: العهد القديم(التوراة) سفر التكوين الاصحاح 10-فقرة31؛ موسكاتي سباتينو (1986) الحضارات السامية القديمة ،ترجمة يعقوب بكر، بيروت: دار الرّقي، ص42.

7- وهيب أبي فاضل (2004) لبنان في مراحل تاريخه الموجزة، بيروت: مكتبة أنطوان، ط2، ص15؛
Munk R (s.d) Palestine description géographique historique et archéologique, paris: librairies de l'institut de France, p3.

الإله ملقرط) **وعبد أَشمنْ** (خادم الإله أشمن)، و جميعُ الأسماءِ التِي من هذَا النوعِ هِـــي مِـــن أصْـــلٍ يمنِي[1]،كَما أن **وِيْل دِيُورانتْ** أكد أن بعضًا من عُلماءْ صُور قالوا لهيرودوت أهُم قدِموا من شَـــواطِئ الخليج العَربي (الفارسي)، وأَنَّهُمْ شيَّدوا مدِينتهُم في القرن الثامِنِ والعشرين قَبْل الميلاد [2].

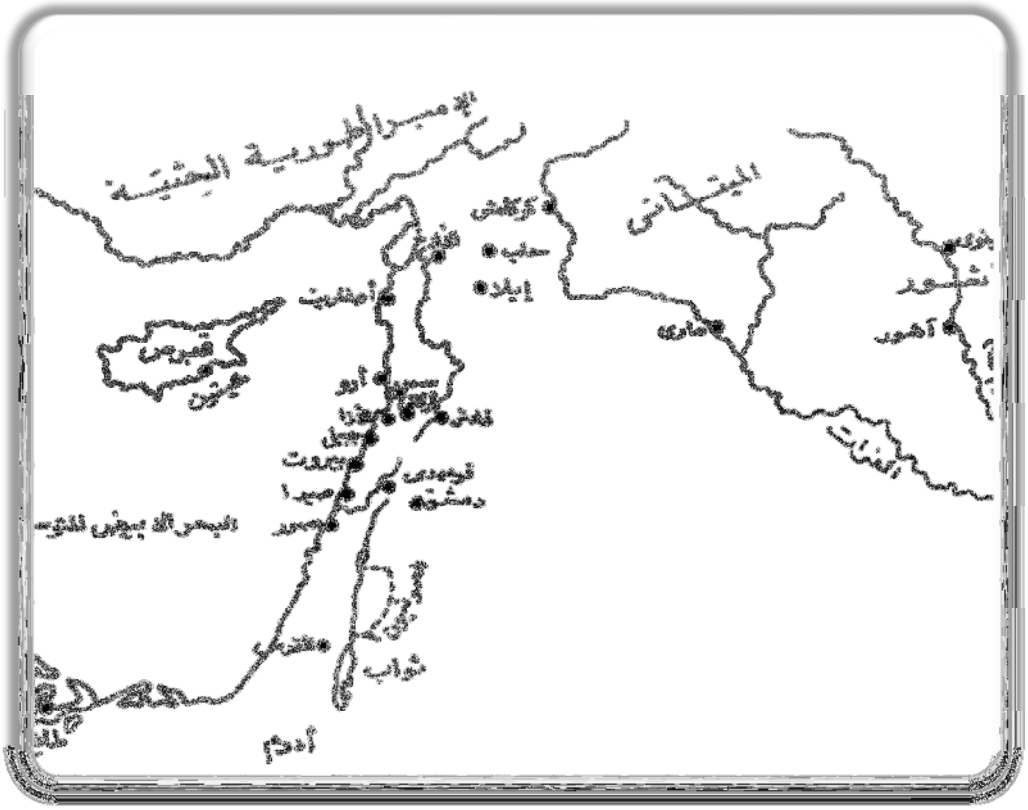
وجدتْ القبائلُ الكنعانية [3] التِي وصلَتْ إلى سُوريا أنَّ المكان المناسِبَ لاستقرارِها واستيطانِها هو السَّاحل السّوري، على شواطِئ البحرِ الأبْيَض المتوسِط التِي تُعرفُ اليوم بلُبنان[4]**(أنظر الخريطـــة 01)**، وتُجمع أغلب المصادر التاريخية على أن الكنعانيين والفينيقيين شعبٌ واحد، فـــــ « **فينيقيا وكنعـان كلمتـان مُترادفتـان تعنيـان علـى الأغْلـب شيئا واحـد...وكلها مُسميات تعنـي الحُمـرة الأرجُوانيـة** » [5]، فقد أطلق الإغريق على الكنعانيين من سُكان الساحِلِ اللُبناني وشَمالِ فلســـطين اســـْمَ الفِينيقِيين (**Phoenikes**) [6].

وقد كانَ لاختيار الفينيقيين لمنطقَةِ الساحِلِ أسبابٌ عديدة، نُشير إلى أهمِ سببين في ما يلي:

* – الضغط السُكاني الكبير القادم من الداخل السُّوري ممثّلا في تواجد الأمُوريين في إقليم "**أمورو**" ،والعَبلاويين في " **إبلا** " شرقًا، وسيطرةِ **الفَلَسْطُو** على الساحِلِ الجنوبي اضافة الى تواجِـــدِ الحَيْثِـــيين والآرَاميين* في السَّاحِلِ الشَّمالي[7].

* – التشابُه في الطبيعةِ الجُغرافية بين موطِنهم الأصلي وموطِنهم الجَديــــد، وذلـــك إن صّـــح أن الفِينيقِيين قد هاجرُوا من سواحِلِ الخليجِ العربي[8].

1- محمود الأمين (1969) «الكنعانيون الشرقيون »، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،ص ص 10-12.
2- ويل ديورانت (د.ت) قصة الحضارة ،ج2،ص310.
3- الكنعانيون (**kiniggi**): وهي تسمية مهنية أكثر منها عرقية ،وتعني الأحمر الأرجواني، ووردت أيضا (**ك ن ع**) أي الارض المنخفضة، كما جاءت ايضا بصيغة **كينّاخي** التي يقصد بها بلاد الارجوان، للمزيد حول معنى الاسم ينظر: نائل حنون (2001) المعجم المسماري: معجم اللغات الاكادية والسومرية والعربية، بغداد : بيت الحكمة،ط1،ج1،ص17؛ فيليب حتّي (1981)،تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ،ترجمة جورج حداد، بيروت: دار الثقافة، ج 1،ص ص161-162.
Gras M & Rouillard R & et Texidor J (1989) L'univers Phénicien, paris: édit Arthaud, p27.
4- لبنان أو لبن (**LBN**) التي تعني الأبيض، بسبب الثلوج التي تغطي جباله لفترة طويلة من السنة ،انظر: كونتينو ج (1997)الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسن، القاهرة: الهيئة العربية للكتاب، ص31.
5- بقي الفينيقيون يعرفون باسم الكنعانيين الى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد ،انظر:
Décret F (1977) Carthage ou l’empire de la mer, Paris: édit du seuil, pp11-12.
6 - Lipinski E (2006) On the skirts of Canaan in the Iron age, historical and topographical researches, USA, library of congress, pp09.
*- الاراميون: شعب سامي من الرحل ،كانوا يتنقلون من جبال لبنان غربا حتى نهر الفرات شرقا، أسسوا العديد من الدويلات من أشهرها نذكر(ارام صوبا ،ارام دمشق...) انظر :هنري عبودي (1991) المرجع السابق، ص18.
7- فرانسوا دوكريه (1994) قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ص ص 12- 13.
8- سليمان بن عبد الرحمن الذبيب (2004) المرجع السابق، ص43.



(الخريطة1) **المدن الفينيقية في الساحل السوري**

سليمان بن عبد الرحمن الذبيب (ماي2004) المرجع السابق، ص83

ولمّا توطدت أقدامهم في تلك المناطق بدأوا في تأسِيسِ المدن التي اختاروا لها المرتفعاتِ حتى تكُون حصِينة [1]، فبنوا أوغاريت **(Ugarit)** و أرواد (طَرطُوس حاليــا) و طَــرابُلس **(Tripolis)** و جُبيل **(Byblos)** وصيْدا أو صيدُون **(Sidon)**،كما بنَوا بَــيروت **(Beyrouth)** وصُــور**(Tyr)** والبتْرون (**Botrys**)، وغيرها من المدنِ التي لا يسع المجالُ لذِكرها جميعًا [2].

لكن لم تتشكل من المُدن الفينيقية دولةٌ مُوحَدة بسبب طبيعة التضاريسْ، بل بقيت كلُ مدينةٍ تحتفظ باستقلالها الذاتي[3] مُشَّكلة – ممالك مُدن– [4]، لكنها كانت تضْطْر الى الاتحادْ مع البقيـــة في حالِ وجود تهديدٍ خارجي[5] على أن تتزعم إِحداها الاتحادَ في كل مرّة [6].

2- رحلتهم إلى شمال إفريقيا:

نشأ الفينيقيون بطبيعةِ بلادهم فينيقيا شعبًا مولعًا بالتجارة والأسفار وركوبِ البحـــر، حـــتى أصبح لهُم مكانة مرموقة حضاريًا بين الأمم التي عاصرُوها، فقد كان الموقِعُ الاســتراتيجي لفينيقيــا بوابةً سهَّلت انتقال المِصْريين واليونانيْينَ إلى داخِل آسيا،كما وفَّر الموقِعُ أيضا إطلالةُ بحرية للأشُورِيين والفُرس وهو ما سهَّل على الفينيقيين الاتصال المباشر بالإمبراطوريات الكُبرى آنـــذاك كالمصـــرِيين والأشوريين واليونان [7]، حتى أَلِفتْ هذه الشُعوب رؤيةَ سفنهم على شواطئِها خاصة بعد تطويرهم صِناعة السفن بظهور المسمَار[8] (أنظر الصور1 والشكل1)، واكتشافِهم النَّجم القطبي الذي أسَماهُ اليونانيون تيَمُنا بهم (**النجم الفينيقي**) [9].

1- موسكاتي سباتينو (1986) المرجع السابق، ص123.

2- للمزيد حول المدن الفينيقية انظر: محمد ابو المحاسن عصفور(1981) المدن الفينيقية، بيروت: دار النهضة العربية، ص ص 25-52؛

Fabrice Léomy (1994) La Phénicie Puissance maritime et commerciale ,les grandes batailles de l'histoire, N29, paris, p79.

3 - Adel Ismail (1972) Lebanon History of a people, trad shereen Khairallah ,Beirut:édit Dar Al-Makchouf, p15

4- فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق ،ص12.

5 - Lipinski E (2006) op.cit. p32.

6- فيليب حتي (1981) تاريخ سوريا، المرجع نفسه، ج 1، ص 92

7- موسكاتي سباتينو (1988) المرجع السابق، ص64.

8 - Gsell S (1927) H.A.A.N T5, paris: Libraire Hachette, p82.

9 - Fantar.MH (1997) les phéniciens en Méditerrané, Tunisie: édit Alif, p18.

وصَل الفينيقيُون في مغامراتِهم التجارية إلى سواحِل البحرِ الأسود وإقليم القُوقِاز(1)، وشَّقوا طريقهم في السواحلِ الغربية للبَحر الأبيضِ المتوسط وصُولًا إلى الجُزر البريطانية (2)،كما أوردتْ بعض المراجعِ فرضياتَ وُصولهم الى قارةِ أمريكا (3)، حامِلين معهُم سلعًا مُختلفةً كالتماثيلِ والحُلي والثّياب الأرجُوانية من أجل مُقايضتِها (*) بخاماتِ المعادنِ النفيسة والجلود والأخشاب والعاجِ(4).

تميّز الفينيقيون عن غيرهِم من شعوب تلك الفترةِ باعتمادهم على سياسة إنشاء المحطاتِ التجارية المؤقتة (**الإسكالات** **Escales**)(5)، وذلك في المناطق التي تصلُها سفنهم، ثُمّ تحولت أكثرها أهمية استراتيجيا إلى مستوطناتٍ كبيرة مُزدهرة، خاصة بعد تزايدِ أعدادِ المهاجرينَ الوافدين من الشرق بعد تشجيع مُلوك المدن الفينيقية للهجرة (6)، نذكر من أهَمِ هذِهِ المستوطناتِ **قادش** (**Cadex**)** تقع في داخِل ايبيريا عبر مضِيق (**Yannetais**) (7) **وليكسُوس** (**Lixus**) في حوالي **1110**ق.م (هي اليوم مدينة العَرائِش بالمغرب الاقصى)، **وأُوتِيكا** (**Utique**) في حوالي**1101**ق.م (8).

1- غانم محمد الصغير (1992) التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص15.

2 -Diodore de scille (1916) bibliothèque historique, trad par Miot AF, paris: Librairie de Hachette, liv20.

3- احمد السليماني واخرون (2007) المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر ،الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954،ص21.

*- المقايضة :كان الفينيقيون يأتون إلى الساحل الأفريقي ويضعون بضائعهم على الأرض ويعودون إلى سُفنهم ويوقدون ناراً حتى يراها السكان فيأتون لمعاينة البضاعة المعروضة ويتركون كمية من تبر الذهب ثم يأتي الفينيقيون ويكررون العملية إذا لم تكن في رأيهم كمية الذهب كافية ، فإذا وافقوا تمت الصفقة و يأخذ الليبيون البضاعة انظر:

Hérodote .I V,196

4 -Décret F & Fantar MH(1981) L'Afrique du nord dans l'antiquité , Histoire et Civilisation des origines au Vème siècle, paris: édit Payot , p50.

5 - الاسكالات: عبارة عن محطات تجارية مؤقتة مبنية بمواد بسيطة سريعة الزوال ،يستريح فيها التجار الفينيقيون من عناء السفر عبر البحر ويتزودون فيها بحاجاتهم من الماء والغذاء .للمزيد انظر:

Cintas P(1948) fouille punique à Tipaza, R.AS.N416-417, p275;

6- ديب بطرس (1993) لبنان في تاريخه وتراثه ،بيروت: طبع مركز الحريري الثقافي،ص75؛

Moscati S (1976) l'expansion phénicienne-punique dans la Méditerrané occidentale, Alger : actes du II congres internationale d'études des cultes de la Méditerrané occidentale, pp13-25.

- قادس: من أهم المستوطنات ،اسمها سامي الاصل مأخوذ من كلمة قادر **Gadir والتي تعني القوة والمناعة ،كما تعني أيضا المكان الحصين. انظر: محمد الصغير غانم (1992) مرجع سابق، ص85.

7- جان مازيل (1998) تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ،ترجمة ربا الخش ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،اللاذقية (سوريا)، ص ص119- 120 .

8 -Slim M & autres (s.d) Histoire de la Tunisie, des origines à la conquête romaine, Société Tunisienne de la diffusion, t.1,p21.

إضافة إلى عشراتِ المُستوطنات قبلهُما في قُبرص وسردِينيا مثل مُستوطنات **كِيتيــوم (Kitium)** و**امَاثُوس (Amathus)** و**ايْداليُون (Idalion)** **(انظر الخريطة2)**، وتشير الأدلة إلى أن مدينةَ صُــور على السَّاحل الفينيقي هي التي لعِبت الدَوْر الرئيس في تأسِيسِ المستوطناتِ الفِينيقيَّة [1].

هُناك العديدُ من الأسبابِ التي دفعتْ الفينيقيين إلى الإتجاه جهة البَحْر، منها ما هو أســطُوري ومنها ما هو اقتصادي ومِنها ما هو أَمني، فأما الأسْطورَة فأنّها تقول أن أبناء الملك **أحِيُنور*** ملــك مدينة صُور اضطروا إلى البَقَاء في أوربَا بعد فشلِهم في إنقاذِ أخــتِهم **أوربــا** الــتي خطفهــا الإلــه الإغريقِي **زِيُوْس**[2].

أما الدَّافع الاقتصادي فتمثل في رغبةِ الفينيقيين في البحثِ عن أسواقٍ جديدة [3] بعيــدا عــن ضغط الممالك المجاورة خاصةً الاشوريين[4]، التي جعلت الفينيقيينَ يشعرون بعدمِ الامان، اضــافة الى صِغَر مساحة الأرض و مُحاصرتِها بالجبال، مع ضيق المساحَة الصالِحة للزراعة وقِلــة المراعــي [5]، ومع الزيادة في عدد السُكان والحاجة إلى الطعام تحول الاقتصادُ إلى تِجاري صِناعي، وهذا بــدورِه يتطلبُ الحُصول على موادٍ خامٍ ووجود أسواق لتصرِيف المنتجاتِ، وعليه فقد اتّجه الفينيقيــون إلى البحر لأنهم وجدُوا فيه أسهلَ الطُرق لتأمينِ مُتطلباتهم [6].

1- ورد في الاصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال ما يؤكد ذلك في«..وقل لصور ايتها الساكنة عند مداخل البحر،تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة... » ،انظر :العهد القديم :سفر حزقيال، إصحاح 27.ايات1-4.

*- أحينور: ابن الاله بوصيدون والالهة ليبيا ،ملك سورية وحاكم صور وصيدا ،انظر :هنري عبودي (1991) معجم الحضارات السامية ،طرابلس :جروس برس،ط2،ص13.

2- الآلهة **أوربا** بنت الملك الفينيقي **احينار** بن **بوصيدون** وامها **ليبيا** ،تزوجت **زيوس** بعد أن خطفها فولدت له الآلهة **مينوس** وردامانت، بحث عنها إخوتها **فينميوس** و**قدموس** و**فونيكس** و**سيلكس** وأسسوا المستعمرات في طريقهم .انظر :جان مازيل (1998) المرجع السابق، ص ص77-78. عصفور محمد ابو المحاسن (1981) المرجع السابق ،ص ص134-135.

3 - Fantar MH (1997) les phéniciens en Méditerrané, Tunis :édit Alif, p18.

4- محمد الصغير غانم (2003) معالم التواجد الفينيقي بالجزائر، عين امليلة :دار الهدى، ص ص63-64.

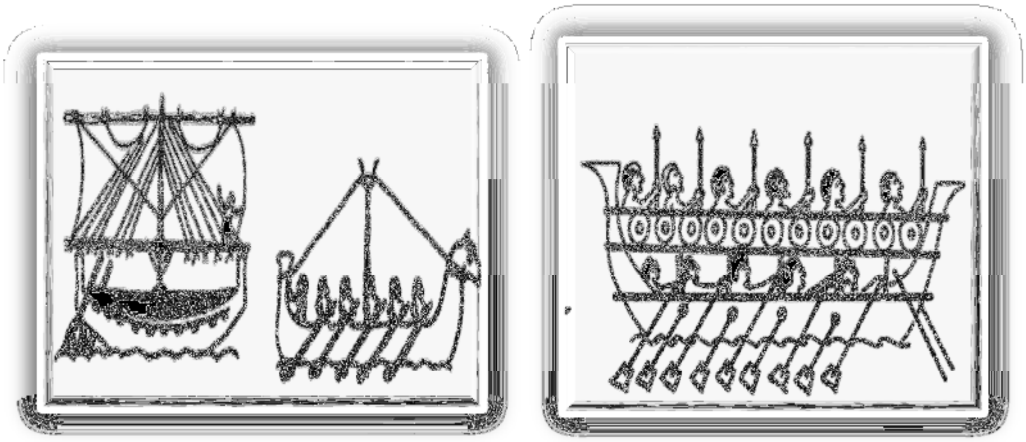
5- فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق،ص13.

6 - Briquel F Ch. & Gubel E (1998) Les Phéniciens aux origines du Liban, édit Gallimard p43.



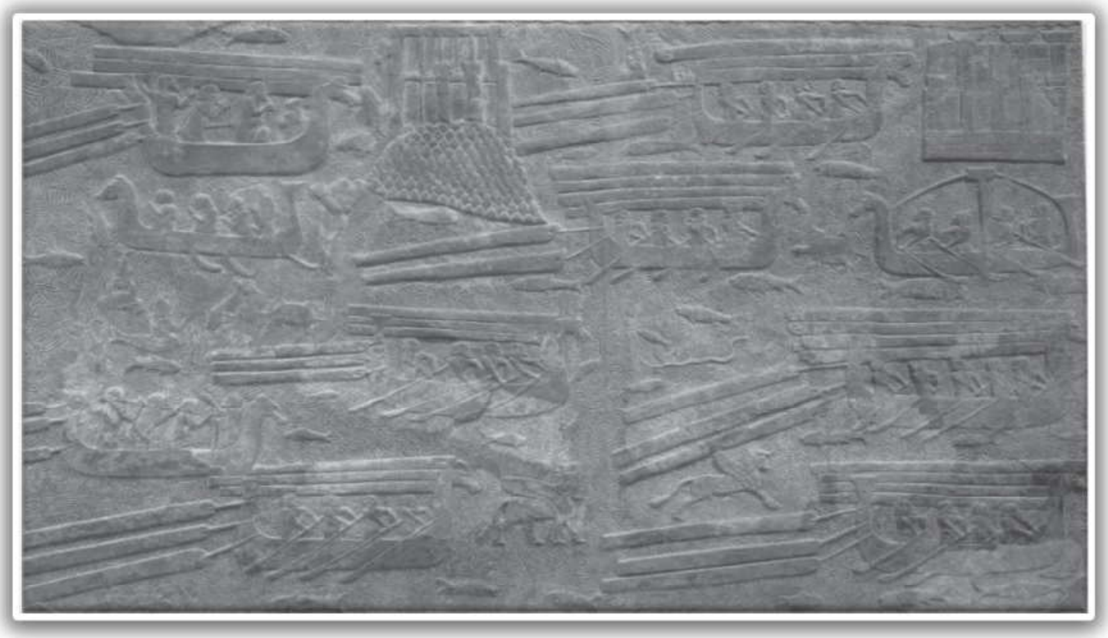
(الصور1) **عملات فينيقية تصوِر السفن المستخدمة في الرَحلات البحرية**

www.phenicien.com/articles/ Monnaie.HTm



(الأشكال1) **نماذج لسفن فينيقية مشابهة**

سليمان بن عبد الرحمن الذبيب(2004) المرجع السابق،ص79.



جدارية بمتحف اللوفر تصور أسطولا فينيقيا

. Nicolas Carayon (2008) Les Ports Phéniciens Et Puniques Géomorphologie Et Infrastructures, Thèse Doctorat, Université Strasbourg II, p905.

كما أنَّ ضغطَ الممالِك المجاورة كالحِثّيين والمِصْريين جعل الفينيقيين يشعرون بعـــدم الأمـــان و الاستقرار[1]، خاصة بعد غزوة شُعوب البحر(*) والهجَمات الأشُورية المتكررة من داخِل سُـــوريا، وهكذا أصبَح البحر الأبيضُ المتوسط بحيرةً فينيقية [2]، صارتْ فيما بعد مركزًا لإشعاعٍ حضَـــاري تشبَّعت منه عديدُ الشُعوب فكرياً ورُوحِيا، و من هذه الشُعوب النوميديون.

3- **مُستوطنة قرطاجة**: (Carthage814 **ق.م**)

تُعتبر قرطاجة **Carthage** أشهر المستوطنات الفينيقية وأكثرها أهمية على الإطلاق[3]، وأصلُ التسمية – **قِرتْ حَدَشتْ** –(**qrt hdšt**) التي تعني« المدينة الجديدة » [4](**Qart-Hadash**)، وهو ما فُسر على أن المدينة قد ورثت مركزًا أكثر قدما منها في ذلك الموقع، أو أنها أُلحِقت به، وبالتّالي قـــد تعني "مدينة جديدة" بالنسبة **لأوتيكا** الأقدم منها والتي لا تبعد عنها سِوى بثلاثِين كلمتر[5].

بنيت المدينة في خليج **أوتكنسيس**(خليج تونس حاليا)، وقد بني تأسيس المدينة على أســـطورة تاريخية بطلتها الملكة الصُورية **اليسار Elyssa**(عليسة)[6](**أنظر الصور2**)، التي دفعها غضبُها مـــن أخيها **بيغماليون** (**Pygmalion**) (**) بعد قتلِهِ لزوجها **أشِرباصْ** (**Echerbas**)الكاهن الأعظم لمعبـــد الربة **عشتروت**[7]، إلى الهرب برفقة عدد من مُؤيديها إلى شمالِ إفريقيا بعد مُرورها القصير بقـــبرُص، وحال وصولها إلى موقِع قرطاجة حاليا عَقَدت اتفاقيةً مع ملك الليبيين هياربـــاص (**Hairbas**)[8]، حصلَتْ بمُوجبِها على قطعةِ ارض تُعادل مساحةَ ما أحاطَ به خيط رقيقٌ من جلد ثور[9].

1- غانم محمد الصغير (1992) المرجع السابق، ص42
*- شعوب البحر: قبائل مختلطة الاعراق اشهرها الترشا والأكواشا والشكلش واللوكا أو الليكا والتمحو والمشواش والكهاك ،هدمت في طريقها عديد الحضارات غزت مصر بعد تحالفها مع الليبيين، لكنها انهزمت سنة 1227ق.معلى يد مرنبتاح، مصطفى كمال عبد العليم (1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم ،ليبيا: المطبعة الاهلية ،ص 24؛التاريخ اليوناني، ج2، ص ص782
2 - Chéhab M (1975) L'expansion phénicienne(Carthage), Paris: édit Gallimard, p.32
3 - Gsell S (1927) H.A.A.N,T5, pp369-370.
4- هنري عبودي (1991) المرجع السابق، ص682.
5- فرانسوا دوكريه (1996) قرطاجة أو امبراطورية البحر، ترجمة عز الدين أحمد عزو، دمشق: الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع،ص53.
6 - Justin (1873) Histoire Universelle ,trad. par: Perrot, J, & Boitard E, édit Panckoucke, 2vol, liv, xv II, 3-6.
**- بيغماليون: ملك صُور ،خلف اباه "ماتان" حكم أولا مع أخته اليسار لكنه انفرد بعد ذلك بالحكم لمدة سبعة وسبعين عاما ،في السنة السابعة من حكمه قتل اشرباص زوج أخته للحصول على أمواله ليخرج أول فصل من تاريخ قرطاجة ،انظر: فرانسوا دوكريه (1996) المرجع السابق،ص57.
7- عشتروت: ام الالهة وزوجة الاله ايل، لها مفهومان مفهوم خير هو الخصب ومفهوم مدمر هو الحرب والقتال، غالبا ما صورت وعلى رأسها قرنا كبش كما صُوّرت على شكل امرأة عارية تقف غالبا على ظهر أسد ،ترمز الى الخصوبة والأمومة ؛انظر: رينيه ديسو(1969) الديانات السورية القديمة، ترجمة موسى الخوري، دمشق: الابجدية للنشر، ص ص42-43.
8- ملك الماكسيتاني Maxitani وهي قبائل سكنت منطقة قريبة من قرطاجة بقي اسمها يتردد الى وقت قريب من سقوط قرطاجة في مدينة Pagus-Muxi. انظر: .Justin ,XVII,6,1,pp304-308
9- حارش محمد الهادي (1995) التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي الجزائر :المؤسسة الجزائرية للطباعة،ص13 ؛عصفور ابو المحاسن(1981) مرجع السابق،ص65-66.

وقد اُختير مكانُ التأسيس بعناية فائقة، فهو يقع وسط الطريق الواصِلِ بـين شـرقِ وغـربِ المتوسط [1]،كما أنه يعتبر موقعا محميا طبيعيا بفضل كثرةِ الرؤوسِ البحرية المجاورةِ له كرأس **ديماس وكاب بون**[2].





(الصور2)**عملات قرطاجية عليها صورة اليسا**

Fantar M H Elyssa de Carthage Apports d'un mythe fondateur
http://math.arizona.edu/~dido/almughrib-bakri.pd

.

1 - Gras M & autres (1989) op.cit, p140 , Jellal El Kafi (1970) The legendary voyage of Princess Elissa, the UNESCO Courier 23rd year. p18.
2 - Gsell S (1927) H.A.A.N T1, px.

أصبحتْ المدينةُ الجديدةُ مركزًا دينيا للربة عشتروت(**عشتار**) بعد أن أحضرت أليسار من قُبرص ثمانين عذراء نذرن أنفسهن للخدمة في هذا المعبد[1]،كما رافقَها كاهِن **جونو** (**Juno**) بعد أن ضمن لنفسه أن يكون الكاهِن الأعظم لمعبد المدينة الجديدة ولِخلفِه من بعده،كما استفادتْ هذه الملكة من خبرةِ العديدِ من مُرافقيها لبناء مجتمعٍ حضاري بالمدينة، لكن رُغم ذلك ظلَّت قرطاجة منذ تأسِيسِــــها تدين بالولاء والتبعية لصُور، ويظهر ذلك في تقديمِ القرابين والهدايا السنوية لمعبدِ الإلـــه **ملقـــرت**[2]، مُمَثلةً في عُشرِ مداخِيلها.

لكن قرطاجة استطاعت مع مُرور الوقتِ أن تظهر كمدينةٍ مستقلةٍ مستغلة ضعف صور وبقيـــة المدن الفينيقية الشرقية بعد سُقوطها في **نبوخذ نصـــر** سنة**574ق.م**[3]، ثم أخذت في التطور و تزعّمتْ المدن الفينيقية الغربية، وتُنشِأ إمبراطورية نافست الفرس والإغريق[4]، قاعدتها في شمال إفريقيا مُرورا بسردينيا وصِقلية الغربية وجزر البليار وسواحل اسبانيا[5]كما انطلقتْ منها رحلاتٌ طويلة حُفظت في كتبِ التاريخ القديمة أشهرها رحلتي **هميلكان** (**Himilcon**) وحنُّـــون (**Hannon**) إلى جنـــوبِ بريطانيا وجنُوب غرب إفريقيا[6]، لتلعب بعد ذلك دورًا هامًا في صُنع الأحداث التي ميـــزت هـــذه المنطقة.

سبَّبت سياسةُ التوسعاتِ التي اعتمدتْها الإمبراطُورية القرطاجِية خاصَّة في الســـواحِل الجنوبيـــةِ الأوروبية تنافسًا تجاريا كبيرا، انقلبَ الى حُروب طويلة مع الاغريـــقِ أولاً بـــين ســـنوات(**480–264ق.م**)، ثم مع الرُومان بين سنواتِ(**264–146ق.م**) والتي عُرِفت في كتب التاريخِ بـــالحروب البُونية (**Bellum-Punicum**) [7].

شهدتْ العلاقاتُ القرطاجْية الإغريقية توترا بداية من القرن الثامْنْ قبل الميلاد نتيجـــة اشـــتْداد المُنافِسة التجارِية بينهما[8]، وكان مركزُ هذا التوتر جزيرة صِقلية فقد حاول جيشُ مدينة سِـــيلينُوس الإغريقية (**Silnus**) في سنة (**580ق.م**) طردَ الفِينيقـــيين مـــن مســـتوطناتِهم في مُوتيـــا(**Mutia**)

1- عرب معن (1970) صوّر حاضرة فينيقيا ،بيروت :دار المشرق،ص91.

2- ملقرت :اله مدينة صور معناه ملك المدينة، نشره الصوريون في مستوطناتهم، أخذه عنهم اليونانيون فأسموه **هيراقليس** والدته هي **الكمين** زوجة **امفيتريون**. انظر مجموعة من المؤلفين (1994) دور سوريا في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم ،تر سعد صائب، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر،ط1، ص139.

3 - Cintas P (1970) Manuel d’archéologie punique, paris, t1, p56.

4 - Gsell S (1927) H.A.A.N T2, pp. 460-461.

5 - Fantar MH(1973) visite de Carthage, Tunisie: Maison tunisienne d’Edition, p05.

6 - Décret F (1977) Carthage ou l’empire de la Mer, éd. du sud, p123.

7 - Gsell S (1927) ibid. 460-464.

8- محمد ابو المحاسن عصفور (1981) المرجع السابق، ص71.

وبانُورمُوس(**Panormus**)، لكن قرطاجة استطاعتْ ان تصد هذه المحاولة وحققت نصرًا مشتركًا مع حلفائها الأترُوسكيين سنة(**535 ق.م**)في معركة ألاليا (**Alalia**) [1]، ثم استَغَلت هذا التفوقَ في طردِ الاغريق من السواحِلِ الجنُوبية لشبه الجزيرة الايبيرية، وطردت قواتِها أيضًا الأمير الإسبرطِي **دوريوس(Dorius)** من سواحِلِ ليبيا سنة (**501 ق.م**) عندما حاول مدَّ مناطِق النُفوذ التِّجاري [2].

توقفت السياسَةُ التوسعية القرطاجية في صقلية بعد معركة **هيميرا(480ق.م)** مدة سبعين عاما، واتجهت خلال هذه الفترة إلى كسبِ أراضي في أفريقيا على حساب جيرانها النوميديين في محاولة لتعويض خسارتها[3]، فأمّنت بذلك أخصبَ الأراضِي التي وفرت المؤن الضرورية من الطعامِ كما شكلت منطقة استيطان جديدة لاستيعابِ الفائِضِ السُكاني الذي أصبح مهددا في صقلية[4]، فزاد نفوذ قرطاجة في الداخل بشكل كبيرحتى امتدت مراكِزِها التجارية من خليج السرت الى أعمدة هرقل[5]، وأشهر المراكزِ الجديدة نجد **هيبو أكرا(hippo-Acra)** (بنزرت)، وهيبو **ريجيوس (hippo-regius)** (عنّابة)، و**روسيكادا (Rusicade)** (سكيكدة)...، وغيرها من المُدن التي بقيت أثارُها شاهدةً على عمقِ التأثيراتِ القرطاجية.

ومع نُمو قُوة الرومان ورغبتهم في التوسع اصطدمُوا بقرطاجة في حروبٍ مريرةٍ أُطلق عليها كما رأينا سابقًا الحروب البونية (**les guerres puniques**) [6]، فقد أشعل ظمُ قرطاجة لمضيق مسّينا فتيل الحرب البُونية الأولى (**264–241 ق م**) [7]، وأُنهِك الطرفانِ واُستنزِفت امكانياتِهم المالِية والبشرية وتوقف القِتال بعد قبول قرطاجة الصُلح، ثم انشغلَتْ قرطاجة مدة ثلاثَةِ سنواتٍ بإخماد غضب مرتزقتها الذين ثارُوا فيما يعرف بحربِ المرتزقة (**Révolte-de Mercenaires**)، بعد أن عجزت عن تسدِيد رواتِبهم[8]، فقد قدّم القرطاجيُون مالاً كثيراً للرومان كجزء من اتفاقهم ،لِذلك لم يبق لديهم مال لدفعه لأجرائهم، فغضب هؤلاء وبدؤوا حرباً ضد قرطاجة عام (**241 ق م**)؛ كان قائدا الأجراء **ماطُوس** الليبي (**Mathos**) وسبينديوس العبد الروماني، ويُقال أنهما رجما كل من تحدَّث

1 - Warmington BH(1959)Histoire et civilisation de Carthage814-146Av.J.C, trad. Guillemin S.M, Paris: edit Payot, pp. 69-70.

2- غانم محمد الصغير (1992) المرجع السابق، ص59.

3 - La payer G & Pellegrin A (1946) Carthage punique(314-146av.J.C), Paris: Payot, p.96.

4 - Décret F & Fantar MH(1981) op.cit, pp66-67.

5 - Gsell S (1927) ibid, pp. 464,465.

6 - Picard CH.G (1959) la civilisation de l’Afrique romaine, Paris : pp 69-70

7 - Brisson GP (1973) Carthage ou Rome, paris :éd Fayard, p48.

8 - Décret F (1977) op.cit, p169.

عن هُدنة، ولهذا أيضاً تسمى "حرب اللاّهدنة"؛ وبعد سنوات، انتصر القائد القرطاجي **حملقار برقـــة** بعد ان حاصرَهَم في عدّةِ مناطق وأَفناهم وعاد الى قرطاجة محملاً بالغنائم .

توجه اهتمامُ قرطاجَة بعد ذلـــك الى ايبيريـــا (**Ibérie**) لتعـــويضِ مـــا فقدتْـــهُ، فبسَـــط حملقار(**Hamilcar**)الذي أبغض روما[1]، ومن بعدِهِ صهره هاصـــدربعل (**Hasdrubal**) ثم ابنـــه حنّبعل (**Hannibal**) نفوذهم على شبه الجزيرة الايبيرية [2]، وكان استيلاءُ حنبعل على ســـغونت (**Sagonte***) ايذانًا بحربٍ بونية ثانيةٍ دامت عِشرين سنة بدأتْ بحملةٍ حنبعل على روما[3] وانتـــهت بتوقيعِ قرطاجة مُرغمة على معاهدة زاما (**Zama**) الشهيرة سنة **202 ق.م**[4] .

سرعانَ ما انتعشت تِجارة قرطاجة من جدِيد، فدفعت غرامَتَها الحربية قبل الوقتِ المتفق عليه وهو ما أثار مخاوف الرُومان فدفع ذلك بعضًا من سِياسييها المُتَّعصبين الى النداء بضرورة الـــتخلص النهائي من قرطاجة، وترددت في **السناتو**(مجلس الشيوخ) كثيرًا مقولة كاتو (**Cato**) الداعِيـــة الى ذلك:

«لابد من تدمير قرطاجـة » (**Carthago delenda est**)، بعد أن زارَ قرطاجةَ وشاهد التطـــور الحاصِل فيها بنفسِهِ سنة **153ق.م**[5].

انتهت الحروب البونية سنة **146 ق.م** بإحراق **ســـكيبيو إميليـــانوس** (**Scipion Emilianus**) لقرطاجة وتدميرها نهائيا بدعوى خرق قرطاجة لأحد بنود معاهدة زاما بعد اعلانها الحـــرب علـــى ماسينيسا سنة **150 ق.م**[6]، ثم أمر أن تُحرثَ الأرض وتشبَّع بالمِلح لكي لا ينمُو فيها أي نَبات بعد ذلك ولا يسكُنها أحد، بعد ذبْحِ معظم المدنيين وبيعِ من تبقى كعبيدٍ لتنتهيْ شُهرة قرطاج وتثبُـــت أقدام إمبراطورية رُوما بعد صراعٍ مرير مع النُوميديين، الذين حافظُوا على اللُّغـــة وبعـــضِ مظـــاهرِ العقيدة البُونية رغم سياسة الرومنة[7] .

---

1 - Polybe,III,1,10.
2 - Ibid.p179.
*- مدينة مور فيدو بالجنوب الاسباني حاليا ،انظر: Décret F (1977) ibid. p184.
3- محمد الهادي حارش (1992) « حملة حنبعل على ايطاليا » جامعة الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد السادس، ص51–60.
4 - Moscati S (1996) L'empire de Carthage, Tunis :La méditerranée, p70.
5 - Plutarque (1977) les vies des hommes illustres, trad Jaques Amyot, édit établi et annoté par Gérard Walter, Gallimard, France :Caton l'ancien, III.
6 - Picard G H & Colette (1970) Vie et mort de Carthage, Paris :Hachette,p183.
7 - Picard C(1954) Catalogue de musée Alaoui, Tunis: pp31.32

ثانيا: – الممالك النوميدية:

1- التطور التاريخي للإسم :

تدرّج سكانُ شمال إفريقيا في التسمية إبتداءًا من الألفِ الثالِثة قبل الميلاد[1]، فقد عُرفــوا في الكتاباتِ المصرية القديمة باسم الليبو **(L'BW)** [2]أو **(Lipou)** [3]، تحديدًا منذ القرنِ الثالِثِ عشر قبل الميلاد في عهد الملك الفرعوني **رمسيس الثــاني (1298 ــ 1232 ق.م)** من الأســرة 19[4]، ثم أشار إليهم الكتاب والمؤرخون الإغريق باسم اللّيبيين، ويقال أن "**هيكتيوس**" هو أوّل من عمّم هــذا الاسم، وتبعه "هيرودوت" ومُؤرِخو اليونان و جغرافيوهم [5]، فقد رأى (هيرودوت) أن ليبيا[6] تمتد من حيثُ تنتهِي مصر الغربية، و حدَّد ساحِل ليبيا الشمالي بما يلِي بحيرة مريُوط إلى **رأس ســولوجوس (رأس سبارتل)** جَنوبي طنجة على المُحيط الأطلسي، وقد أشار بأن المجموعاتِ السُكانية التي تُقيم على امتدادِ هذه المنطقة كلها تنتمِي إلى أَرْوَمة واحدَةٍ وهى موزعةٌ على مجموعاتٍ من القبائِلِ عدا الأجزاءِ التي يثقيم بها الإغريقُ والفِينيقيين[7] .

و جعلَ هيرودوت بحيرة **(تريتونيس)*** (**Tritonis**– والتي تقَعُ على الأرجَحِ عند خلِيج قابس أو شط الجرِيدْ– الحدَّ الفاصِلَ بين مجموعتين من الليبيين [8]**،** إحداهُما تعيش إلى الغربِ من الــبحيرة وتتألف من زراع ألفوا حياة الاستقرار– وهي المنطقة التي ستعرف لاحقا باسم نوميديا وســكانها باسم النوميديين– والأخرى تعيش إلى الشرقِ من البحيرة وتتألفُ من قبائل بدوٍ رعــاةٍ (**الأوزيــس Auses** و **المخليس Machlyes**) [9].

1- محمد الصغير غانم (2005) مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، عين مليلة: دار الهُدى، ص52؛ أحمد فخري (1955)الحضارة المصرية، القاهرة :مكتبة النهضة المصرية سلسلة1000 كتاب، ص 405.

2- محمد مصطفى بازمة (1975) ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، بنغازي: قورينا للنشر والتوزيع،ط2،ص2.

3 - Décret F & M Fantar (1981) op.cit, p17.

4 - جيان ديزانج & جون أفريك (1998) « البربر الأصليون » ـ تاريخ إفريقيا العام ـ تورينو (إيطاليا): اليونسكو. ج 2 ص 440؛ بازمة مصطفى (1973) تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية ـ ج1 ص 56.

5- مصطفى كمال عبد العليم (1968) ليبيا في التاريخ، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص 102.

6- يقصد بها كل شمال إفريقيا، انظر: مصطفى كمال عبد العليم، تاريخ ليبيا القديم (1966)، بنغازي : المطبعة الاهلية ،ط1، ص24.

7 - Hérodote, Histoires (texte établi et traduit par Ph. E. Legrand), Paris: société d'édition Les belles Lettres, (1945), II, 32

*- بحيرة تريتانوس: من المرجح أن هذه البحيرة تشمل اليوم منخفض العرق الشرقي الكبير في جنوب كل من تونس والجزائر، لكنها جفت تدريجيا ولم يبقى منها سوى بعض الزواغز والشطوط كالجريد وملغيغ، للمزيد انظر :ابراهيم العيد بشّي (2009) تاسيلي ناجر تاريخ الاستقرار البشري بالمنطقة، الجزائر: منشورات الحبر،ط1،ج3، ص ص15-16.

9 - Hérodote ,Histoires, IV, CLXXX.

وعليه نستطيع أن نعمم اسم ليبيا والليبيون على كُلّ شمال أفريقيا والصحراءِ الكُبرى، ومنها المنطقة الواقعةُ غرب بحيرةِ تِريتانوس والتي سيُعرف سُكانها لاحقًا باسم النوميديين – كما أشرنا سابقًا– وهي المنطقة التي سوفَ يركِّز عليها بحثًنا هذا.

إذن يمثِّلُ نص هيرودوت عن الليبيين أقدمَ النُصوصِ الكتابية التي أوردتْ ذكرًا لقبائل النوميد القديمة دون أن نجد ذكرا صريحا لقبيلة تدعى "النوميد" في نصِّه، غير أنه ذكر كلمَةَ نوماد **(nomade)** عند تقسيمه لسُكان ليبيا إلى قسمين مُزَارعين مُستقرين غربَ بحيرة تِريتانوس **(Tritonis)** ورعاتٍ متنقلين شرقهَا [1].

اطلق اليونانيون اسم النُوميد على كل الافارقة الخاضِعين لقرطاجة والرابِضين في حُدودها كحلفاء[2]،وقد تساءَلَ قزال **(Gsell)** فيما اذا كان اسمَ نُوميديا محلّي أو خارِجي المنشأ، ثم بين انه دال على كل السكان الاصليين لشمالِ إفريقيا باستثناء القرطاجِيين[3] .

كما أشار سترابُون **(Strabon)**إلى أن لفظة نوميد أطلقت على هذه القبائِلِ بسببِ امتهانِها لحرفةِ الرعي بعد تخليهم عن الزراعةِ التي توافق لفظ نوماد الإغريقي، فيقُول في نص له يصفُ بلاد وسكان ليبيا :« ...إلى ما وراء هذه البلاد ذات الامتداد المعتبر تبدأ بلاد النوماد (Nomades) الرُحّل ،الأمة التي تحمل اشهر قبائلها أسماء الماسيل والمازيسيل... » [4].

وقد أشار الأستاذُ محمد الهادي حارش إلى أن سترابون في هذا النص قد أخلط بين كلمتي نُوماد الإغريقية **(Nomades)** ونُومِيد**(Numides)** التي يُجهل معناها في اللغَةِ المحلية .

أما فيما يخص الكُتَّاب اللاّتين فنجد أقدَمَ ذكرٍ للنوميد ما جاء على لسانِ سالُوست **Salluste** الذي قدّم نصا مفصلاً جاء فيه:« ...التحم الفرس **Persae** شيئًا فشيئًا بالجيتول **Gaetulii** عن طرق الزواج ،وبما أنهم كانوا يتنقلون باستمرار سعيًا للعثور على أراضي ملائمة أخذوا اسم الرحل وبعد أن تنامت قوة الفرس وبسرعة ...استولوا على الأرض المجاورة لقرطاجة ،ولما

---

1 - Gsell ST (1916) Textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique du nord, Hérodote, Paris: pp9-17.
2 - Ouiza Ait Amara(s.d) Recherche sur les Numides et les maures face à la guerre, depuis les guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er, thèse pour le doctorat, Université Jean Moulin Lyon3, p34.
3 - Gsell St (1916) ibid, pp 106-107.
4 - Strabon,II,5,33,XVII,3,15.

كانوا يسمون بالنوميديين سميت تلك البلاد نوميديا » [1].وقد أشار سالوست(**Salluste**) بأنه نقل معلوماتِه هذه من وثائق بونية للملك هيمصال (**Hiempsal).**

ما يُلاحظ على نص سالُوست(**Salust**) أنه وقع في نفسِ الخطأ باعتماده على الشبه الكبير بين لفظي نوماد **Nomade** ونوميد(**Numide**) اللتان قد تحملان نفس المعنى وقد تختلفان،كما إِعتبرهـــا شارل اندري جوليان مجرد أسطورة لا نصيبَ لها مِن الصِّحة [2].

وحسب كامبس (**Camps**) فقد كان وصفُ مؤلفي اليونان للنُوميديين خاطئا [3]، وبيَّن انــه يمكن اعتبارهم كسكان حضريين وأنهم لم ينتظروا مملكة ماسينيسا (**Massinissa**) حتى يســـتثمروا سهولهم الخصبة في الزراعة؛ إذن فالنوميديون ليسوا بدوًا رحل رعويين،كما أشار إلى انه كان يجـــب على الملكة الصورية دِيـــدُون اليـــــــسا(**Elyssa**) حين إنشائِها قرطاجـــة أن تستشـــير الملـــك هيارباص (**Hiarbas**) المحلي ملك الماكسِيتاني (**Maxitani**)، الذي أعطاها مقدار ما أحاط به جلد ثور[4]على ان تدفع اتاوة سنوية والمتمثلة في نوعٍ من ايجار الارضِ لُمدة تزيدُ عن ثلاث قـــرون [5]، وبالتالي فالملك كان مقيما وليس من الرُّحل[6]، بل ان هذه الملكة قد اختارتْ الإنتحار من اجلِ أن تهرب من ضغوطاتِ الملكِ الليبي الذي خيَّرها بين الزواجِ بها أو الحرب[7].

كما يعتبر دوسانج (**J.Desanges**) ان تسميةَ نوميديا تجعل الكلمة اليونانية المقابلة لها تعني رعي وهو أمر غير صحيح لأن الافارقة المذكورين سابقا كانُوا فلاحين مقيمين[8]؛ رجَّـــح المؤرخـــون المحدثون رأي المؤرخ بوليبيوس (**Polyp**) الذي يعتبر أكثر الكتَّاب الاغريق شهرةً، فقد ربـــط بـــين نوميديا بكيانٍ سياسي محدد وشعب معين له خصائِصُه ونظمه المتميزة مستندَا في ذلِـــك علـــى مـــا جاءت به الوثائقُ الاغريقية التي ظَهَر فيها اسم نُوميديا بداية من القرنِ الثالِثِ قبل الميلاد.

---

1 - Salluste (1968) la conjuration de Catilina, la guerre de Jugurtha, trad E Richard Paris: Flammarion XVII

2- شارل اندري جوليان (1978) تاريخ شمال إفريقيا، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس: الدار التونسية للنشر، ج1 ص 71.

3 - Ouiza Ait Amara (s.d) Recherche..., op.cit., p35.

4 - Justin, (1873) Histoire universelle ,trad: Perrot J & Boitard E ,Panckoucke : t.2, livre, XIX, 1,2.

5- محمد الهادي حارش (1995) التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي ،الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة،ص47.

6 - Camps G (1979) « Les Numides et la civilisation punique », paris: Ant Afr .XIV, pp 43-44.

7 - Justin , XVIII,6

8 - Desanges J (1980) « permanence d’une structure indigène en marge de l’administration romaine :le Numidie traditionnelle » ,paris: Ant Afr. XIV, p79.

كما ان العثور الفخاريات و الأثاث الجنائزي في المقابر الليبية القديمة التي تعود إلى فترة فجر التاريخ، و الممتدة في المنطقة من الشرق نحو الغرب يدل حتما على ممارسة طقوسٍ جنائزيةٍ و اعتقاداتٍ دينيةٍ خاصة بسكان المنطقة، وهو الأمرُ الذي لا يحدث إلا عند الاستقرار[1].

2- الممالك النوميدية في المصادر التاريخية:

لقد أشار شارل أندري جوليان إلى وجود شكل من أشكال الدولة في هذه المنطقة قديما حين قال:«والغالب على الظن أن الممالك الوطنية قد تكونت بعد ان يجمع بعض القواد قبائل عديدة تحت سلطانه ،بما له من هيبة، أو عن طريق القسر والغلبة... » [2].

إذن فلا سبيلَ لإنكار تشكل كيانٍ سياسي متقدم بالمنطقةِ له صفات الدولة حتى وإن كان قبليا، فقد أشار ديديور الصقلي الى النوميديين عندما أخبرنا– نقلا عن مصادر أخرى– عن مشاركتهم في حروب جرت في نهاية القرن الخامِسِ قبل الميلاد [3]،كما تحدث بوليب ايضا خلال الحرب البونيقية الثانية (**218–201 ق م**) عن ممالكٍ وطنيةٍ نوميدية [4]، لكننا لا نعرف بالضبطِ الفترة التاريخية التي تعود إليها، وذلك نتيجة عدم ملكيتنا لأي دليل كتابي أو أثري يثبت وجودها قبل هذا التاريخِ والذي سُجل في نظر بعض المؤرخين كنقطة بداية لدخول الممالك الوطنية التاريخ، الذي اتَّضحت فيه معالمها وأمكننا التعرف على حدودها وسياساتِ مُلوكها [5] .

وقد أوردتْ نفس المصادر الدور الفعال الذي لعبته هذه الممالك في التأثير على أطراف الحرب البونية، سواء قرطاجة أو الرومان وهو ما يُظهر التطور العسكري والسياسي الذي وصلتهُ في تلك الفترة ، هذا ما يُؤكد وجود جذور تاريخية تُرجع وجودها إلى فترةٍ أقدم من القرنِ الثالِثِ قبل الميلاد، وفُسر ذلك بعدم معرفة بعض المؤرِّخين اللاتين أو الإغريق لهذه البلاد، أو رغبتهم في التركيز على أهم الأحداثِ التي كانت لها صلة بأوطانهم كإشاراتِهِم العابرة لأوضاعِ البلادِ أثناء الحروبِ القرطاجية الإغريقية.

1 - Camps G(1987) les berbères , mémoire et identité, Paris : seconde édition , pp 54-56.
2- شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص81.
3 - Diodore, XX,55,4.
4 - Polybe (1970) Histoire Romaine, trad par Roussel D, Paris: collection pléiade, III, 33, 15.
5 - Camps G (1967) « origines du Royaume Massyles »,dans: RH,T3,p29.

فقد ذكر بعضُ المؤرخين مُلوكًا ليبيين عاشُوا قبل القرن الثالث قبل الميلاد، ففي القرن الرابع قبل الميلاد نجد ذكرا لملوك النوميد عندما أشار الأستاذ محمد الهادي حارش[1]، استنادا علـــى **ديـــودور الصقلي** إلى الملك **إيلماص (AILYMAS)** ملك بلادِ الماسِيل، ويذكُرُ انه كان قـــد تحـــالَفَ مـــع **أغاثوكليس** حاكم سرقوسة أثناءِ حملة هذا الأخير على قرطاجة بين عـــامي **(307–310 ق م)**[2]، ويصفُ كامبس إيلماص هذا برئيس قبيلة الماسِيل وأحد أجدادِ ماسينيسا [3].

كما يُشير نفسُ المؤرخ إلى النوميديين مراتٍ عديدة من خلال تطرقِه إلى الحـــروبِ الكـــثيرة حسب وصفِه، التي خاضتها قرطاجة ضد النُوميد الذين يتوزعُون في المناطِق المحاذية لأملاك الدولـــة القرطاجية، وأَوْردَ ذكراً أخرا للنوميديين عند تحدُثه عن حربِ المُرتزقة **(241–237 ق.م)** [4]، وقد أشار إلى المُعاملة السَّيئة التي لاقَاهَا النُوميديون الثائرُون، والتي لم يُستثنَ فيها حتى النُساء والشُـــيوخ والأطفالْ .

إضافة إلى ذلك ذكر الأستاذُ في كتابه آن **يوستينيوس (JUSTIN)** بين أن قرطاجة ظلت تـــدفعُ ضريبة سنوية للأهالي المجاوِرين لها، منذ تأسِيسِها **–814 ق.م**– حتى مُنتصفِ القرن الخـــامِسِ قبـــل الميلاد(القرن **7ق م**– النصف الأول من القرن **3ق.م**)، أو الحروب البونيقية **(264 – 146ق.م)**.

إذن فربط نشأةِ الممالك الوطنية النوميدية بالقرن الثالث قبل الميلاد أمر غير دقيق، اســـتنادا إلى الأدلة الكتابية السابقة التي خالفتْ أقوال بعض المؤرخِين القُدامى والتي بينت أن الممالِـــك الوطنيـــة النُوميدية ظهرتْ في فترة قديمة.

1- محمد الهادي حارش (1995) المرجع السابق، ص98.

2 - Diodore de Sicile (1967) Bibliothèque Historique, trad : Miot A. F, paris: édit Old Father XV -24.

3 - Camps G (1961) Massinissa ou les débuts de l’histoire, Alger: imprimerie dfficielle,p117.

4- ثورة الجند المرتزقة (241-238 ق.م): تزعمها ماطوس الليبي(**Mathos**) وسبينديوس العبد الروماني للمطالبة بدفع الاجور المتأخرة، انتصر القائد القرطاجي حملقار بعد ان حاصرهم في عدة مناطق وافناهم وعاد الى قرطاجة محملا بالغنائم. وبعد نصره اتجه سنة **236 ق.م** نحو اسبانيا مجتازا اعمدة هرقل في محاولة لتجديد قوة قرطاجة، أنظر: Polybe ,I ,70-88.؛ عقون محمد العربي (2004) « من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج: ثورة الجند المأجور » ، جامعة قسنطينة : مجلة العلوم الانسانية ،ع21، ص ص 199-212 .

3- **تقسيم نوميديا**:

انقسمت نُوميديا في ظروفٍ غامِضةِ وفي فترة زمنيةِ غير محـــددة[1] إلى قســـمين: (انظر الخريطة3)

*ماسِيليا (قبائل الماسول **Massyle**)

*مازيسيليا (قبائل المازيسول **Massaesyle**)

أ/ **مملكة نوميديا الشرقية**: (**ماسيليا**)

تُنسب مملكة نُومِيديا الشرقية (ماسيليا) إلى قبائِل الماسيل التي كان لها الدورُ الحاسِمُ في ترجِيحِ كفة الرومان أثناء الحربِ البُونيقية الثالثة والتي قُضي فيها على قرطاجة ســـنة (**146ق.م**)[2]، فقـــد أسست قبائل الماسيل اقوى وأقربُ مملكة مجاورة للقرطاجيين[3]، لكن الضـــبطَ الـــدقيقَ للحـــدود الجغرافية لهذه المملكة أمر يكاد مستحيلا ذلك أننا لا نملك معلومات كافية ومؤكدة عنـــها، فقـــد كانت حُدُودها الشرقية مع قرطاجة غير مُستقرة [4]، تتسع حينا وتتقلص أحيانًا أخـــرى بحســـب الوضعيةِ السياسِيةِ والعسكريةِ التي تطغى على شَمَالِ إفريقيا [5].

وعلى ما يبدو أن حدُودَها في غالِبِ الأحيان كانت تمتد من الأراضِي القرطاجيـــة شـــرقًا إلى الوادي الكبير غربًا [6]، أما جنوبا فكانت حدودها متغيرة كذلك[7]حسب الإمكانياتِ التي يتـــوفر عليها حاكم الماسيل لمدِّ نفوذه على قبائِلِ **الجيتول*** المنتشرة على تُخومِ الصحراء، لتُشـــمل بِـــذلك

---

1 - Bertrandy F (2003) « Approche géographique et historique de Numidie antique », Revue de l'année d'Algérie en France, p16 ; Camps G (1967) " Aux origines …", op.cit, revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, 3, p29.
2 - Ouiza Ait Amara (s.d) Recherche..., op.cit., pp37-38.
3 - Bertrandy F (2003) ibid, p16.
4 - Krandel A (2002),op.cit, p13.
5 - Camps G (1967) ibid, pp 179-183.
6 - Ouiza Ait Amara (s.d) op.cit p37;Dahmani S (2003) « le royaume de Massinissa, un projet contrarie », L'Algérie au temps des royaumes numides, Vé siècle av J.C-1[ER] siècle après j.c.p17.
7- محمد الصغير غانم (1998) المملكة النوميدية والحضارة البونية ،الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر، ط1، ص57.

أراضي الأوراس والشرق القسنطيني وجبال الظهرة التونسية والجزء الأكبرُ من مجــردة الوســطى و الأراضي المحاذية للسِّرت الصغرى [1].

ومهما كان امتدادُها فمملكةُ الماسيل كانت تغطِّي مناطق غنية تسمح للمُدن بالنمو والتطور، يُساعِدها في ذلك قربُها الجُغرافي مِن قرطاجَة الذي سَهَّل لها الاستفادة من نهضتِها.

تم ذِكر الماسيل لأولِ مرة في زمن الحربِ البُونية الأُولى، عنــد الإشــارة إلى اســتعانة القائــد القرطاجي هميلكار(**Hamilcar**) بالزعيم الليبي **نرافاس** (**Naravas**)[2]**،** للقضاء على ثورة المرتزقة ضد قرطاجة بين سنتي (**241–238** ق.م) مقابل تزويجه ابنته، ولا نعرف ما إذا كان هــذا الــزعيم الليبي كان ملك أم لا ؟ وكذا حجم مملكته و نفوذه؟.

إضافة إلى ذكر المصادر التاريخية للملك يلماص فيما سبق، وردت أخبارٌ أخرى عــن بعــضِ ملوك هذه المملكة، ففي القرن الثالِثِ قبل الميلاد تتحدثُ النصوصُ التاريخية عن غايا(**GAIA**) والد ماسينيسا وحاكِمُ **دوقا** (**الاسم اللاتيني**) [3]، وقد حَمَل هذا الملكُ لقب **شوفيط** (قاضي) **Suffète** .

إلا أن المصادر التاريخية لا توضِّح لنا أي شيء عن فترة حكمِهِ ولا عن نسبه ولا عن ســابقيه أيضا [4]، والإشارة الوحيدةُ ما جاء على لسان **تيت ليف** في أنه استولى على مقاطعــةٍ قرطاجيــة لم يحددها[5].

كما ورد اسم **يزلماسن** في نقش دوقا المزدوج اللغة، وقد قُرن هو أيضا بلقب شوفيط[6]، لكن لم يعرف بعد أن كان أميرا مستقلا أم انه حكم دوقا باسم قرطاجة ؟.

لم تتضح معالمُ مملكة نوميديا الشــرقيةِ السياســية والاقتصــادية إلا في عهــدِ ماسينيســا (**MASSINISSA**) بن غايا (**GAIA**)، الذي تمكن من فرضِ نفوذه على كامِلِ تراب المازيسيل[7] لمدة خمسة وخمسين سنة (**203–148 ق.م**)، ساعدهُ في ذلك وجودُ وحدةٍ اثنية ولغويةٍ وترابية [8] فقد اتسعت حدود المملكة لتشمل أراضِي واسعةً من وادِي ملوية غربًا إلى الحدود القرطاجية شــرقًا

= *- الجيتول: سُكان المنطقة السهبية وتُخوم الصَّحراء من خليج قابس إلى المُحيط الأطلسي. أنظر:
Camps G (1980) Berbères aux marges de L'histoire, éd. Des Hespérides, Paris.p112.
1 - Decret F & M Fantar (1981) op.cit, p100.
2 - Polybius,XV,18,5.
3 - Gsell S (1927) H.A.A.N T3, p86.
4- رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص44.
5 - Tite Live, XXIX,29,6-7.
6 - Marcy MG (1936) les inscriptions libyques de l'Afrique du nord, paris: p46.
7 - Tite Live (1950) Histoire Romaine, p XXVII, 4, 8, XXIX, 4,4.
8 - محمد الهادي حارش (2002) « قراءة تحليلية لبعض مقومات الوحدة المغاربية في القديم »، حولية المؤرخ، عدد01، ص75-81.

(انظر الخريطة4)، وقد جلب عهد ماسينيسا الرخاء والازدهار لمملكته نظرا لتفتحه الكبير على الحضارات المجاورة، فقد وصف بوليب (**Polypus**) ما قام به ماسينيسا في ميدان الزراعة بالعمل الجبار، فـ« نوميديا كانت غير مجدية بالنسبة لسكانها واعتبرت اراضيها عاجزة لكنه أظهر بأنها تستطيع أن تنتج كل شيء مثل أي منطقة أخرى » [1].

أما سترابون (**Strabon**) فقد أكد أن ماسِينيسا هو الذي جعل من النُوميديين أناسَا اجتماعيين ومُزارعين[2]، وبين قزال (**Gsell**) نقلا عن ديودور الصقلي ان هذا الملك تَرَك لكل واحد من أبناءِه مُقاطعات زراعية، وصلت حدود 874هكتارا [3]،كما كانت نوميديا في عهده المُمَّول الأول لجيوش الاغريق المحاربَة في بلادِ فارس بمادة القمح[4]، وقد شكَّلت صادراتُ القمح والشّعير والزيوتِ المصدر الأول لدخلِ المملكة في عهدِه [5] .

وفي هذا الصّدد يقول عنه المُؤرخُ الفرنسي **شارل أندري جوليان (charle AJ):**

«...وسرعان ما أصبح سيدا على جميع البلدان الواقعة بين موريتانيا والمقاطعة البونيقية ،من ملوية إلى توسكة قرب طبرقة...كان اغليدا *عظيما...و عمل على أن يجعل من بلاد البربر دولة موحدة مستقلة...» [6]، لدرجة أن أحد التُّجار الرُودسيين شيَّد له تمثالاً مِن المرمر بين سنة(**180**ق.م و**160**ق.م) تخليداً لذكرى إحدى الصفقاتِ التجاريةِ المربحة[7].

1 - Polypius ,XII ,3.3.4.
2 - Strabon, Géographie, LIV XVII, 3,15.
3 - Gsell S, 1927H.A.A.N, t4 ,Hachette.Paris..p11.
4 - Tite Live, XXII ,27,2.
5 - محمد بن عبد المومن (2010) « قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسية »، دورية كان التاريخية، ع12، ص 38.
*- الاغليد: هو قائد قبلي في رتبة ملك ينجح في جمع قبائل عديدة تحت سلطانه إما سياسيا أو عن طريق استعمال القوة، انظر: شارل اندري جوليان ص81.
6 - شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص133.
7 - منصور خديجة « ماسينيسا ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها »، حوليات المتحف الوطني للاثار،العدد11، ص101.

كانت هِيبُوريجيوس العاصمة الأُولى للمملكة ثم أصبحت زاما[1]، ثم اتّخذ ماسينيسا سِيرتا (Cirta)* عاصمةً له [2] وبقيت كذلك لأبنائه مدة **157 سنة** (**203–46** ق.م)، إضافة إلى سيرتا نجد مدنا كبيرة أخرى ذكرتها المصادر التاريخية كدوقة(**Dougga**) و تبسة(**Teveste**) و تيديس (**Tiddis**)، فقد أعطت أراضِيها مساحاتٍ زراعية خصبة شاسعة وتميزت بكثافة سُكانية معتبرة [3]، وكانت لها علاقات تجارية مع العديد من الممالِكِ والمدن والدول المحيطة، كروما ودويلاتِ المدن الاغريقِية وغاليا وجُزر البليار[4]، خاصة بعد أن بسط ماسينيسا نفوذه على موانِئ المدن الساحلية النُوميدية التي كانت خاضِعةً لقرطاجة، وانشاءِهِ أسطولاً بحرياً تجارياً، وفتح أبوابَ مملكتِهِ للتجار الاجانِبِ كالإيطاليين والرُودسيين والأثينيين، الذين وفدوا الى مختلَفِ الُمدن الداخِلِية والسَّاحِلية، كسيرتا (**Cirta**)، والكاف(**Sicca veniria**)، وتالا(**Thala**)، وزاما (**Zama**)، وباجة(**Vaga**) [5].

أما المُؤرخ الاغريقي بوليب الذي شاهَدَ تهديمَ قرطاجة فيُؤكد أن المنطقة كانت تزخر بالثروة الحيوانية كالخيلِ والعجولِ والأغنامِ والماعز لدرجة أنه لا توجد منطقة توازيها في بقية العالم حسب وصفِهِ[6]، وكان "**ماسينيسا**" يحافِظُ على تماسُكِ أطراف مملكته بالوسائلِ السياسية التقليدية من جهة كالمصاهراتِ والتعاهد مع زعماء القبائِل وإيقاظِ المشاعِرِ الدينية، وبالحربِ من جهة أخرى عند الضرورة[7].

1 - محمد الهادي حارش (1985) التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول203-46ق.م،جامعة الجزائر: رسالة ماجستير ،معهد التاريخ، ص66.

*- سيرتا Cirta أو قرطة Crtn : يعتقد ان الاسم سامي الاصل، وانه تحريف للاسم الحقيقي كرتن Crtn، ومعناه المدينة أو القلعة؛ تمتاز بموقع استراتيجي هام اذ تحيط بها منحدرات وعرة انظر: أحمد صفر مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1 ص175، دار النشر بوسلامة ،تونس؛

Gillette & Louis Lefebvre (1967) Corpus et gravures des peintures rupestres de la région de Constantine, éd. Arts et Métiers Graphiques, paris, pp13-99 .

2 - Gsell S (1927) H.A.A.N T1P 260

3 - Decret F & Fantar MH(1981) op.cit. p100.

4 - Charéne CH (2002) Les Relations commerciales de la Numidies et de la Mauritanie Césarienne avec Rome: notes préliminaire , L'Africa RomanaXV, Roma :p9736.

7 - خالدية مضوي (2011)" أضواء على العلاقات الجزائرية الأرو متوسطية خلال النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد"، دورية كان التاريخية، عدد13، ص87.

6 - Polypius,1-29-7.

7 - محمد شفيق (د.ت) لمحة تاريخية عن ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الامازيغيين، دار الكلام. الرباط. ص36.

فقد أفتك من القرطاجيين أراضي كثيرة كإقليم امبوريـــا(**Emporia**)بـــين (**193**و**192**ق.م) ومنطقة السهول الكبرى وأقليم توسكا (**Tusca**) بين (**153-152 ق.م**) [1]، والسُهول الكبرى في اعالي نهر مجردة ووسط تونس الحالية مستغلاً في ذلك بنودَ معاهدة زاما (**201**ق.م) بعـــد الحـــربِ البُونية الثانية[2] .

ب/ مملكة نوميديا الغربية: (مازيسيليا)

تبقى المعلوماتُ الخاصة بهذه المملكة شحِيحَةً، إذا لم تبدأ المصادر الأدبية في الحديثِ عنها إلاّ في القرن **3 ق.م**، و نخص بالذكر بوليب(**Polybe**) الذي تحدث عن هذه المملكة في كتابه "التـــاريخ" وفي هذه الكتابات تمت فقط الإشارة إلى اسم هذه المملكة "مازيسيليا" دون التطـــرق إلى موطنـــها وحدودها.

وتُنسبُ هذه المملكة إلى قبائل المازِيسيل الذين أصبحوا قوة في المنطقة منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد، وتبقى ظروفٍ تشكل هذه المملكة غامضَـــةً إلى أن دخلـــتْ مجـــال الصراعِ والتنافس خلال الحربِ البونية الثانية[3].

بالمقارنة مع حدود مملكة نوميديا الشرقية فان حدود مازيسيليا تعتبر أكثر وضوحا[4]، فالمؤرخ سترابون (**Strabon**) يحدد موطن هذه المملكَة على رقعةٍ واسعةٍ، غربا من وادي ملوشة (ملوية) إلى رأس تريتون (**رأس بوجرون أو بوقرعون في شبه جزيرة القل حاليا**)أو إلى وادي الرمـــال شـــرقا، والى أراضي الجيتول جنوبا، وهي رقعة جغرافية واسعة أرجعها بعض المؤرخُـــون إلى التوسُـــعات الـــتي اعتمدها سيفاكِس (**Syphax**) في القرن الثالث قبل المِيلاد على جارتِه الغربية[5]، وقـــد ضـــمنَتْ أراضي ملائمة للزراعَةِ وتربة الماشية، وكانت تلك الرُبوع في جهتها المجاورة لُموريتانيا على غايةٍ مِن الخصب وصالحة للزراعةِ خصُوصًا زراعة الحبوبِ أكثرَ من نُوميديا الشرقِية.

فقد أثارتْ انتباه الجغرافي اليوناني الكبير سترابون (**Strabon**)، إذا كان من الممكن الحصـــول على صابتين في العام الواحد، مما وفر الركائزْ الأسَاسية لتأسِيسِ مملكةٍ لها وزنُها في شمالِ إفرِيقيا، هذا

1 - Krandel A (2002) op.cit, p13.
2 - Décret f &Fantar M (1981) op.cit, pp100-101.
3 - Ouiza Ait Amara (s.d) op.cit, p260.
4 - Camps G (1960) op.cit, p157.
5 - Tite-Live, XXIV, pp 49,50.

ما سمح بتوفير مورد مالي لتجنيدِ وتهيئة جيشٍ قوي مكن الملكَ سِيفاكس من توحيد المملكتَين بعد التوسُع على حِسابِ المملكة الشَّرقية.

ويعتبر سيفاكس[1] (**Syphax**) أكبر **"أغليد"** عرفه التاريخُ بنوميديا الغربية، وكانت له شخصية لامعة[2]،كما تحدث عنه المؤرخُونُ القُدماء كثيراً أثناء الُحروب البونية دون أن يُقدموا الكثيرِ عن نشأته وبدايتِهِ، إذ نكاد نجهل كل شيء عن حياتِهِ كشخصٍ أو ملكٍ باستثناء ما أكده(**Polybe**) عن زواجه بفتاة قرطاجيةٍ من عائلةٍ ارُستقراطِية وهِي ابنة القائِد القرطاجِي اصدُرُوبعلْ (**Hasdrubal**) .

وتذكر بعضُ النصوصِ القديمة إلى أن توسعاتِ سِيفاكس(**Syphax**)سنة **205ق.م** قادته لان يبسُط نفوذه على عاصِمتين، هما سيرتا (**Cirta**)شرقًا وسِيغا (**Siga**)*غربا [3]، وكان ينتقِل من الواحِدة إلى الأُخرى ليُوصَفَ بذلك على انه أقوى ملك وُجد في بلاد المغرب القديم قبل أحداث سيرتا سنة (**203ق.م**) ،لكن على ما يبدُو من المعطياتِ الأثرية والكِتابية فان العاصِمة الحقيقية للملكة هي سِيغا (**Siga**)،كما سيطَرَ على مينائَي سيقا (**Sigenis.Portus**) سنة **206** ق.م و ثابسوس روسيكاد (**Thapsus Rosicade**) سنة (**205ق.م**)، واستغلهُما في تقويةِ نشاطِ مملكته التجارِي[4].

هذا التوسُع جعلَ الجارتين تدخلان في العديدِ من الحروبِ، حروب غذّتها قرطاجة وروما خدمةً لمصالحهما في المنطقة، ثم انقلبت الكفة لصالحِ ماسينيسا الذي ضَمّ مملكة نُوميديا الغربية بعد أن استرجْع أراضِيه بين عامي (**203–202ق.م**)، ليُوحد بذلك ماسِينيسا نُوميديا من جدِيد، (**انظر الخريطة4**)، ثم يعمل على تطويرِها من خِلال فرضِ الاستقرار ونشْر الزراعة وتحِسين التعليم، عامِلاً بشِعارِ إفريقيا للأفارقة لمدةِ أزيد من نِصف قرن.

1- سيفاكس : تعني المحروس والمحمي المدجج بالسلاح. بالبونية (ش ف ق) وبالإغريقية Suphax وباللاتينية Syphax، وقف بجانب قرطاجة في الحرب البونية الثانية ووقع أسيرا في معركة سيرتا سنة 203ق م، سلمه ماسينيسا لسيبيون الافريقي مكبلا بالأغلال، نقل بعد ذلك الى روما وقتل في ساحتها العامة، ينظر: محمد الصغير غانم (2008) سيرتا النوميدية النشأة والتطور، دار الهدى،ص123؛Gsell S(1927) op.cit, pp 249.253

2- محمد بوكبوط (2002) الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم، مركز طارق بن زياد، ط1 ، ص38.

*- سيغا: تقع عند مصب واد التافنة قرب مدينة الغزوات الحالية ، تضم ضريحا بني رنان .

3- أحمد صفر (1959) مدينة المغرب العربي في التاريخ، تونس: دار النشر بوسلامة، ج 1. ص 175.

4 - Camps G(1961)Aux origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'Histoire, Alger: Imprimerie officielle, p173.

عموما قد ظهر (**سيفاكس**)كقُوة عسكَرية وظهرتْ مملكته كواقع سياسي قائم بذاته[1]، ساهَم في تغيير مجرى الاحداثِ في حوضِ البحر الابيضِ المُتوسط من خِلال المُشاركة في الحربِ البونية الثانِية بعد عدةِ محاولات لكلٍ من قرطاج ورُوما المتحَاربتانِ في استمالته إلى صفِهما وكسب دعمه[2] .

ومَهما كانت أقدارُ مملكتِي الماسِيل والمازِيسيل، فانهما مثلتا وحدةً جغرافيةً وبشريةً واحِدة تجلَت في الدولة النُوميدية المُوحدة، وما توسعاتُ احداهما علَى الأُخرى أو اختلاف حُلفائهمَا وتحالفاتهما الدبلوماسية إلا عواملٌ ضرفيه لا تُعبر بِحق عن النومِيديين[3].



عملة الملك صيفاقس 2010
Encyclopédie Universalise (2005)



عملة الملك ماسينيسا 2010
Encyclopédie Universalise (2005)

1 - Krandel A (2002) op.cit, pp12-13.

2- محمد بوكبوط (2002) المرجع السابق، ص39.

3 - Krandel A (2002) ibid, pp13-14.

في اخر هذا الفصل التمهيدي رأينا أن نُوجز أهم ما توصَلنا اليه في النِقاطِ التالية:

*- عدم اتفاقِ المُؤرخين القدماء والمُحدثين في أصُول الهجراتِ الفينيقية الى السَّاحل السُوري، فمِنهم من يرجِع مواطنهم الى سواحِلِ شبه الجزيرة العربية (الاحساء تحديدا)، ومنهم من يُرجح قدومَهم من سواحِلِ البحر الاحمَر، ومنهم من يجعل الساحِلِ السُوري هو موطِنهم الأصْلي.

*- تأكيد أغلبِ المصادر التاريخية أن تأسيسَ قرطاج كان نتيجة للخِلافِ السياسي بين اليسَار و بيغماليون، اما الاسباب الاقتصادية والتوسُعية فهي اسبابٌ ثانويةٌ.

*- تأسيسُ قرطاج كان يحمل الصِبغة الرسمية، على اعتبار أن اليسار أميرةٌ من الاسرة الحاكِمة في صُور، وهي اختُ للملك بِيْغمالِيون وزوجةُ للكاهِن الأعظمِ أشِرباصْ .

*- لم يهدف الفينيقيون قبل تأسيس قرطاجة الى الاستقرار الدائم في سواحل غرب البحر الابيض المتوسط، بل كانت مجرد محطة للراحة ودليلُ ذلك اقامتُهم للاسكالات، التي بنيت-كما أشرنا-بمواد بسيطةِ سريعةِ الزوال.

*- موقع مستوطنة قرطاج الممتاز جعلها تُسيطر تدريجيا على تجارة البحرِ المُتوسط، لتتحول الى إمبراطُورية قوية بعد انفصالها عن صُور في سنة (**574ق.م**)،وتبدأ مسيرة صراعَها من أجل البقاء ضِد الاغريق والرُومان.

*- إن كراء قطعة أرضية بحجم جلد ثور هو دليل على تحكم المحلين في أرضهم وقيمة هده لأرض بالنسبة لهم، وإحالة على الحس الإقتصادي بالنسبة للسكان المنطقة في هده الفترة من التاريخ .

*- خلطِ المُؤرخين القدماء بين كلمَتِي "**النوماد**" التي تعني البدو الرُّحل، و "**النوميد**" القبائل المسْتَقرة التي سكنت شمال افريقيا في القديم وهوما أخر –في اعتقادهم-ظُهور التنظيماتِ السياسية (الممالك النوميدية) الى فترة متأخرة نسبيا(**القرن3ق.م**).

*- شكلَّت القبيلة اللبنة الأولى للممالِكِ الأمازيغية، بحيث" نرى أحيانا أحد القواد أو الرُؤساء بما له من الحُظوةِ و الجاه، وما لهُ من القُوةِ و البطْش يصير "**أقليدا**" يجمع حوله النوميديين في مملكةٍ واحِدةٍ.

*- لم تَرد في المصادرِ القديمة الإغريقية أو الرُومانية أي معلومات عن الممالك النوميدية إلا عند ارتباطها بأحداث اشتركت فيها دولهم، كالحروبِ القرطاجِية الاغريقية والحُروب البُونية .

*- غذَّت قرطاجة وروما الحروب التي دارَت بين الممالك النُوميدية خدمة لمصالحها، واختار كل طرف مملكة نوميدية تحالف معها عملاً بمبدأ فرق تسُد الذي نتَج عنه في الاخِير انْدثارها وتوسُع الرُومان على حِسابها.

*- استطاع النُوميديُون تشكيل مملكة موحدة بقيادة مُلوكٍ أقوياء كماسِينيسَا و سِيفاكس، لكن هَذَا الاتحاد لم يعمِّر طويلا بسبَبِ أطماع بعض الملوك في الحُكم من جهة، ومن جهة أخرى المؤامراتِ الخارجية التي حاكتْها دُول الجوار والتي رأتْ أن هذا الاتحاد يهدِدُ مصالحها.

*- تدميرُ مكتباتِ قرطاجة وإحراقُها كان السببَ الرئيسي في شُح المعلومَات الخاصَّة بالممالِك النُوميدية رُغم ما قِيل عن اهداء سكيبيون اميليانوس لبعض محتوياتها للعاهل النوميدي ماسينيسا.

الفصل الأول

المعتقدات الدينية النوميدية قبل إنشاء قرطاجة (814 ق.م)

أولا : العادات الجنــــائزية:

I - عادات الدفن.

II – تقديم القرابين.

ثانيا : تقديس مظاهر الطبيعة و الحيوانات:

1- تقديس مظاهر الطبيعة.

2- تقديس الحيوانات.

تقديــــم:

إن دراسَةَ التأثير الديني تجعل من الضروري علينا أن نقدم تعريفات مختصرة للدين، فهذه الكلمة تنطوي على العديد من المعاني المتباعدة والمتناقضة في كثير من الأحيان، فقد قيل في تعريف الدين أنه الاعتقاد بأمر مقدّس و قيل هو الإيمان بموجودات روحانية، و قيل إن الدينَ عبارةُ عن الاعتقاد بقوة أو قوى فوق البشرية، ينبغي إطاعتها و عبادتها، و قيل إن الدين يعني المُلك و الخِدمة والذُل والإكراه والإحسان والضر والنفع والخير والشّر وهو اسمٌ لكلِ ما يعتقد أو يتعبد به[1]،كما اختلفت معانيـــه من فترة تاريخية الى أخرى ومن مجتمع الى مجتمع آخر، وهو اختلاف ناتج عن اخـــتلاف الوضـــعية المادية والإجتماعية ومدى التطور الثقافي والتكنولوجي، فمفهومُ الدين عند البدائي تناقضُ مفهومها عند انسان العُصُور الوسطى وعند الانسان المعاصر،كما تختلف معانيها من دينٍ لآخر.

تعرض الكثيرُ من الباحِثِين الى بنية مجتمعات الحضارات القديمة فكريا وثقافيا، هذه البنية الـــتي يعد الدين أقدم تجلياتها، فقد عرف الإنسان بأنه كائنٌ متدين الى جانبِ كونه كائن ناطق ومفكـــر حسب أرسطو، لكن الاتفاق لم يحصل بين المتخصصين في ضبطِ تعريفٍ شامل وموحد للدين، ظـــل الدين في تاريخه الطويل بجانب الانسان يمده بإجابات ليشبع نهمه من الأسئلة المحيرة المتعلقـــة بنفســـه وبالعالم الذي حوله، فالبدائي يفترض الدين وجودٌ لعالمٍ خفي(**كائنات روحيـــة**) [2]، قـــد يتجلـــى لأشخاص دون غيرهم وقد لا يفعل، ويتواجد هذا العالم المخفي مع العالم المحسوس الـــذي يكـــون أكثر وضوحا وبداهة، وهو أمر يجعله يشعر أنه لا يملك السيطرة على كل ما حوله، فهنـــاك دائمـــا شيء يتجاوزه، هذا الشيء قد يكون أساسَ وجوده (**الدين**).

ولدت المعتقدات البدائية فرديا، أي أن لكلِّ إنسانٍ بدائي مفهوم خاصٌ للدين في أعماقِ فكره يختلف عن مفاهيم الآخرين، ثم تبادَلَ الافراد خبراتهم الدينية المُنعزلة مع بعضِهِم الـــبعض في محاولـــةٍ لتحقيق معتقد واحد يجمع بينهم، معتقد يطغى على جميع المفاهيم الفردية السابقة[3]، فمن خـــلال القرابين والرقص الطقوسي والصلوات والتراتيل وغيرهما تدمج الانفعالاتُ الفرديةُ المتفرقة في انفعَالٍ عام، يشرحُ نظرةَ الجماعة البدائِية هذه الى الإله[4].

1- ابن منظور (1988) لسان العرب، بيروت: دار الجيل، ج2، ص1044.
2- فراس السواح (2002) المرجع السابق، ص24.
3- المرجع نفسه، ص31.
4- بيار بونت ، ميشال ايزار(2006) معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف مصباح الصمد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص861 .

وقد أخذ هذا المعتقد الجديدُ أجيالاً كثيرة حتى تتبلور وتنتظم طقوسه، وظهرت في هذه المرحلة الأساطير (**Mythes**) حتى تفسر ما صعب على معتنقي المعتقد فهمه[1]، من خلال توضيحه وإغناءه بصيغ تساعد على حفظه وتداولِه بين الأجيال[2]،كما أنها تضمن ربط الدين بالعواطف الانســـانية حتى تكون فكرة الاله حية، فهي ترسم صوره وتعطيه اسماءه وتكتب له ســـيره الذاتيـــة وتـــاريخ بطولاتِه، كما تبين صلاحياته وعلاقاته مع الالهة الاخرى[3]، ثم أشرف على تأديـــة الطـــــــــقوس الدينية والشعائر الجنائزِية والتوسط بين العالم الدنيوي والعالم القدسي في المجتمعاتِ القديمـــة أفـــراد متميزون، أخذوا صفة الكهّان وتمتعوا بسلطةٍ مطلقةٍ على الحياةِ الدينية[4].

وحتى يسهُل علينا دراسة الحياة الدِّينية في نُوميديا أثناء العهد القرطاجِي، لابد لنا من معرفـــةِ الحالة الدينية للمنطقة قبل استقرار الفينيقيين بها، هذه الفترة من تاريخِنا القـــديم تناولهـــا المؤرخُـــون والجُغرافيون القُدماء في سياق تأريخهم للحضارات الوافِدة خاصة حضارة الفينيقيين والرومان، حـــتى صار من يطلع على ما كتبوه يستنتج أن بلادنا لم يكن لها أي كيان مميز بل هي مُجرد جزء من هذه الحضارة أو تِلك، ولدحض هذه المزاعم ارتأينا أن نجعل هذا الفصل في بداية بحثنا، درسنا فيه بقايـــا مخلفات فجر التاريخ في بلادنا والتي تهم الجانِب الديني، وهو الجانب الذي شكل دافعًا قويًا للإنسان المغاربي القديم حتى يبدع فنيا سواء بالرسمِ على الصُخور أو ببناء القُبور مثله مثل أي إنسانٍ في تلك الفترة، هذا ما يُؤكده **مارسيا الياد** المُتخصص في علم الأديـــان بقولـــه:« **...وإذا اعتبرنـا أن أهل العصـور الحجريـة بشـرا حقيقيـون فـإن ذلـك يتبـع إنهـم امتلكـوا معتقـدات ومارسـوا بعـض الشـعائر** »[5]، كما يفند **مالينوفسكي** في كتابه **"السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية"** الخرافـــة التي التصقت بالإنسان البدائي، وتصفه بالافتقار إلى الدين والأخلاق والعلم، فهو يقُول في مســـتهل بحثه :« **لا يوجد أناس مهما كانوا بدائيين دون دين وسحر** »[6].

ومن المعروفِ في تاريخ الحضاراتِ الانسانية، أنه لا توجد أيُّ حضارةٍ لم تولي اهتمامـــا كـــبيرا بالموت، و لم تفكر شعوبها الى ما سيؤول اليه الإنسان بعد مفارقتِهِ الحياة الـــدُّنيا، فكـــلُ مجتمعـــاتِ الحضاراتِ القديمة صوَّرت رُؤيتها للموتِ في شكلٍ مميز، يختلف عن باقِي الشُعوبِ أو يتشابه

1- خزعل الماجدي (1998) بخور الالهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، ط1، ص57.
2- مارسيل ديتيان (2008) اختلاق الميثولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص16.
3- فراس السواح (2002) المرجع السابق، ص59.
4- إرنست كاسير (1961) مدخل الى فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الهادي عباس، سوريا: دار دمشق، ج1، ص160.
5- مارسيا الياد (1986) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، سوريا: دار دمشق،ج1، ص18.
6- برونسلاو مالينوفسكى (1995) السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ص09.

باختلافِ تفسيراتِها للإله والرُوحِ والجسد؛ إذن كان الموت أكبر هواجس الإنسان البـدائي، فهـو يلاقي الخطر في كلِّ مكانٍ يتواجد فيه، لذلك فقد تعلّم الدفن منذ البداية فقد ذكر لنا القران الكريمُ قصة دفن ابن ادم قابيل لأخيه هابيل بعد أن تعلم ذلِك من غراب، قال الله تعالى **(فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)** [1].

كما عُثر على بقايا عظامٍ انسانيةٍ في الكُهُوفِ الأولى التي سكنها [2]، غير أن الدلائل الأثريـة الأولى عن الدفن تعود الى انسان النياندرتاليون منذ ما يقرب من **(100ألف سنة)** والذي اسـتعمل المغرة الحمراء لتلوين جُثث موتاه وسلخِ اللحم عن الجسد[3]، وسُكان شمالِ إفريقيا القدماء كـانوا يولون اهتمامًا كبيرًا بموتاهم أيضا، فقد أكتشف في موقع كلُومناطة قُرب تيارت عظام انسانية ملونة ومبعثرة كدلالة على استخدام انسان الحضارة القفصية للمغرة الحمراء وتعرية الجثة من اللّحـم[4]، كما شيدوا لهم مقابر ذات غرف جنائزية بمواد صلبة وكأنهم أرادوا لها البقاء الأبدي، ودفنوا جثث موتاهم في وضعيات مختلفة ومصحُوبة بأثاثٍ جنائزيٍ، وهي سُلوكياتٌ تبرهن على وجود معتقدات دينية مورست بقوة ومازالت بعض من أثارها إلى اليوم .

أولا : العادات الجنـــائزية:

I - عادات الدفن:

مارس الانسان البدائي طقوسا مختلفة، تدل على ايمانه بحياة أخرى بعد مماته وعبر عن خشـيته من الموت وامله في الحياة الاخرى – هذه الحياة الثانية التي قد تكون علـى القَمـرِ أو الأرض أو في المحيطِ أو في أيِّ مكانٍ آخر[5] – بابتداعِهِ طقوسَ دفنٍ مختلفة .

لذلك تُعتبر عملية الدفن(*) مع المرفقاتِ الجنائِزية من أسلِحةِ وحلي وفخار[6]، دلـيلاً هامـاً يؤكد إيمان الإنسان القديم بحياة ثانيةٍ جديدة بعد موته، تطلبتْ الإهتمام بجثته كما ينبغِي، خوفا مـن أن يعبث بها انسانٌ أو حيوان أو العوامِل الطبيعية المختلفةُ.

1- القرآن الكريم: سورة المائدة ، اية31.
2- مارسيا الياد (1986) المرجع السابق، ج 01، ص26.
3- فراس السواح (2002) المرجع السابق، ص212.
4 - Grebenard D (1996) « Capsien », extrait Encyclopédie Berbère, N°12, paris: Edisud, p1763.
5 - Anati E (1999) La religion des Origines, trad. Patrick Michel, paris: édit Bayard, 2°edit, p51.
*- الدفن: هو عملية إيداع بقايا الميت أو عدة أموات في مكان مخصص يسمى المدفن، وهو ما يبين رغبة الإنسان في تأدية طقس جنائزي.
6 -Gsell S (1901) op.cit, pp2-3.

اذن فالمدفنُ يبرز الاعتقاد الديني والشعائِري لهذا الإنسان، لذلك سنُخصص هذا الجــزءَ مــن البحث لدراسة هذه الظاهرة الدينية ببلاد المغربِ القديمِ بشيءٍ من التدقيق مع اجمال أنواعها ومناطق انتشارِ كل نوع، مع العلم أن هذه المدافن قد تنوعت واختلفت من حقبةٍ زمنيةٍ لأخرى،كمــا أنهــا شهدت العديد من التأثيرات الخارجية في بنائها، ومعظم هذه المدافِنِ بقيت مستعملةً طيلــة الفتــرة التاريخية، و لم تختفي كليًا إلا بعد اعتناقِ النوميد للمسيحية ثم الاسلام .

1- الدفن في المغارات والكهوف:

أقدم المعتقدات الدينية في بلاد المغرب القديم ترجع إلى فترة العصر الحجري القــديم الأعلــى المتأخر(**Epipaléolithique**)، ففي موقعي افآلو ببجاية و تافورالت بالمغرب الأقصى بيّنت التنقيبات أن الإنســان الإيبيرومغــربي (**Ibéro-Maurisien**) [1]كــان يــدفن موتــاه داخــل المغــارات الطبيعية(**صور4و3**)، وتحديدا على حواف جدرانها الداخلية في وضعيات مختلفة (**شكل2**) [2]، لنا في هذا الخصوص شواهد كثيرة إذ نجد عظاما متراصة وعشرين جُمجمة مستوية في خط واحد بمغــارة سيلا (**Sila**) قرب قسنطينة[3]، وعادة ما أضيفت للجثة الحلي والأسلِحة والأوانِي التي إســتعملهَا الإنسان في حياتِه اليومية[4]،مثل بقايا كل من سيجوس و تيديس قرب قالمــة و بونــوارة [5]، وفي مرحلة لاحقة استعملت كهوف اصطناعية ادخلت عليها تحويرات بسيطة على حوافها وأرضياتها[6].

هذا يوضح العِناية الكبيرة بدفن الموتى التي مردُّها الاهتمام بظاهرةِ الموتِ، وهو مــا يــبينُ أن الإنسان المغاربي القديم قد مارس أولى معتقداته في فترات ما قبل التاريخ[7]،كما يدل علــى درجــة عالية من التقدم الفكري، على عكس ما يشيعه بعض الباحِثِين الذين بينوا أنه بقي يُهمِل جثث موتاه في الخيام وبالهواءِ الطلق[8]، إلى أن تعلم دفنها عند قدوم الفينيقيين، بل كان عند مجــيء العناصــر الفينيقية غارقًا في بدائيةِ ما قبل التاريخ، وأنه تلقى الحضَارة جاهزةً دون أن يقوم بأيِّ دورٍ يُــذكر في بلورتِها.

1- الحضارة الايبيرومغربية: تؤرخ بأكثر من **22ألف سنة**، هي احدى حضارات العصر الحجري القديم النهائي**épipaléolithique**،وهي حضارة ذات امتداد ساحلي إلا ان تأثيراتها تمتد حتى شمال الصحراء، ينظر:
Slimane Hachi (2003) les cultures de Lhomme de mechta Aflou, les gisement d'Aflou Bou rhmmel (massif des babors, Algérie) mémoire de C.N.R.P.A.H, nouvelle serie,n2,pp15-24.

2- عزيز طارق ساحد (2009) التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ- نموذج المعالم الجنائزية بمنطقة الأوراس ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر: معهد الاثار، ص27 .

3 - Camps G (1961) op.cit, p65.

4 - Gsell St (1901) op.cit, pp2-3.

5 - Debruge A (1908) « les grottes des ours »,R.S.A.C,T XLII,pp117-118 ; Gabriel C(1955) « Abri sous roche de Bou Nouara », Bulletin de la Société préhistorique française, t. 52, p. 10-11

6- محمد الصغير غانم (2003) المرجع سابق، ص09.

7 - Gsell St(1921) H.A.A.N,T1, p256.

8- شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص67.

اختار إنسانُ تلك الفترة المغاراتِ الواسعة والعميقة حتى يضمن المأوى لأكبرِ عددٍ مُمكن، فقد أشار قزال إلى أن مغارة الصخرةِ الكبيرة شمال العاصمة (**مدينة الجزائر**) كانت تكفِي لإيواءِ عشـــرين شخصاً[1]، كما انها كانت توفر مكانًا اكثر قربًا من الاله حسب اعتقاداتهم[2].

وما يلاحظ في هذه المغارات هو اعتماد شعائر دفن مميزة كتعرية الجثة من اللحم[3] وترميـــد الميت(**L'incinération**) [4] واستعمال المغرة الحمراء (**L'ocre-rouge**)، وهي تراب صلصـــالي يستخدم في التخضيب يدهن بها الإنسان موتاه ويلون بها جسمه أيضا[5] .

كما وُضعت الجُثَث في وضعيات مختلفة عند دفنها فبعضها كان ممددا على الأرض وبعضـــها في شكل جنيني أو موضوعا على الجانب [6].(**انظر الشكل3**) وهو ما يوضح وجود اعتقادٍ بأن الكائن الحي مكوَّن من جسدٍ مادي وروح تكتسب قوة غير عادِية عند خروجِها(الموت)، وتتخذُ فيما بعد شكلاً نافعا أو ضارا وفقا لموقف الاحياءِ منها، وهذا ما يفسر وضع الجثة وفق طرقٍ مختلفة، لأن هذا الوضع من شأنه منع الجسد من التمدد والخروج الى عالم الاحياء محملاً بالقوى المؤذية، وعادة مـــا حمي الرأس بألواحٍ حجرية ووجه نحو جهة الشرق الذي أعتبر رمزا لإعادة البعث، كما قـــد تنثـــر بعض الازهار فوق قبر الميت باعتبارها رمزًا لانبعاثِ الحياةِ في الشجر كما هو الشرقُ رمزٌ لانبعـــاثِ الشمسِ والقمر[7].

1 -Gsell St (1901) op.cit, p1.

2 -Picard G.Ch (1954) Les religions de l'Afrique antique, Paris: édit Plon, coll. civilisation d'hier et d'aujourd'hui, pp3- 4.

3- تعرية الجثة: كانت الجثة تدفن في مكان أولي وتبقى حتى تتجرد تماما من اللحم ثم تنقل لتدفن نهائيا في مكان آخر.

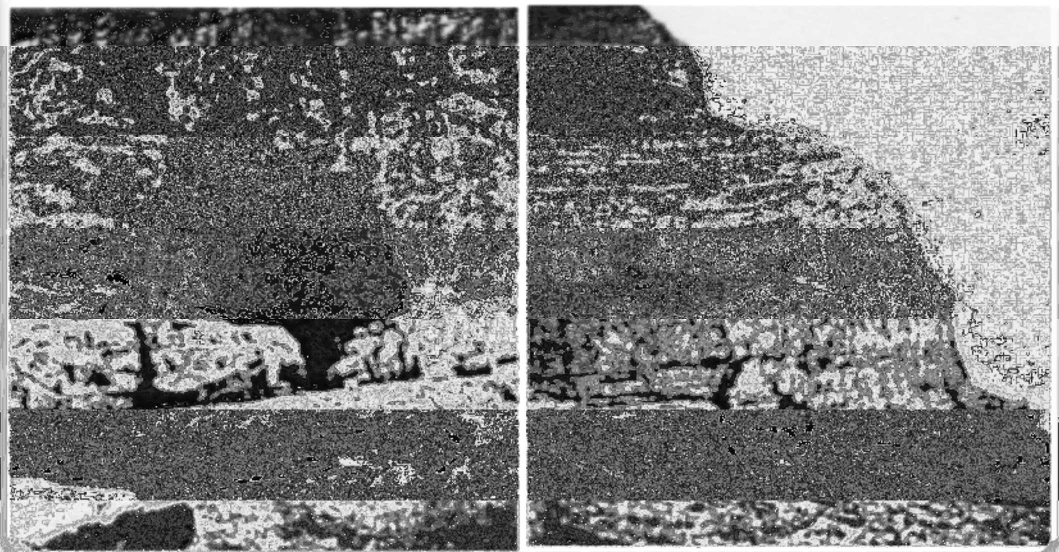
4- الترميد: تعني حرق الجثة كليا أو جزئيا وتحويلها الى رماد، ثم يتم نثر الرماد على كامل مساحة المعلم الجنائزي أو يحفظ في أواني داخل القبر، عرفت هذه الطريقة في تاريخ متأخر في الشمال الشرقي لإفريقيا الشمالية، أما الاقليم الغربي(وهران والمغرب الاقصى) فإن هذه العادة استمدت أصالتها من العادات الايبيرية القريبة، انضر:

Camps G (1962) op.cit, paris, p65.

5 -Camps H F (1966) matières et art mobilier dans la préhistoire nord africaines saharienne, paris: édition A.M.G.pp15-16.

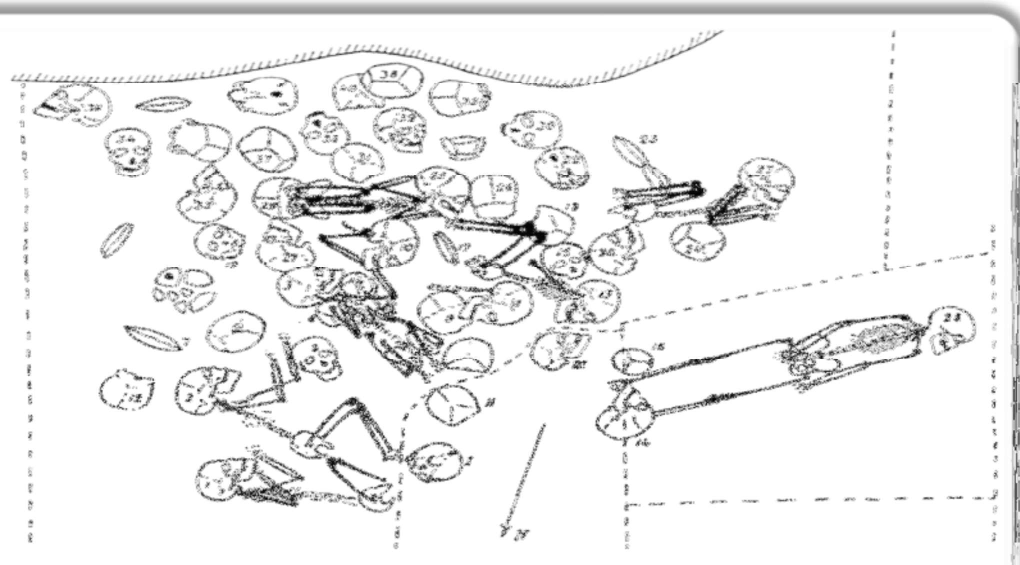
6.-Reygasse M (1950) monuments funéraire préislamiques de l'Afrique du Nord Paris: édit Arts et métiers graphiques, p97.

7- فراس السواح (2002) المرجع السابق، ص ص128-132.



(الصورة 3): أحد الكهوف المقدسة بجبل سيدي مسيد بقسنطينة.

محمد صغير غانم(1999) "قسنطينة عبر تاريخها القديم" عدد12، ص134.



(الشكل 2): موقع افآلو ببجاية أين عثر على الهياكل المدفونة بوضعيات مختلفة.

Arambourg C & autres (1913) Les grottes des Beni-Seghouals (Algérie). paris: Arch. De l'I.P.H, Mé: N° 13, pp 189-206.

مع نهاية العصر السابق ابتعد الإنسان عن استعمال المغارات الطبيعية كمدافن لأمواته واتخـــذها كأماكن مقدسة خاصة بالعبادة [1]، واستعمل مكانها خنادق محاطة بحجارة لتُكوّن أضرحة كمدفن **كلومناطة** بتيارت [2].

تلك إذن هِي المدافِنُ التي استخدمها إنسان ذلك الوقت، قبل التوصُـــلِ إلى نقـــشِ قبُـــوره في الصُخور (**الحوانيت**)، وفي مرحلَةٍ لاحقة بنائها في شكلٍ مزخرفٍ وضخمٍ عرف بالأضرحة.

2- <u>الدفن في الحوانيت</u>: (Les Haouanets)

اهتم الإنسان في هذه الفترة بتوسيع المدافن وتهيئتها عن طريق استعماله لحجارة صغيرة و كـــبيرة تم مزجها بالتربة لتشكل معالم جنائزية، كما انتشرت المقابر الواسعة التي تضم العديد مـــن المـــدافن كمقابر الركنية و**بوسفيان** و**ايشوكان** شرق الجزائر[3]، وقد شيدت هذه المقـــابر علـــى المنحـــدرات والهضاب الصخرية وعرفت لاحقا باسم الحوانيت[4].

وقد احتوت بعض الحوانيت رسوماتٍ بسيطةٍ ربما لها علاقة بالجثة المدفونة فيهـــا، كحـــانُوتي قلعة السنام (**Kalaat-Es'sanam**) وجبل زيت (**Djebel-Zit**) [5]، كما ظهـــرت في حوانيـــتٍ أخرى رسومات أكثر أهمية كحانوت كاف البليدة شمال تونس (**Kef-el-Blida**) أين عُثـــر علـــى لوحةٍ لسفينة فينيقية وعليها بحارة يرتدون أقنعة ويحملون رماحًا[6].

أما من حيثُ النوع فيمكننا أن نشير إلى ثلاثةِ أنواعٍ بإيجاز: (**انظر الصور5**).

- **أ/ <u>الحوانيت البسيطة</u>**: وتعتبر أكثر الأنواع انتشارا، تمتاز بحجم صغير يتراوح بين (**1.5** إلى **2 متر**) طولاً، و(**0.46** الى**1.80 متر**) عرضا يغطيها سقف أفقي لتشكل بذلك شكلا مكعبا[7]، ونظرا لضيقها فقد أكد الباحثون أن الجُثث كانت توضَعُ في داخلها بشكلٍ منحنٍ، ومن أمثلةِ هـــذا النوع من الحوانِيت نجد **موقادوس** (**Mogods**) بتونس و **روكنية** (**Roknia**) بالجزائر[8].

---

1 - Corhan O (1964) les religions de la préhistoire paléolithique, presse universitaire de France, p95.
2 - Cadenat P (1955) Nouvelles fouilles à Columnata .lybica.t III, P263-285.
3- طارق ساحد (2009) المرجع السابق، ص29 .
4- الحوانيت: هي جمع حانوت أي الدكان، وهي تسمية أطلقها الأهالي على القبور التي الصخرية التي يشبه شكلها الخارجي الدكان، محفورة داخل كتل صخرية مفتوحة نحو الخارج بواسطة فتحة صغيرة ينظر..
Camps G(1961) op.cit ,p111.
5 - ibid., p101-102.
6 - Tlatli SE (1978) la Carthage punique études urbaine, la ville, ses fonctions, son rayonnement paris: éd librairie d'Amérique et dorient.p140 .
7 - Camps G (1961) op.cit.p98
8 - Ibid. P65.

- **ب /الحوانيت المحفورة في الصخور:**

حُفرت في صخورٍ معزولة [1]، تعلُوها قبة جنائزية تضم القبر وتمتازُ بسقف منحني الشكل ذو بواباتٍ عمودية، ومن أمثلة هذا النوعِ حوانيت بوحجار **(Bou-Hadjar)** بالطارف و حوانيت شمال شرق تبسة وحوانيت منطقة دوقة بتونس[2].

- **جـ/ الحوانيت متعددة الغرف:**

وهذا النوع يمتاز بوجود أكثر من غرفة جنائزية عكس النوعين السابقين،كما تحتوي أغلبُها على توابيت حجرية تحت الأرض وفي حالاتٍ أخرى تحتوي على مدخلٍ منحني، وبسبَبِ ضيق مقاييس الغُرف الجنائزية فإن الجُثث قد تكون تُوضع في شكلِ الجلوس[3].



(الصُور5) **بعض أنواع الحوانيت المحفورة في الصخور في شمال افريقيا**

Camps G (1961)Aux origines..op.cit ,pp111-168 .

1 - Gsell ST (1901) op.cit ,p39;40.
2 - Camps G (1961) op.cit, p100.
3 -ibid .

3- **الدفن في الجثاوي**: (التيميلوس)Tumulus

عرفت المدافن تغيرات كبيرة في الشكل الداخلي والخارجي لها خاصة في فترة فجر التاريخ،بـــدءا بالتيموليس أو (الجثوة)، وهي عبارة عن رًكام حجري مخروطي يوضع فوق جثة الميت مـــن أجـــل حفظها وحمايتها، قاعدته تتراوح بين **(5–20 متر)** [1]، وهي ذات أشكال بيضاوية أو مربعة وأحيانا تأخذ شكلا مدرجا[2]، وتوجد الجثوات هذه على نوعين رئيسين في بلاد المغرب القديم هما: **(انظر الشكل4)**.

أ/ **الجثوة البسيطة**:

تعتبر الأكثر انتشارا في بلادِ المغرب، وتُوَّجه للدفن الفردي والجماعِي،كما اعتبرهـــا الأثريـــون البناء الأصلِي التي بُنيت على شاكلتِهِ الجثوات المتطورة اللاحقة وفسَّروا ذلك باستعمالِ تقنية تكديس الحجارة فوق بعضِها دون ملاطٍ، وهي مشكلة عُمومًا من الحجارة الممزوجة بالتربة، يتراوحُ قُطرها ما بين **(10م و 22 م)**، أما الإرتفاع فيتراوح ما بين **(2 م و 4.5م)**[3].

ب / **الجثوة الحديثة**:

وهي البازيناس Bazinas[4]، فقد شهدت الجثوة البسيطة تطورًا مس تهيئـــة القـــبر ببنـــاء الصندوق الجنائِزي الذي أصبحت تُوضع فيه الجثاوي،كما تطورَ مظهرُها الخارجي كـــثيرا بعـــدما أصبح البناؤون يهتمون برصف الحجارة وتنظيمِها بإحكامِ عكسَ ما كان يُعمل به سابقًا، فصـــارت الجثوات تتميز بكساءٍ خارجِي ذو أشكالٍ هندسيةٍ متنوعة[5].

تنتشر البازينات على نطاقٍ واسعٍ في شمالِ إفريقيا، وتتركَزُ في الشرق الجزائِري بصورة كبيرة، وقد ميز الأثريون بين عدة أنواعٍ من البازينات تدلُ على تطوراتٍ هامة مسَّت أشـــكالها ومرافقهـــا والمواد المصنوعة منها، فهناك البازينات الاسطوانِية ذاتِ الدرجتين أو الثلاثة وهناك أيضًا البازينـــات ذات القاعِدة المربعة أو المُستطيلة كما توجد أيضًا البازِينات ذات القاعِدةِ الأُسطوانية المرتفِعة خاصةً في الشرقِ الجزائري.

---

1 -Reygasse M (1950) op.cit, p06.
2 -Gsell St (1901) op.cit. p06 .
3 -Dessigny (capitaine) (1908) « Notice sur quelques monuments de la région de Ain Sefra». paris: B.A.C, p 73.
4- البازيناس: يطلق هذا المصطلح على الاكمة الحجرية التي تضم قبور دفن عديدة ويعلوها ركام في شكل بناء مستدير غير منتظم.
5- محمد الصغير غانم (2003) المرجع سابق، ص16.

ومِمّا لوحظ أن أغلب الجُثث الموضوعة داخل الجثاوي السابِقة أنها كانت متزُوعة الأقدام، بل وأحيانًا الرجل حتى الرُكبة وهذه الظاهرةُ هي الأكثر انتشارًا[1].

يرجعُ الكثير من الأثريين أن الأنواع السابقة كانت مصدرا للنموذج الــذي اعتمــد في بنــاء الأضرحة الكبرى، كالضريح الملكي الموريتاني بتيبازة والمدغاسن في ضواحي باتنة[2]، فقد استوحى بناؤها أشكال قاعدتها وتيجانها الهرمية المدرجة من الأنواع السابقة[3].

4- الدفن في المصاطب: (الدولمن Les Dolmens)[4]

وهي في شكل بناء صخري مكون من أربعة جدران تعلوها صفيحة صخرية كغطــاء أفقــي للغرفة الجنائزية(**شكل دولمن**)، وهي مختلفة الأشكال والأحجام، أغلب دولمانات شمال إفريقيا مستطيلة الشكل بمقاييس تتراوح بين(**1.20م** الى**1.50م)** طولا و(**0.80 إلى 1م)** عرضا، أما ارتفاعها فــلا يتجاوز (**1.20م**)[5].

عادة ما بني صُورٌ يحيط بالغرفة الجنائزية باستعمالِ صفٍ واحد من الأحجارِ أو حــائِطٌ يبلــغ مستوى الطاولة الأفقية، وتنتشر الدولمن في مساحاتٍ واسعة بدءًا من غرب تُونس مــرورًا بشــرق الجزائر أين نجد أكبر عددٍ منها، ويقل ظُهورها كلما اتجهنا نحو الغرب وتكادُ تنعدم عنــد تجاوِزِنــا الأطلسَ الصحراوي[6].

والدولمن على ثلاث أنواع:

- **الدولمن البسيطة:** تمتاز بقصرها وغرفها ذات الأشكال المستطيلة والمربعة ونجدها تنتشر في الجزائر الداخلية ووسط تونس[7].
- **الدولمن المركبة:** وهي بمثابة قبور ميغاليثية ذات أروقةٍ وغرفٍ عديدة تنتشــر في دوقــة بتونس ومنطقة القبائل بالجزائر.
- **الدولمن المستطيلة**: عادة ما تحاطُ بها جدران في شكل دائري، تبنى بوضعِ أربعة أحجــار كبيرة عموديا، يصل ارتفاع سقفها إلى حدودِ (**2.20 متر**) ارتفاعًا، تضم العديدَ من الجثث يصِــلُ عددها حتى سبعة أشخاصٍ،كما وجدت بعضُ الأواني الفخارية والأسلحةُ المرافقة للجُثَثِ[8].

---

1 - Camps G **(**1961**)** op.cit, pp 79-70.
2 - Krandel A (2002) op.cit, pp163-164 .
3- رابح لحسن (2007) أضرحة الملوك النوميد والمور دراسة أثرية وتاريخية مقارنة، الجزائر: دار هومة، ص30.
4- الدولمن: تعني الطاولة الحجرية(طاولة =dol حجر=men ، أول من استعمل هذا اللفظ هو الفرنسي روبو للدلالة على قبور منطقة الجلفة.
5 - Gsell St (1901) op.cit, pp191-192.
6 - Camps G **(**1961**)** op.cit, p119.
7 - ibid. P116.
8 - Gsell St (1901) op.cit, pp 19-24.

5- الدفن في الدوائر الحجرية: (Cromlechs)

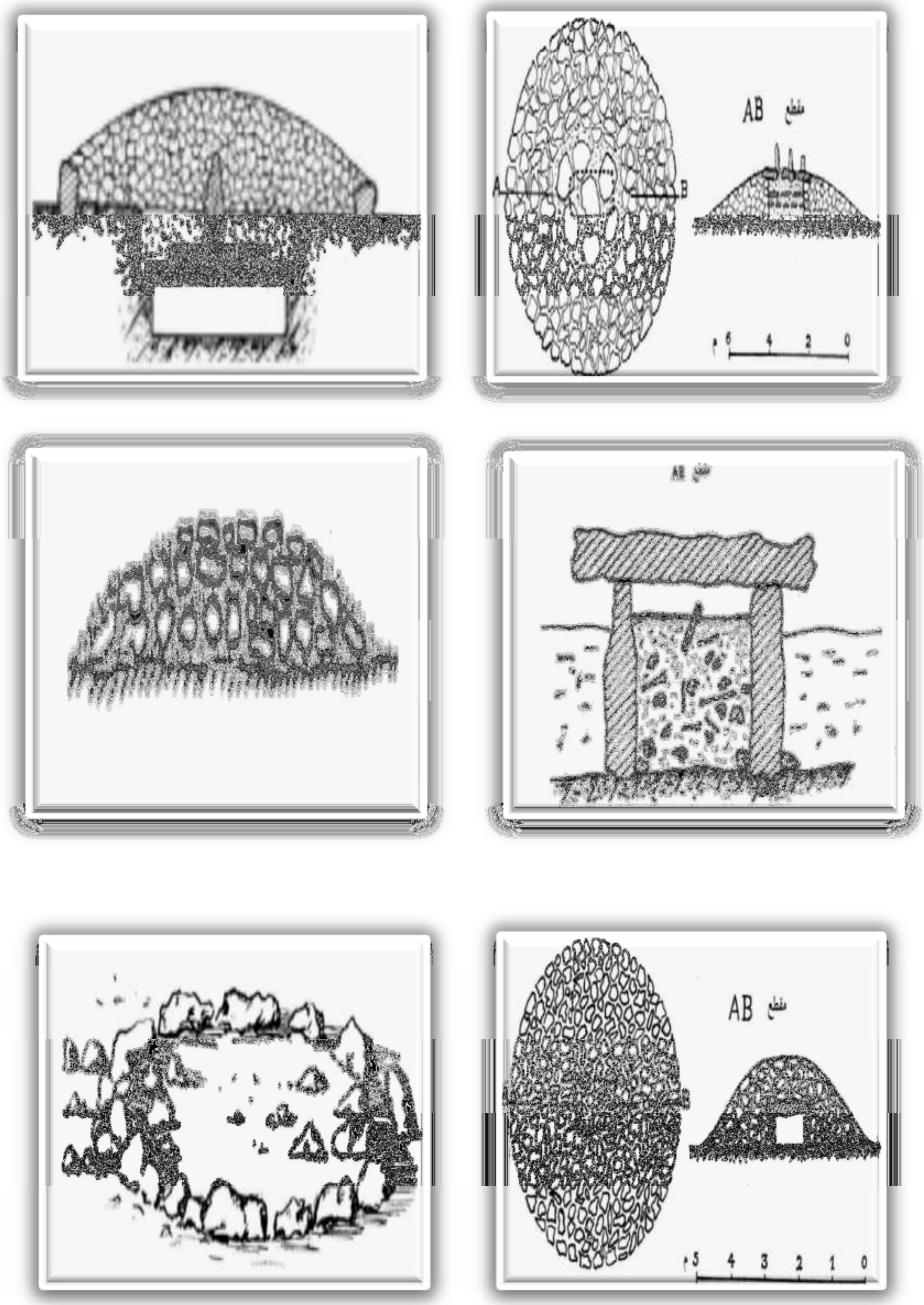
كما وجدت أيضا مدافنٌ في شكل دائري عُرفت باسم الـــدوائر الحجريـــة (**Cromlechs**)، تتشكل الدائرة من حجارة صغيرة فضة قليلة التربيع تحيط بالجثوة التي تضم غرفة جنائِزيـــة، علـــى شكل حفرة عميقة نوعا ما في مركز الدائرة الحجرية وقد رُجِح أن تكون هذه الدوائر الحجرِية قـــد استعملت لأغراضٍ غير الدفن كعرضِ الجثة قبل دفنها أو كمذبح لحرق الجثث[1]، ينتشر هذا النوع من المعالم في عدة مناطق من بلاد المغرب،كمنطقة أولادِ نايل و التي تميزت بأشـــكالِها العديـــدة و المُتنوعة وهي في جيدة الحفظ، تتكون من سياج حجري قطره حوالي (**4م**) مشـــكل أساســـا مـــن حجارة مغروسة بشكل أفقي، اما ارتفاعه فحوالي(**0.40م**) [2].

وينتشر هذا النوع من المدافِن بكثرة في الهِضاب العليا وبدرجاتٍ أقل غربا في الاوراس وبـــلاد القبائل وقرب قسنطينة و سطيف، كما توجد أيضا في قصر الشلاَّلة بتيارت والمنطقة الممتـــدة بـــين معسكر وسعِيدة[3].

6- الدفن في الشُوشات:

في فترات لاحقة أُستُعمِلت في المنطقة القُبُور القلاعية أومأ يعرف بالشُوشات[4] وهي عبـــارة عن مدافن دائرية عالية تصل حتى(**3 أمتار**)، مع قطر بين(**3 إلى 5 أمتار**) [5] مبنية بحجارة مرصُـــوفة بإحكام، وفي عمقها نجد الغرفة الجنائِزية التي تتضمن جثة مُنطوية جردت مـــن اللَّحـــم وأرفقـــت بفخاريات مملوءة بالغذاء، اضافة الى الأسلحة والحلي وغيرهما من المرفقات الجنائزية، الـــتي تؤكـــد الإيمان بالبعث بعد الموت[6]، وقد تركز وجودها في الشرقِ الجزائري أيضًا خاصةً شمال الحُضـــنة و بالأوراس، وبدرجاتٍ اقل في وسط الصحراء[7].

1 - Gsell St (1901) op.cit, p86.
2 - Lethielleux j (1956) « Vestiges préhistorique et protohistorique de la région de Djelfa », Libyca, tome XIII, p 255.
3- رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص30.
4- الشوشات: تشبه في شكلها الخارجي الشاشية المحلية للأهالي
5 - Reygasse M (1950) op.cit. p8.
6- رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص37.
7 - Camps G (1961) op.cit. p173 .



(الأشكال4) **بعض أشكال الجثاوي و البازينات**

عزيز طارق ساحد (2009) ص ص145؛ غانم (2003) المراجع السابق، ص ص13-15.

II – **تقديم القرابين**:

كان للاحتفالاتِ الطُقوسية التي تنتهي بتقديم قرابين وأضاحِي للآلهة مكانةٌ هامة في حياةِ الانسان البدائِي الدينية [1]، وقد أُعتبرت القرابين من أهمِ الشعائر الدينية لدى جميعِ الحضاراتِ الإنسانية من أكثرِها بدائيةً الى أسماها وأكثرِها تطورًا.

وتقديم القرابين عمل ديني يتمثل في تقديم أضحيةٍ ما، حيوانيةٍ أو نباتيةٍ أو غيرهما من أجل تقريبِ الخير أو ازالةِ وابعادِ الشر[2]، وقد وجد هذا الإعتقادُ انطلاقا من إيمان القدماء بحاجة الالهة والأموات من الناس الى الطعام كحاجة الأحياء اليه، و لم تقتصر على الأكل فقط بل شملت اللِّباس والحلي وأدواتَ الزينة، وغيرها من الاحتياجاتِ اليومية كما أنها تفاوتت كميةً وقيمة حسب غِنى أو فقر المُضَّحي.

ولقد بينت مختلف النقوش الجنائزية والرسوم الصخرية المكتشفة في شمال افريقيا وما عثر عليه في ملحقات الكثير من القبور البدائية السابقة من أواني فخارية تحمل عظاما حيوانية وبقايا أغذية [3]، وجود عادة تقديم المغاربة القدماء لقرابين واضاحِي متنوعة، ففي جهاتٍ متفرقة من الأطلَسِ الصحراوي، وبمنطقة (**الحرمة**) قرب قسنطينة و(**خنقة الحجار**) في قالمة و(**وادي ايتل**) ببسكرة عُثِر على رسوم صخرية تمثل أشخاصا جاثمين على رُكبهم وهم رافِعِين أيديهم الى الأَعلى، ويحمِلُون أشياءًا رسمت بطريقة غير واضِحَة، فُسِّرت على أنها قرابينٌ لآلهة ما.

وأشار هيرودوت لكيفية تقديم الليبيين القدماء للقرابين في قوله:« **أن طريقة البدو الرعاة في تقديم القرابين هي قطع جزء من أذن الضحية من أجل بواكير المحصول وإلقائه فوق البيت وعندما يتم هذا يلوون أذن الضحية الى الوراء**» [4].

خُصِّصت أماكن مُعينة لتقديم هذه القرابِين، إما اماكن هيأت مسبقًا خارج القبر، مثل الدوائِرِ الحجرية والممرات (مقبرتي **وادي تامدة** و**عين الحمارة** ببسكرة)[5]، أو بناءاتٍ داخليةٍ مندمجة معه في

1 - Lucien L.B (2007) le surnaturel et la nature dans la mentalité primitive, paris: édit Flammarion, p83.

2- طه الهاشمي (1963) تاريخ الاديان وفلسفتها ،بيروت: منشورات دار الحياة،ص219.

3 - Camps G(1961)op.cit, pp544-545.

4 - Hérodote,IV,188.

5- طارق ساحد (2009) المرجع سابق، ص221.

شكل أروقة ومحاريب[1]، أُطلق على هذه الملحقات مسميات عديدة،كطاولاتِ القرابين أو المواقِـــد أو المذابح[2].

وقد قدم المغاربةُ القدماء قرابين مختلفة ولآلهة متنوعةٍ بسعادةٍ ونشـــوة[3]، آملـــين اســـتعطافها وضمان الرخاء والخصوبة منها[4]، فقد عثر المنقبون على أواني فخارية كثيرة بالقرب مـــن المعـــالم الجنائزية أوفي داخل ملحقاتِها، تحمل بداخلها بقايا عظام حيوانات وأغذية، شكلت فيمـــا مضـــى اضاحيا تقرب بها المغاربة القدماء للآلهة [5].(أنظر الصور6)

و اختلفت أنواع القاربين من مقبرة الى أخرى تبعا للاعتقاد السائد والمنطقة الجغرافية التي يقدم فيها[6]،لذلك فقد صنفت هذه القاربين الى:

- **<u>-قرابـــين حيوانية</u>** :

يصعب على الباحث كثيرا أن يقدم صورة متكاملة عن القرابين والأضاحي التي قدمها المغاربي القديم لألهته فيما قبل التاريخ، ولا نجد إلا إشارات قليلة في الرسوم الصخرية التي تركها أو في بقايـــا مبانيه الجنائزية المختلفة.

قدم الانسان المغاربي القديم العديد من الحيوانات المحلية كقرابين لألهته، و نجد من ضمنها بعضا من الحيوانات التي اعتبرت مقدسة كالثورْ والكبش، فقد عثر على بقايا من عظامْ الثور وبعضا مـــن اسنانه في العديد من المعالم الجنائزية [7]، كمقابر **سيلا** و **بوشان** قرب قســـنطينة [8]، وقـــد أكّـــد الاثريون أن اختيار هذه الحيوانات لم يكن اعتباطيا بل لأنها حملت صفاتٍ تميزها عن غيرهـــا مـــن حيوانات المنطقة،كقوة الاخصاب أو القوة الجسدية، والتي هي في نظرهم صفاتٌ الهيةٌ، وبالتالي فهذه الحيوانات ترمز للآلهة لذلك فقد بقيت من أهم القرابين لفترات طويلة [9].

بعد ذلك بدأت التضحيةُ بالثيران تتراجع تدريجيا تاركة الكباش تأخذ مكانها لتصبح بـــذلك هذه الأخيرة أهم أضحية يقدمها المغاربي القديم، فظهرت صور الكبش في العديدِ من النُصُبِ النذرية

1- رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص271.

2 - Camps G (1961) op.cit, p537.

3- محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق، ص165.

4 - Krandel A (2002) op.cit, p414.

5- رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص 272.

6 - Krandel A (2002) ibid, p136.

7 - Camps G (196) ibid, p508-509.

8- طارق ساحد (2009) المرجع نفسه، ص232.

9 - Vassel E(1919) « études puniques, les animaux des stèles de Carthage » ;le bélier, Tunis : R.T, N°131, p174

المهداة **لبعل حمون (Baal-Hammon)** أثناء الفترة البونية كما ظهرت صوره في الانصاب المهداة الى ساتورن في الفترة الرومانية [1] .

لم تقتصر القرابين على الثيران والكباش، فقد عثر على بقايا عظمية لطيورٍ مختلفـــة كالـــديوك واليمام والحمام [2]أودعت في صحون فخارية وجدت داخل القبور أو بقربها وهو ما فسر على أنها أيضا كانت تقدم كقرابين للآلهة، وبقيت كذلك الى الفترة البونية والرومانية، ففـــي منطقـــة **باجـــة** بتونس وقرب **جيجل** وكذا في **نقاوس** عثر على أواني فخارية مُلأت بعظـــام الطيـــور[3]، وظهـــرت اليمامة في كثير من النصب النذرية المقدمة لــ **تانيت (Tanit)** في معبدي **ساتورن** و**تانيت كايلستيس** بين أيدي الكهنة [4]، مما جعلها تحتل مكانة أساسية كقربان ضروري لطلب الخصوبة.

لم تقدم الحيوانات المستأنسة وحدها قربانا للآلهة، بل شمل ذلك حتى الحيوانات البرية التي عثر على بقاياها في العديد من المعالم الجنائزية،كبقايا عظام الثعلب **بسيلا** وبقايا عظـــام الايـــل الـــبري والسلحفاة **ببني مسوس** [5].

- **<u>قرابـــين غذائية</u>**: قدمت الفواكه والزيوت وحتى الحلويات والخمور بشـــكل كثيـــف للآلهة المحلية وهو ما يجعلها لا تقل أهمية عن القرابين الحيوانية السابقة[6]، فمما يستشف من النصب النذرية فإن الرمان والعنب والتفاح كانت تقدم كقرابين[7].

وهي تستمد أصالتها من العادات المحلية ما قبل قدوم الفينيقيين الى شمال افريقيا واســـتمرت الى المرحلة البونيقية، فقد خُصِص لإراقة السوائلِ المقدمة قنوات وحفر صغيرة، عثـــر عليهـــا غالبـــا في الجنبات الشرقية لقبور الدولمن والحوانيت[8] .

1 - Vassel E (1919)Ibid, p175.
2 - Leglay M (1966) op.cit, p332.
3 - Krandel A (2002) op.cit. p136.
4 - Leglay M (1966) ibid. pp355-356.
5 - Camps G (1961) op.cit, p508.
6 - Basset R (1910) op.cit, p5.

7- محمد الهادي حارش (1995) المرجع السابق، ص150.
8- رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص273.

ثانيا - تقديس مظاهر الطبيعة و الحيوانات:

مع مرور الزمن وصل التفكير الديني للمغاربي القديم الى مرحلة أكثر نُضجا و تطورا، فقد اتخذ من مظاهر الطبيعة الهة، بعدما أمن بظاهرة حلول الارواح فيها **(Animisme)** [1]، كما اتخذ من الاحجار والاشجار الهة، وصنع منها أوثانا يقدسها ويتبرك بها في أفراحه وانتصاراته ويتوسل اليها اللطف والبركة في احزانه ومآسيه.

1- تقديس مظاهر الطبيعة:

تشترك الطبائع البشرية منذ القديم في الرغبة للوصول إلى حل ألغاز هذا الكون وأسراره غير المرئية، فكلما اقترب الإنسان بعيشه من العالم الطبيعي اشتدت رغبته في التواصل مع هذه القوى الخارقة التي تمتلك قوى وخصائص تفوق ما لدى البشر[2]، قوة تقوده ولا تنقاد إليه، وبالتالي تجعله مربوطا بها[3]، وقد كانت المعتقدات الأولى في شمال إفريقيا تعكس نظرة السكان للكون والطبيعة بمختلف مكوناتهما الروحية [4].

فقد كان للبيئة الجغرافية دور واضح في بلورة الفكر الديني للإنسان، من خلال إيحاءها بوجود الهة عظيمة تسيطر على كل تلك التضاريس والظواهر، فمنذ العصور الحجرية الحديثة، أظهر أهالي إفريقيا الشمالية اهتماماً في الأمور الدينية العميقة والصعبة الإدراك[5]، وكسائر الناس الذين يقضون أغلب أوقاتهم في الحقول أو الغابات لابد وأن تكون قد روعتهم القوى الظاهرة في الطبيعة، تلك القوى العنيفة والهائجة التي لا يمكن مقاومتها وهي تكتسح الأشجار والصخور،كما افتتنوا ايضا بهياج البحر وقوة أمواجه وهي تضرب السواحل الصخرية .

والطبيعة أيضاً مليئة بالخوف والرعب، فهي تحمل لهم قوى الحياة والموت، فإذا لم يتساقط المطر يفسد الحصاد وتموت الغلة، وهذا يعني المجاعة وإذا ما تفشت الأمراض في قطعان الماشية سيترصد الموت الناس أنفسهم، إذ أنهم يعتمدون على هذه الماشية لتأمين معيشتهم، لذلك أرادوا الوصول معها إلى ائتلاف وتواد، فجنحت بهم خيالاتهم الواسعة الى تأليه المظاهر الكبرى في الكون، من جبال وكواكب ومغارات وظواهر مختلفة، وتقربوا إليها بما يروه مناسبا لذلك، وصار لهم نوعين من

1- Gsell ST (1918) H.A.A.N, T3, p255.

2- فراس السواح (2002) المرجع السابق، ص24.
3- طه الهاشمي (1963) المرجع السابق، ص54.
4- شنيتي محمد البشير(1984) التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص257.
5- محمد الصغير غانم (2008) المرجع سابق، ص124.

المقدسات، مقدسات يخافونها قدسوها حتى يتجنبوا ضررها، ومقدسات يحبونها قدسوها لتستمر في اسعادهم.

أ - تقديس الجبال:

تمثل الجبال- الى جانب الكهوف- العبادة الطبيعية الأولى بالمغرب القديم[1]، وقد بين الباحثون أن شكل الجبال العام هو الذي أضفى عليها صفة القداسة، خاصة مع ارتباطها في ذهن الانسان القديم بالضخامة من جهة، وبالعلو الكبير من جهة أخرى، وهي في اعتقادهم صفات الاهية وجب احترامها.

وقد اختار الانسان الجبال لإقامة مراسمه الطقوسية الاولى، وذلك لاعتبارات عديدة منها أن تلك القمم بعيدة عن الانسان والحيوان، وهي بذلك في منأى عن التدنيس،كما أن علوها يسمح في نظر ذلك الانسان باقترابه من الهته الفلكية كالشمس والقمر[2]،كما اعتبرت الجبال وسيطا روحيا بين الانسان والهه لأنها تسهل عملية اتصال السكان المجاورين لها بالآلهة، فهي تلامس -السماء- المسكن الطبيعي لهاذه الالهة.

ومن الادلة القوية على أن الجبال كانت اماكن مقدسة يتعبد الانسان فيها ،تلك الرسوم الصخرية التي وجدت في التاسيلي أزجر[3]، تمثل بعضها مشهدا لمجموعة كبيرة من النساء والأطفال والرجال متوجهين نحو منطقة مرتفعة مقدسة تعودوا على أداء طقوسهم فيها محملين بالقرابين[4].

وقد اعتبرت جبال الأطلس[5] اله يحلف به ومكانا للتعبد،كما انه أعتبر عمودا متصلا بالسماء مسكن الالهة [6]، فقد أشار بليني الكبير الى أن السكان عندما يمشون بمحاذات أطلس **(على الأرجح جبل طوبقال أعلى قمة في المغرب العربي)** تستولي عليهم رهبة دينية وهم يرون قمته تخترق السماء متجهة نحو القمر[7].

1- محمد الصغير غانم (2005) الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص68.
2 -Toutain J (1920) les cultes païens dans l'empire romain, paris : coll. Bibliothèque de l'école des hauts études sciences religieuses, édit E. Leroux, p46.
3- التاسيلي ازجر: مستمدة من النطق المحلي بالتماهاق، وهي تعني السلسلة الجبيلية التي يغطيها السواد، أما ازجر فهي تعني جلد الثور المسلوخ أو رأس الأقرع انظر:
Leredde C (1957) Etudes Ecologiques et Phylogéographies de Tassili et Nil, Travaux de LIRS, p47.
4- بن بوزيد لخضر (2010) الاثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة تاسيلي ازجر خلال مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة - 2500/800 ق.م، الجزائر: مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ،ص 48.
5- انحاز أطلس Atlas ضد الالهة فغضبت الالهة وشكته الى زيوس الذي عاقبه بتحويله الى جبل؛ انظر: محمد العربي عقون (2008) المرجع السابق ،ص74.
6 - Basset R (1910) Recherches sue les religions des Berbères ,revue de l'histoire des religions ,p02.
7 - Pline Lancien (1950) L'histoire Naturelle ,trad Beaujeu .J, paris :édit Hachette,T1,liv V.

بقي المغاربة القدماء ساكنوا المرتفعات والأرياف بعيدا عـن التـأثيرات الأجنبيـة الفينيقيـة والرومانية، لذلك فعبادة الجبال بقيت سائدة لفترات طويلة، فقد ذكر القديس اوغسـطين (**Saint Augustin**) بأن السكان المحليين يقومون بارتقاء الجبل لأداء العبادة وقد بين ان ذلك يعني عنـدهم بأنهم أقرب للإله[1]،كما وجد علماء الاثار في بعض خلوات الجبال كجبل (**بوقرنين**) بقايـا لمعابـد رومانية كرست لخدمة وعبادة **ساتورن**، وبينوا أن هذه المعابد قد تكون بنيت على أنقـاض معابـد وثنية محلية، فعلى مسافة قريبة من مدينة سور الغزلان وجدت نقيشة لاتينية صغيرة احتوت دعـاءا لعفريت الجبل باستوريانيس (**Pastorianis**) [2].

كان المغاربة القدماء ينشؤون الرموز والصور على حجارة أعالي جبال الاطلـس الصـحراوي وجبال الريف، وعلى صخور مشرئبه عالية وكأنها تراقب وتنذر وهي صور حفظت الى اليوم وتعتبر من أهم مصادر معرفتنا للحياة الاجتماعية للسكان القدماء.

ب - <u>تقديس الكهوف والمغارات</u> :

كان للكهوف والمغارات عند كل الشعوب مقاما رفيعا بسبب ما يعتقدون من حلول الارواح بها، حتى ان بعض الباحثين جعل للكهوف عبادة خاصة واعتبروها أماكن مقدسة لـدى الانسـان القديم .

سبقت الاشارة الى أن الكهوف والمغارات الطبيعية كانت مكانا مخصصا للدفن، على اعتبـار أن الكثير منها يصعب العيش فيها ولا تليق لسكن الانسان ،لذلك فقد شكلت مكانا آمنـا لحفـظ الجثث، ثم أدخلت عليها بعض التعديلات والتحسينات لتصبح هياكل للعبادة، كما هو الشـأن في منطقة (**شتال هويـك**) بتركيا التي وجدت بها بعض من رؤوس ابقار رُصفت بشكل متقن، وبجوارها تماثيل صغيرة لآلهة انثى وبقايا عظام انسان تعود الى ما يقارب (**11ألف سنة**)[3] (**الشكل5**)، وقـد اختيرت المغاور التي يصعب الوصول اليها حتى تكون مقدسات الانسان في منـأى عـن التـدنيس وبعضها لا يتم الوصول اليه بسهولة، فهي تشكل متاهات حقيقية وذلك يشبه مـا عثـر عليـه في مغارتي نيوز (**Niause**) والأخوة الثلاثة (**les trois frères**) في فرنسا[4].

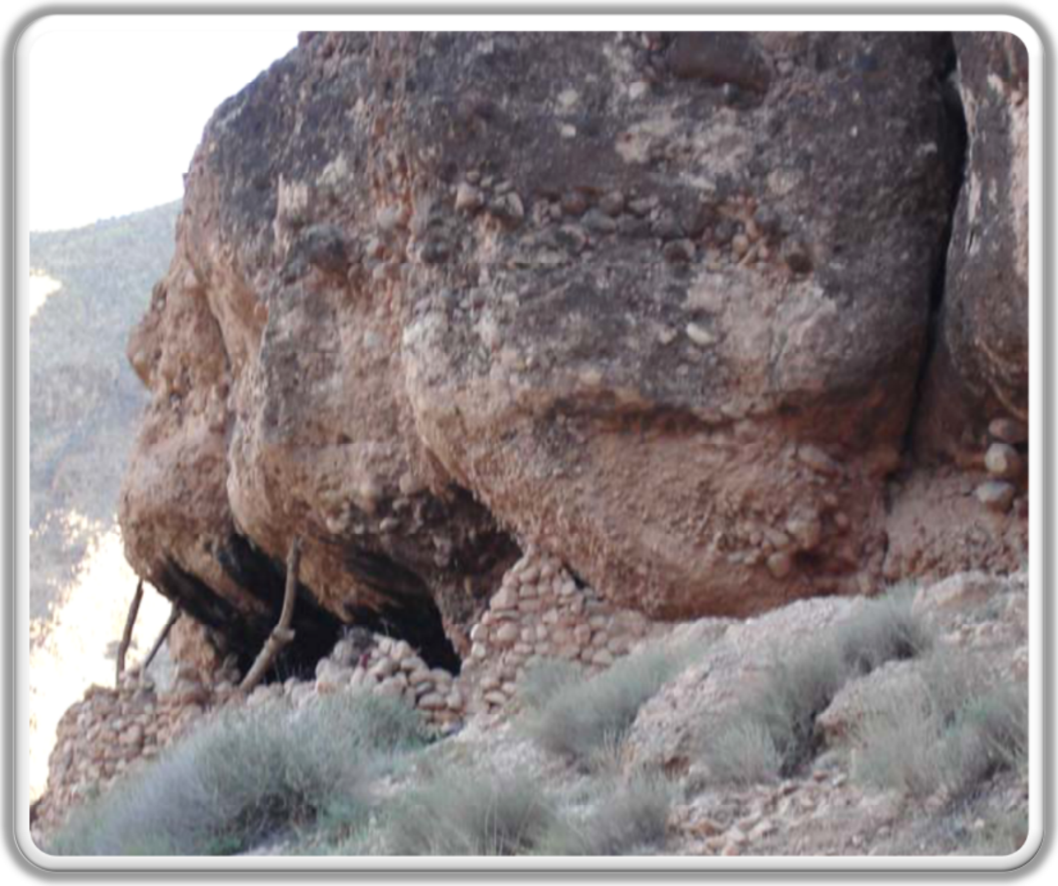
1- محمد الصغير غانم (2005) المرجع السابق، ص69.

2 - Basset R (1910) op.cit, p04.

3- مارسيا الياد (1986) تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، سوريا: دار دمشق للنشر، ج1، ص 26.

4- نصر الدين بن الطيب (2008) تاريخ الفن من العصر الحجري الى العصر الغوتي، منشورات الريشة الحرّة، الجزائر، ص26.

وقد قدَّس المغاربة القدماء الكهوف منذ أزمنة قديمة تعود الى ما قبل التاريخ[1]، فقد عثر في كهفي الأروي والدببة على ضفاف واد الرمال بقسنطينة[2]، ومنطقة التاسيلي أزجر على كهوف تشبه في خصائصها كهوف أوروبا، خاصة في منطقتي **تين هناكتن وإن اتينان** بالتاسيلي ازجر (**يقع على بعد 200كلم من جانت**)، أين تتواجد الرسوم في مكان مظلم ومعزول وذو مدخل ضيق يصعب الوصول اليه[3] (**أنظر الصورة7**)، وقد وجد المنقبون في هذا الموقع بقايا حيوانات مختلفة، اضافة الى عظام ستة جثث انسانية تعود الى الحضارة العاترية، وهو ما يدل على ممارسات جنائزية معينة تكون قد مورست بالموقع[4].



(الصورة7) **ملجأ في الأوراس (أمنتان)**

عزيز طارق ساحد (2009) المرجع السابق، ص343.

1 -Gsell ST(1921) H.A.A.N, T1, pp. T1, p256.

2- محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق، ص137.

3 -Lhote H (1976) Vers d'autres Tassili, nouvelles découvertes au Sahara, paris :édit Arthaud, 2°edit ,p92

4 -Saoudi N-E (2002) Les temps Préhistorique En Algérie, Alger: édit Dalimen, p78.

والكهوف أو الملاجئ الصخرية هي في اعتقادهم بوابات بين عالمهم الحقيقي الذين يعيشون فيه والعالم الاخر، لذا فهم يزينونها بالرسوم الصخرية(1)، كما انها تعتبر اماكن لإقامة مراسم احتفاليـــة تكريما للآلهة، وذلك عن طريق رفع الايدي والنظر الى السماء كما تعتبر ايضا مكانا يهيأ لامتـــزاجٍ محسوسٍ مع الالهة(2)، وهذه الميزات تشبه الى حد كبير ما أشار اليه **خزعل الماجـــدي** عنـــد وصـــفه للمعابد المصرية القديمة، فقد بين ان التمثال المقدس للإله لا يتم الوصول اليه إلا بعد اجتيـــاز عـــدة بوابات مع ازدياد المكان ظلمة كلما توغلنا نحو الـــداخل، ولا يصـــل هـــذا المكـــان الا الكهنـــة المخولون(3).

أُكتشفت داخل هذه الكهوف بعض التماثيل الحيوانية وأخرى شبه انسانية اضافة الى بعـــض المواقد التي استعملت على الارجح كمذبح للقاربين، وهو ما يدل على أنها كانت تستخدم كمعابد، ونذكر في ذلك أمثلة عن بعض المغارات والكهوف التي قدست بشمال افريقيا، مثل مغارتي شرفاطة (**Charfatta**) و المكطة (**El- Maqta**) قرب مدينة فاس بالمغرب الأقصى ،والتي أكد الاثريـــون ممارسة سكانها القدماء لطقوس سحرية مرتبطة بالزراعة وطلب الاخصاب (4)،كما لاحـــظ بعـــض المؤرخين التشابه بين اسم الجبل المقدس (**Giddaba**) الذي ذكره القديس اوغسطين وبين الـــنقش (**Giddaba-Deoau**) الذي عثر عليه في غار زامة (**R'har-Zamma**) بجبل شطابة قرب قسنطينة (5)، فالقديس اوغسطين يذكر أن بعض من عاصرهم اعتقدوا بأنهم يكونون أكثر قربا للآلهة عندما يغوصون في باطن الأرض(6) لذلك فقد طلب من أتباعه تدمير كل الاوثان الـــتي وجـــدت داخـــل الكهوف أو بالقرب منها.

لم يرد لحد الان دليل قاطع على وجود الهة خاصة بالكهوف، لكن بعض الباحثين أوردوا اسماء لآلهة مثلت تقديس الكهوف والمغارات،كإيفري(**Ifri**) أو أفرو(**Ifru**)- و أفري في الأمازيغية يعني الكهف- الذي صوِّر على هيئة رأس مشع في أحد الكهـــوف الواقعـــة بـــين الهريـــة والخـــروب، وباكاكس(**Bacax**) الذي كرست له مغارات كثيرة لعبادته كـــ(**غار الجماعة**) في جبل الطايـــة في ضواحي قالمة(7)، واعتقد المغاربة القدماء أن الاله باكاكس يختص في رعاية تنقلات قطعانهم في أعالي الجبال كما أنه يهتم برعاية وتسهيل المبادلات التجارية التي كانت تتم بين ســـكان الجبـــال وبـــين

1 -Jean Clottes(2004) " L'Art Rupestre et la Chamanismes" les lettres de clio,www.clio.fr
2 -Bavois AG(1939) Manuel…,op-cit,p307.
3- خزعل الماجدي (1999) الدين المصري، الاردن، دار الشروق، ص146.
4 - Basset R (1910) op.cit, p05.
5 - Ibid, p8.
6 - Gsell S (1927) H.A.A.N T5, op.cit, p140.
7 - Basset R (1910) ibid, p07

المستقرين بالسهول[1]،كما عثر على نقوش ليبية على شرفه في كهف بضواحي منطقة **عنونة** [2]، أذ تبين من النقوش التي اقيمت على رواق المغارة انها كانت مكانا مقدسا يطـوف حولـه السـكان المحليون، وهو شأن أغلب المغارات والكهوف التي عثر عليها بقرب المدن القديمة،كسـيرتا وميلـة وسطيف[3]، والتي بينت استمرار هذا التقديس الى الفترة الرومانية [4]، وهو أمر يوضـح تأصـل تقديس الكهوف والمغارات لدى السكان القدماء، وإلى يومنا هذا توجد مدن عدة في المغرب الكبير تحمل اسم أفري أو أفران كالمدينة المغربية الحالية أفران وهو جمع كلمة أفري أي الكهوف.

جـ - تقديس الحجارة:

تعتبر ظاهرة تقديس الحجارة وتبجيلها ظاهرة عالمية، فقد اعتبرت الحجارة في ثقافات عديـدة تمثيلا للقساوة والصلابة والقوة والدوام، واعتقد الانسان البدائي القديم أنها قد تحتوي الحياة مثلها في ذلك مثل الحيوان والنبات، أو لأنها سكنُ الارواح والالهة[5].

وتعتقد بعض الشعوب أن الحجارة الضخمة (**الميغاليت-Mégalithes**) تحمي جسد الميت مـن التآكل، ففي وسط الهند توجد قبيلة تضع عند قبور موتاها حجارة ضخمة قد تصل علو ثلاثة أمتار بغرض تثبيت روح الميت، وتصاحب عملية وضع الحجر احتفالات طقوسية لضـمان ان تسـكن الروح ذلك الحجر، و بهذه الطريقة يصبح الحجر مسكنا لأرواح الاموات[6].

وفي جنوب الهند تتوجه المتزوجات الجدد الى صخور الدو لمن التي يسكنها الاجداد ليلصـقوا أجسادهن عليها املين ضمان خصوبة أرحامهن، وأما في شمال افريقيا فقد نظر السكان القـدماء إلى الصخور بشيء من القدسية والتأليه منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد عثر في **تبلبالة** بالصحراء الجزائرية على حجارة جرانيتية نحتت في شكل وجه بيضاوي تختفي فيه المعالم أو أعضاء تناسـلية[7] (**أنظـر الصور8**)، ولا يستبعد أن تكون هذه الحجارة محل تقديس من طرف ساكني المنطقة، وهذه الحجارة عرفت باسم "**البتاتيل**"[8] التي تعني "**بيت الرب**" التي عرفت عند العديد من الشعوب القديمة، وهي في شكل مستطيل عادة ما يضع عليها المرتادون الزيت أو الدُهن، وهي عادة تواصلت حتى العهـد

1 - Benabou. M (1976) La Résistance Africaine à la Romanisation , paris : éd, Maspero.288
2 - Basset R (1910) ibid, pp07-08.
3 - Toutain J (1920) op.cit, pp47- 49.
4 - Benabou M (1976) op.cit, p272.
5 - Claude R (2003) "Socio-anthropologie des religions", paris: édit Armand Colin, p23.
6- مصطفى أعشي (2010) « الاحجار تشخيص للمقدس »، مجلة توالت الثقافية الالكترونية، www.tawalt.com.
7- جيهان ديزانج (1985) « البربر الاصليون»،تاريخ افريقيا العام،مجلد02،باريس:دار النشر جون أفريك ،اشراف جمال مختار،ص446.
8- البتيل Bétyle: كلمة سامية مركبة من "بت" التي تعني البيت ،و "يل" وتعني الاله، عند جمعها تعطينا معنى "بيت الاله" انظر: محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق، ص134.؛ ابن منظور (1968) المرجع السابق، مجلد 11، ص40.

الروماني، فقد ذكر أرنوب **(Arnobe)** أنه قبل ان يعتنق المسيحية كان أذا عثر على حجر مصقول ومدهون بزيت الزيتون، تأكد أنه حجر مقدس وجب أن يجثو أمامه ويطلب منه حاجته[1]، كما أشار القديس اوغسطين أن الوثنيين في عهده من النوميديين عبدوا الابادير، والتي تعني" **الحجارة المقدسة** " [2].

كما توجد اشارة واضحة "للبتيل" بيت الله في التوراة في سفر التكوين[3]، وذلك عندما ذهب يعقوب الى حاران وبات ليلته في الطريق، لكنه استيقظ مفزوعا من نومه وقال : **(ان الرب في هذا الموضع وأنا أعلم...ما هذا إلا بيت الله- يقصد حجرا توسده- وباب السماء...﴾**، يشير هذا المقطع بوضوح الى أن يعقوب عليه السلام قد أقاما نصبا حجريا(بتيل).

وفي سفر الخروج[4] أشير الى الأعمدة الحجرية الاثني عشر التي أقامها موسى عليه السلام في جبل الطور، فتذكر التوراة :**(فكتب موسى جميع أقوال الرب، وبكّر في الصباح وبنى مذبحا في أسفل الجبل واثني عشر عمود ا لأسباط اسرائيل...).**

واعتبرت الحجارة مقاعدا للآلهة[5]، أو مساكنا للأرواح والجن، فقد ذكر **بليني الاكبر**[6] نقلا عن ميلا أخبارا عن تقديس سكان واحة سيوة لحجر كبير على مشارف واحتهم، معتقدين أنه إذا تجرأ أحد منهم على لمسه فإن ذلك سيؤدي الى قيام عاصفة رملية تهلك الواحة[7].

كما أورد أرنوب تقديس المغاربية القدماء للصُخور في شمال افريقيا في قوله :« **أذا رأيت صخرة مصقولة ومهذبة بزيت الزيتون أضن أني وجدت القوى المقدسة، فأركع أمامها وأطلب منها أن تحقق أغراضي** »[8]،كما أشار **رونيه ب(René Passet)** الى حجر كبير في غليزان الحالية قرب مكان اسمه قرطوفة استعمل للتضحية وتقديم القرابين[9]، وترى العديد من الدراسات أن

1- فتيحة فرحاتي (2007) نوميديا من حكم الملك جايا الى بداية الاحتلال الروماني**213-46ق.م**، الجزائر: منشورات أبيك، ص296.
2- الشاذلي ب و طاهر م (1999) المرجع السابق، ص286.
3- التوراة: سفر التكوين الاصحاح الثامن والعشرون، فقرات 11- 13- 15.
4- التوراة: سفر الخروج، الاصحاح الثالث، فقرات 13- 14.
5 - Basset R (1910) op.cit , p01.
6 - Pline lancien,liv2, chap45.
7 - Mêla P (1843) Géographie,liv1,chap8.
8- مصطفى أعشي (2010) المرجع نفسه، www.tawalt.com
9 - Basset R (1910) op.cit, p06.

الانسان المغاربي القديم امن عند اتصاله بهذه الحجارة بتجند قسم من المقدسات التي تحتويها املا منها تأثيرات خيرة، كالشفاء من الأمراض والخصوبة عند النساء[1].

كما أشار كامبس (**Camps**)الى أن القوانش (**Guanches**)(بربر جزر الكناري) في جزيرة **بالما** يزورون دوريا صخرتين مقدستين (**Tismar**) و (**Vimenya**)ويسكبون عليهما بعضا من الزبدة والحليب وزيت الزيتون، ويصاحب ذلك انشاد لأغاني دينية حزينة في أجواء من الرقص[2].

اذن مما سبق يبدوا أن سبب تقديس وتبجيل المغاربي القديم للحجارة راجع أساسا الى نظرته لها كمأوى للمقدس وليس كمقدس، وهو بذلك يعبد الارباب التي تسكنه وليس هو في حد ذاته، وتبعا لذلك فالحجر يستمد قوته وقدسيته من قدسية الرب الساكن فيه، ثم أصبح الحجر بعد مرور زمن معين موضع تقديس لذاته، وهو ما أضفى عليه صفات التطهير من الشر والمس وجلب الخصوبة، فكم من الناس سعوا ومازالوا للحصول على حجر من الاحجار المقدسة وذلك من أجل أن تحميهم وتبعد عنهم العين الشريرة.





(الصور8) **حجارة البتاتيل**

غانم محمد الصغير(2008) المرجع السابق ص135-136 مع التعديل؛ مدونة توالت الثقافية الالكترونية

www.tawalt.org

1- محمد الصغير غانم (2005) المرجع السابق، ص66.
2 - Camps G (1980) Berbères aux marges de L'histoire, Ed. Des Hespérides, paris, p196.

د - تقديس المياه :

كانت الانهار والينابيع مكرسة لنوع من التأليه خاصة في بلاد شبه جافة كبلاد المغرب القديم لكونها ضرورية لإنبات الزرع وحياة الحيوان والانسان[1]، كما اعتبرت هي أيضا مساكن للآلهة والأرواح.

وتتجلى الشعائر التعبدية المرتبطة بالماء في الاغتسال المرتبط بالمناسبات مع استعمال كبير للبخور، فقد أخبرنا القديس اوغسطين **(354– 430 م)** عن طقوس كان النوميديون يمارسونها منتصف كل فصل صيف، وعند حدوث الاعتدالين الربيعي أو الخريفي، تقضي باستحمامهم في مياه البحر عُراة من أجل التطهر و التخلص من أثامهم[2]، وكثيرا ما ربط المغاربة القدماء بين منبع النهر وبين روح جني تحميه سميت هذه الروح بـ **(Genius)** وقدمت لها قرابين و أضحيات[3]، هذا وقد بين المؤرخون ان العادات والخرافات المتعلقة بسقوط الأمطار ظهرت تقريباً في كل الأراضي شبه القاحلة بما في ذلك شمال إفريقيا خاصة بعدما بدأ المناخ يتغير في هذه المنطقة وهوما سبب حدوث الجفاف في بعض السنوات[4]، فقد كان المغاربة القدماء يتخيلون أن الارض تتزاوج مع السماء و تتلاقح بواسطة المطر الذي تبعثه السماء، فإن حدث ذلك جرت الأودية وسالت الى بطن الأرض لتنجب أنواع الحبوب والفواكه والخضر[5]، لذلك فقد قدسوا المجاري المائية وقدموا لها قرابين في مواسم معينة.

وقد استمرت هذه المعتقدات المرتبطة بالماء الى الفترة الرومانية، حيث عثر **بيكار (Picard)** على نقش مكرس لآلهة الماء عند تنقيبه في بئر ضامرفي قلعة **دماد (Dimmidi–Castellum)** جنوب الجلفة[6]، وفي **مداورش (Madure)** قدّس الاله ليليو **(Lilleo)** أو تيليلوا **(Thililua)** الذي يعني اسمه الماء[7].

ولا تزال بعض الطقوس التي تؤكد تأصل تقديس المياه قائمة الى اليوم في مناطق معينة من شمال أفريقيا، حيث تقوم النسوة في تابلبالة ببشار[8] وعند قبيلة تازناخت بالمغرب الأقصى[9] بصنع

1- محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق، ص138.
2- جيهان ديزانج (1985) المرجع السابق، ص446.
3 - Basset R (1910) op.cit, p09.
4 - Benabou M (1976) op.cit, pp290-291.
5- محمد الصغير غانم (2008) نفسه، ص141.
6 - Picard G.CH(1947) Castillum Dimmidi, paris :édit E de Boccard , p127.
7 - Benabou M(1976) ibid, p275.
8- محمد العربي عقون (2008) المرجع السابق،ص239.
9- أعشي (2010) ظاهرة أدبخو نتاشورت بقبائل تازناخت وتقديس الماء والنار عند سكان المنطقة ،مجلة توالت الالكترونية www.tawalt.com، يم 22-12-2010.

دمى مزينة بالملاعق تمثل (**عروس المطر تاغنجة**)، وثم تحمل هذه الدمى في موكب طقسي مصـــحوب بأغاني وأدعية وإلتماسات من مثل « أنزار أنزار يارب أسويث إرازار » والتي تعـــني :«المطر المطر ياربي اسقيها حتى الجذور»، طلبا للغيث والاخصاب(1)،كما أشار دوكريــه (**Decret**) و فنطر (**Fantar**) الى بعض مراسيم الاستحمام المقدس التي تجري في منطقة الجريد بتونس، إذ تذهب نساء القبيلة الى الواد قصد الاستحمام عند طلوع الفجر، ثم يقمن وسط أجواء من الغناء بتغطـــيس شعورهن وهن يرددن امانيهن(2).

و - تقديس الأشجار:

إن ربط الخرق البالية من القماش غلى أغصان أشجارٍ يعتقد أنها مقدسة عادة عالمية، انتشـــرت كثيرا عند الساميين(3)،كما اعتبرت الاشجار الهة في العديد من الحضارات القديمة، ففي بلاد ما بين النهرين عرفت باسم تموز(**Temuz**)، وفي بـــلاد الاغريـــق سميـــت اتـــيس (**Attis**) وأدونـــيس (**Adounis**) (4).

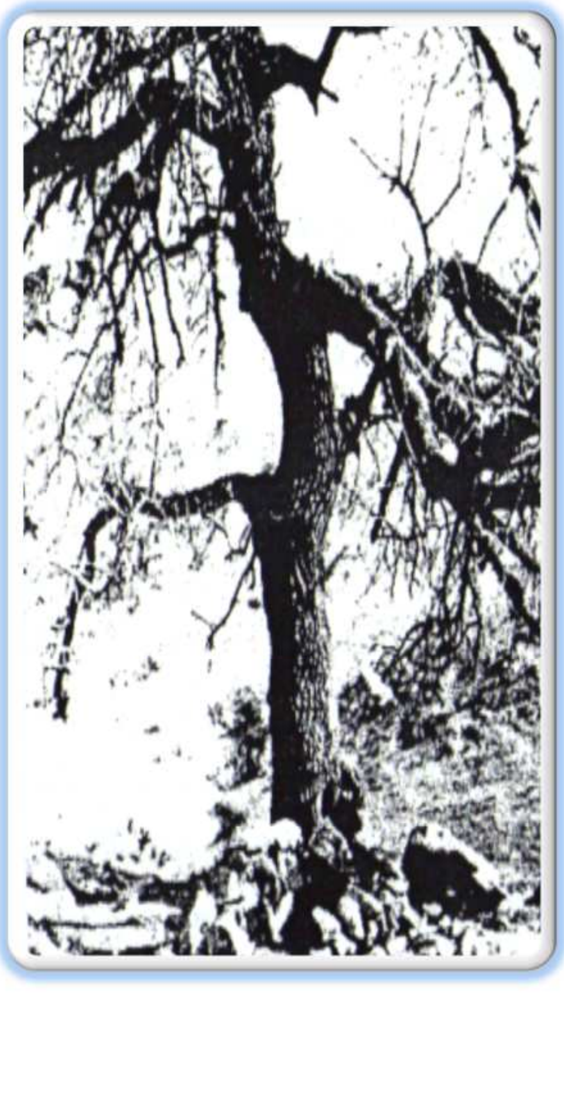
كانت الاشجار مسكنا للمقدس من الهة وأرواح، ذلك أن المغاربة القدماء قد اعتقدوا أيضـــا بأن القوى الخفية قد حلّت بها، وقد مارسوا طقوس ربط الخيوط والخرق في أغصان بعض الأشجار املين في طرد الارواح الشريرة، كما حرّم ايذائها أو اقتلاعها أو إحراقها ومن فعل ذلك فإنه معرض لسخط الالهة التي تسكنها(5)، وعادة ما تم جمع الحجارة أو الأغصان حول جذعها لحمايتها.(**أنظر الصُورة9**).

كما قدست الاشجار نظرا لأهميتها الاقتصادية، أو بسبب كونها موجودة في مكان مقدس، أو أنها تخلد ذكرى بطل أو شخصية معينة مرت بجوارها أو استظلت بظلها،كما أنها ترتفع عمودياً نحو السماء المسكن المفترض للآلهة، وهي أيضا تفقد أوراقها وتستعيدها في ترميز إلى المـــوت والقيامـــة، ويجب أن نشير الى أنه يكفي سبب واحد أحيانا لتقدس شجرة ما، وكلما زاد عدد أسباب التقديس كانت الشجرة أكثر تقديسا.

1 - Doutte E (1908) Magie et religion dans l'Afrique du nord, Alger: édit Jorfan, p584.
2 - Decret F & Fantar M (1982) L'Afrique du nord dans L'antiquité, paris: édit Payot, pp 244 -245.
3 - Bavois AG (1939) op.cit, p134
4 - محمد الصغير غانم (2005) المرجع السابق، ص71.
5- محمد صغير غانم (2008) المرجع السابق، ص131.

هذا و اختلفت انواع الاشجار المقدسة عند المغاربة القدماء، اذ نجد الزيتونة والكرمة والسدرة وشجرة الرمان والنخلة وغيرها من أشجار شمال افريقيا، فكثيرا ما ظهرت هذه الأشجار منقوشة على النصب الجنائزية أو الاهدائية كرمز للخصوبة أو للانتصار [1]، و يمكننا أن نعلل اختلاف الاشجار المقدسة باختلاف المنطقة الجغرافية التي تنمو فيها.

وتعتبر شجرة الرمان من اهم رموز للخصوبة، فسكان شمال افريقيا القدماء يكسرون ثمرتها على مقبض المحراث أو يدفنونها في أول خط حرث املين أن تكون سنابلهم بمثل عدد حبات الرمانة[2].



(الصورة9) **شجرة مقدسة**

محمد الصغير غانم(2008) المرجع السابق، ص 132.

1 -Berthier A & Charlier L (1955) Le sanctuaire punique d'Al Hofra à Constantine, 2°vol, paris : édit Arts et Matières Graphiques, p181.
2 - Basset R(1921) Les influences punique chez les Berbères, RAf, v62, p340.

هـ - المقدسات الكونية :

لفتت السماء نظر الإنسان القديم من كل جانب، بعظمتها وجلالتها، بشمسها وباقي كواكبها، وكل ما فيها، فأمامها ولد شعوره بالتصاغر والضعف[1]، كما عرف ما فيها من تأثير مهم في حياته وعمله، وفي محيط عيشه، وفي نمو و استمرار غذائه، وعزا اليها شفاءه ومرضه، وأيقن ضرورة التقرب إليها، وتقديسها هي وباقي الأجرام الأخرى، إرضاءا لها، فبإرضائها ينال السعادة، والخير والبركة في حياته.

تعتبر إذن ظاهرة تقديس الاجرام السماوية، خاصة الشمس والقمر عادة دينية ضاربة في القدم، أعادها المؤرخون الى عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام، فقد بين القران الكريم أن قوم ابراهيم كانوا يعبدون الشمس والقمر في سورة الانعام[2] حين قال الله تعالى: **(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۞ لَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ۞).**

و سكان المغرب القديم رأوا كغيرهم من الشعوب القديمة ان الشمس والقمر مصدر للحياة لهم ولأنعامهم، وكانوا يقدسونها ويرمزون لها بصور في أماكن عبادتهم[3]، و رغم أثار تقديس الشمس والقمر نادرة جدا في الفترة التي سبقت قدوم الفينيقيين، لكن حفظت لنا المصادر المادية بعض الصور لأشكال تمثل قرص الشمس أو النجمة وهي تزين بعض الحوانيت وبلاطات الدولمن، فكثيرا ما نجد نقوشا تمثل الشمس في غرف الموتى وأقبيتهم وحتى على الصخور المقدسة القائمة التي أشير اليها سابقا، وعثر أيضا في العديد من المرفقات الجنائزية الحجرية و النحاسية في شكل هلال[4]، وما توجيه الغرف الجنائزية نحو الشرق الا لقدسية الشمس لدى المغاربة القدماء[5]،كما وجدت العديد من المشاهد الصخرية في التاسيلي ناجر تدل على هذا التقديس[6].**(انظر الأشكال 8.7.6)**

1- الهاشمي طه (1963) تاريخ الأديان وفلسفتها، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص73.
2- القران الكريم: سورة الانعام، ايات76-77-78.
3- محمد علي دبوز (1964) تاريخ المغرب الكبير،ج1، ط1، مطبعة عيسى البابي وشركائه، ص69.
4- عزيز طارق ساحد (2009) المرجع السابق، ص406.
5 - Savary JP (1969) L'architecture et l'orientation des dolmens de Beni Messous (Région d'Alger), Libyca, t. XVII, p. 321.
6- Lhote H (1976) op.cit ,p92, Fig49.



الشكل(6)**مشهد يدل على تقديس الشمس في تيسوكاي بالتاسيلي ازجر**

Lhote H(1976) op.cit,p92,Fig49



الشكل(7)**مشهد صخري من الأطلس الصحراوي يبين تقديس المظاهر الكونية**

Aumassip G(1986) op.cit,p106



(الشكل8) **نصب من أبيزار الذي يبين تقديس الشمس**

محمد شفيق(2008)33 قرن من تاريخ الأمازيغ، المغرب: طبع مؤسسة توالت الثقافية،ص76.

وعادة ما يرمز لتقديس القمر بالهلال[1]،كما جسد برموز أخرى أهمها وأكثرها انتشارا قرني الثور والكبش[2]، وقد وجدت هذه الرموز في أغلب الجداريات المنتشرة في الاطلـــس الصـــحراوي مقترنة برسم الاله الكبش امون (**bélier-à-sphéroïde**) الاله الأكبر في تلك الفترة [3]، في زكـــار وعين الناقة بالجلفة ومنطقة افلو شمال الاغواط وقرب قسنطينة في تسغنة وخنقة بوحجار[4]، وتعتبر رسوم الجنوب الوهراني التي توجد على مسافة خمسة كلمترات غرب دائرة بوعالم بالبيض أحســـن الرُسوم وأكثرِها وضوحا، حيث يظهر الكبش وهو يحمل على ظهره سرج مزين وحلية عريضة على العنق وفوق الرأس قبعة دائرية تمثل قرص الشمس المقدس[5].(انظر صورة10).

توجد اسطورة قديمة تقول ان الكبش صعد الجبل حتى وصل الشمس و بقيت هذه الاخـــيرة ملتصقة براسه لذلك كانت الشمس رمزا لكل مقدس أعلى[6]، كما عثر في مناطق اخرى من شمال افريقيا على مشاهد لحيوانات تحمل قرص الشمس أيضا، ففي ليبيا يقول محمد مصـــطفى بازامـــا: « لقد عثر على رسوم ونقوش لبقرات وثيران في مناطق عدة في الصحراء الليبية، تحمل بين قرونها دائرة لعلها ترمز إلى قرص الشمس، وإن جهلنا نحن الكيفية التي تم بها الربط بين الشمس وهذه الحيوانات...» [7].

أما المصادر الكتابية فإن أقدم الاشارة هي إشارة هيرودوت في القرن الخـــامس قبـــل المـــيلاد، فالليبيون حسبه لا يقربنون لأرباب سوى الشمس والقمر[8]، يقول هـــيرودوت: « تقدم القرابين للشمس والقمر من قبل جميع الليبيين ماعدا المقيمين منهم في جوار بحيرة تريتانوس »[9].
كما أكد بليني الكبير تقديس الليبيين للقمر والشمس وتقديم القرابين لهما[10] كمـــا أشـــار ديديور الى تقديس القمر والشمس ايضا[11].

هذا وقد استمر تقديس القمر والشمس الى الفترة البونية والرومانية، فقد ذكرت لنا المصـــادر الكتابية عند استضافة ماسينيسا للقائد الروماني سكيبيون اميليانوس **Emilianus–Scipion** توجـــه الى الشمس شاكرا لنصرتها الرومان قائلا:« أتقرب اليك أيتها الشمس العالية جدا، والهة السماء

1- سباتينو موسكاتي (1998) الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب، بيروت: دار الرقي، ص284 .
2 - Ryckmans G (1951) Les Religions Arabes Prè-Islamique, éd2, Louvain, p 9.
3- حارش محمد الهادي (1988) « أصول عبادة امون في المغرب القديم » ، الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية،ع04، ص11 .
4 - Gsell S (1972) H.A.A.N, T IV, p286.
5 - Decret F &M Fantar (1991) op.cit ,p254.
6 - Mircea E (1964) Traite d’histoire des religions, paris : pp119.
7- محمد مصطفى بازمة (1973) المرجع السابق،ص235.
8 - Hérodote ,IV ,188
9 - ibid.
10 - Pline l’ancien, II, 103.
11 - Diodore de Sicile, III, 57.

الاخرى جميعا بعد أن وهبتي لي قبل أن أغادر الحياة، بأن أرى تحت سقفي وفي مملكتي كورنيليوس سيبيون » [1].

وذكرت النصب النذرية في الفترة الرومانية الاله يور (**Iour**) كإله للقمر[2]،كما أشار **رونيه باسيه** (**Basset**) الى النقش اللاتيني (**Soli deo invicto**) الموجه لإله الشمس بنواحي باتنة [3]، كما أشار بن خلدون الى عبادة بعض القبائل البربرية للشمس والقمر في زمانه[4].



(الصورة10) **كبش بوعالم زناقة ذو الهالة**(**قرص الشمس**)

Aumassip G(1986) op.cit, p92.

2- <u>**تقديس الحيوانات**</u>: (**Zoolâtrie**)

1 - Camps G (1987) op.cit, p200.

2- محمد العربي عقون (2008) المرجع السابق ، ص215 .

3 - Basset R (1910) op.cit. p11.

4- عبد الرحمن بن خلدون (1968) العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: ج04، ص23.

تعتبر المرحلة الطوطمية **(Totémisme)** من أهم المراحل الدينية التي مر بها الفكر الديني الانساني ،وقد عرّفها الباحث وافي عبد الله بقوله :« هي نظام أو عقيدة مبينة على أصلٍ حيواني أو نباتي أو جماد ،اتَّخذتْه العشيرة رمزًا الاهيا لها ،ولقبًا يعرف به جميعُ أفرادِها ،ويعتقِدون انه خالقُهم وأنهم من صُلبه ،فلا يُأكل ولا يُقتلْ ولا يتأذىْ »[1] ،أما سيغموند فرويد **(S–Freud)** فيعرف الطوطمية بقوله:« نظام ينوب ُمناب الدين لدى بعض الاقوامِ البدائِية ،تمثل أساسًا بالحيوانات ولكن هُناك أيضا النباتات والجمادات...» [2].

وكان لكل فرد لدى الشعوب البدائية طوطمٌ خاصٌ أو روحٌ مفضلة لديه، سُميت بالروحِ الحارسة، واتخذت في غالب الاحيان شكلاً حيوانيا يحرم أن يُصطاد أو يُقتل أو يُؤكل، إلا في مُناسباتٍ طقوسيةٍ نادرة[3]، وعادة ما يُحمل جزءٌ منه في شكل تميمةٍ للحِماية كريشة أو مخلب أو نابْ.

و يرمز الى الطوطم برسم معين أو بشكل هندسي أو مجموعة من الخطوط أو جلد حيوان أو وشم خاص[4].

أما المُجتمع الطوطمي فيقوم على اساسِ القبيلة لأنَّه رمزٌ لها، وقوتُها مستمدة من الروحِ المقدسة للطوطم، وكثيرٌ من هذه المُجتمعاتِ وشَمَتْ طوطمَها على اجْساد افرادها على أمل الحُصول على حماية أكبر[5]؛كما يجعل الانسان من طبيعة طوطمية ويضفي عليه قدسية الطوطم الموشوم، فالعلاقة بين أفراد العشيرة وطوطمها ليست علاقة عبادة الهة فقط، بل هي علاقة أقرباء تربطهم بعظهم ببعض وشيجة الدم ولحمة النسب الوثيق[6].

أطلق الباحِثون مُصطلحات سيد الحيوانات **(Master–Animal)** ، وسيد الدببة **(Bear–Master)** للإشارةِ الى عباداتٍ طوطمية منظمة في مَغاور جِبال الألب الأوروبية [7].

و يعتقد الكثير من الباحثين ان المنشأ الأول لهذا التقديس هو الأسرة، حيث أن رب الأسرة كان يجب أن يُحترم لكفالته لها، وكان يُرهب لأنه صاحِب القوة والبأس عليها، ثم تطور الأمر بعد مرور

1- وافي علي عبد الواحد (د.ت) الطوطمية أشهر الديانات البدائية، مصر: دار المعارف، ص08.
2- سيغموند فرويد (1997) الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص ص10-11.
3 - Pierre M (1951) « Essai sur la signification du terme Totem », R.H.R, Vol: 40, n°1, p87.
4- خزعل الماجدي (1997) المرجع السابق، ص ص52- 53 .
5- وافي علي عبد الواحد (1995) المرجع السابق، ص22.
6- نفسه، ص ص39- 40 .
7- خزعل الماجدي (1997) أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، الاردن: دار الشروق، ص37.

الزمن فعبد أفرادها قُوى أخرى مُحيطة بِهم مزجت بين ما يُرهب ويُرعب ويُسحر[1]، ورأوا فيها قوة وبأس تفوق قوة وبأس عائلهم،كانت أهم هذه القُوى ما أحاط بهم من تلك الحيواناتِ وغيرها من الكائناتِ الحية فجعلوا لها نوعاً من الرهبة والقُدسية في نُفوسِهم.

ومن بين ما قِيل عن تقديس الانسانِ البدائي للحيوان، ما لخصَّه عبد العزيز صالح في قوله: «...وتقديس الانسان للحيوان كان مبعثه ثلاثة عوامل رئيسية، هي: المصادفة الرهبة والرغبة »[2] ،ويرى أنه :« عن طريق المصادفة يكتسب الحيوان صفة تميزه عن باقي جنسه ،وربما ترتبط بمسكن الحيوان حيث يكون فيه أو بالقرب منه شيء مبارك ينفع الناس ،وسرعان ما تلحق تلك الصفة بالحيوان المقيم بجانب تلك المنطقة التي ظهر فيها الخير»، أما بالنسبة لعاملي الرهبة والرغبة، فيذكر عبد العزيز صالح أن هذين العاملين كانا من أهم الاثار في عقيدة الحيوان « فالرهبة تشير الى اتقاء الشر ،والرغبة الى رغبةِ النفع والاستفادة من الخير» [3].

والانسان المغربي القديم عاش في بيئته الاولى مُحاطا بأنواع مختلفة من الحيواناتِ البرية والطيورِ الكاسرة، التي وقف ضعيفاً امام قوتِها وهو لا يملك الا أدواتٍ بدائية، فتملَّكه ذلك الشُعور الغريزي ورأى أن يقدسُها خوفا منها،كما أنَّه أعجب بقوتها غيرِ العادية التي يفتقر إليها هو نفسه،كما قد يكون تقديسه لتلك الحيوانات تهدئة لها ودرءا لشرها، أو ضمانا لوفرة الكساء أو الغذاء[4].

وقد أورد المؤرخون أسباباً أُخرى تفسِّر هذا التقديس، منها ان المغاربي القديم شعر بنوع من الحُب الخفي اتجاه تلك القوى الحيوانية بسبب ما تقدمه له من خيراتٍ متنوعة كالألبان واللحوم والجُلود التي كان في أمس الحاجة اليها، وأعتبر ذلك رمزا خفيا للحب فمنحها قدسية بقدر موازي لما تجود عليه.

كما أن بعضًا من تلك الحيواناتِ التي عاشت بجوار الانسان المغاربي القديم، قد التمس فيها نوعاً خاصاً من التميز،كحُنو البقرة على وليدِها وقدرة الكبش والثور على الاخصاب المتتابع، فنظر اليها نظرة خاصة ربطها بقوة خفية تسكنها.

1- فيلب لابورت - تولرا و جان بيير فارنييه (2004) أثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر مصباح الصمد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، ص169.
2- عبد العزيز صالح (1985) تاريخ الشرق الادنى القديم، ج1، القاهرة: مطبعة مصر القديمة، ص357.
3- نفسه، ص358.
4- بشي ابراهيم العي د(2009) المرجع السابق، ج4، ص22.

وقد أُشير أيضا الى أن التقديسَ كان موجها لروح الاله التي تسكُن الحيــوان، أي أن المغـــاربي القديم لم يعبد الحيوان لذاتِه[1]، وانّما جعَلَ منه وسيطا للإله الذي قطن هذا الحيوان وتجلَّــت فيــه قدرته الخالقة ،وفي هذا الصدد يقول مارسيا الياد : **« الحجر المقدس والشجرة المقدسة لم يعبدا بصفتهما تلك ،وانهما ليسا موضوع عبادة بالفعل لانهما تجليان ،وانما لانهما يظهران شيئا ما ليس هو حجر ولا شجرة ،وإنما الكائن المطلق»** [2]، ومن هنا فإن الاعتقاد الساذج بأن الطوطمية هي نوع من عبادة الحيوان هو اعتقادٌ بعيدٌ عن واقع الامور، برره **فراس السواح** بالكتابات المتعجلة التي قدمت الى الجمهور لتعريفه الطوطمية خلال الفتراتِ المُبكرة لاكتشافهَا[3].

والجدير بالذِّكر أن المغاربي القديم استعان بمخيلتِهِ لخلق حيوانات هجينة نصف انسانية ونصف حيوانية، ربطت بين حيواناته المقدسة وبين الشكل الذي تخيله لألهته، فأنتجت مخيلته صورة هجينـــة أسطورية نصف انسانية ونِصف حيوانية[4]،كما أنه لم يقدِّس تلك الحيواناتِ تحت اسمائِها الحيوانيـــة الاولى، ولكنه قدسها تحت اسماء اخرى، فلم يطلق على الكبش اسمه الحيوانِي عند تقديسهِ لكنه سماه "**امون**" ونفس الشيء بالنسبة للثور الذي سُمي "**جرزيل**".

أ- __تقديس الثور__ :

إن ظاهرةَ تقديس الثور ترجع في أُصولِها الأولى إلى أقدمِ العصورِ، حيث وجدت صـــوره بـــين أولى الإنتاجات الفنية التي خطتها يد الإنسان في الكُهوفِ الأوربية، والــتي ترجِــعُ إلى مـــا بـــين (**32.000** و**10.000**) سنةٍ قبل المِيلاد[5].

كما انتشر تقديس الثور والابقار في حضاراتٍ مختلفةٍ من العالمِ القديمِ، ففي مصر اقترن الثـــور بالإلهة "**ابيس**" (**Apis**) [6]، و في جنوبِ وادِي النيل تزخر ثقافة كرمة (**Karma**) *بأثارٍ عديـــدة

1- جيفري بارندر (1993) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة امام عبد الفتاح امام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،.ص38.

2- مارسيا الياد (1977) المقدس والمدنس ،ترجمة عبد الهادي عباس ،دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 ،دمشق: سوريا ،.ص17. يقول الله تعالى: « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى... » " الزمر: 3 ؛«" وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ... » يونس: 18

3 - فراس السواح (2002) المرجع السابق، ص182.

4 - Lhote H (1958) à la découverte des fresques de Tassili, paris: Arthaud , p12.

5- حسن الباشا (2006) الفنون في عصور ما قبل التاريخ، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ص ص172- 173 .

6- ابيس:APIS اله مصري عبد على هيئة عجل منذ عصر الاسرة الأولى، اقترن أسمه بخصوبة الأرض للمزيد انظر: ياروسلاف تشرني(1996) الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، الاردن: دار الشروق، ص223.

*- حضارة كرمة: في شمال ووسط السودان، أرخت بداية من نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد شهدت تأثيرا مصريا من الشمال وافريقيا صحراويا من الجنوب والغرب، عرفت ظاهرة تشويه قرون الابقار كطقوس دينية ،انظر:

Louis Chaix (2004) « le œuf Africain à Cornes déformées » Anthropozoologica, vol:39, N°01 ,336.

عن تقديس الابقار والثيران[1]،كما نجد أن إنسان الأناضول ومنطقة الفرات في الالف العاشر قبل الميلاد كان يحرص على دفن قرون الثور في مسكنه، أو يزينه بها.(انظر الشكل5)

أما في بلاد المغرب القديم فقد كانت الابقارُ والثيرانُ تتواجد بأعداد كبيرة جدا، وما يدعم ذلك هو كثرة مشاهد قطعانها في محطاتِ الرُسومِ الصخرية بالتاسيلي ازجر[2] وبجبال عمُور والقصُور وأولاد نائِل بالأطلسِ الصحراوِي، على نحوٍ يُوحي بأن هذه الحيوان كانت محل احترامٍ كبير[3]، كما دلت بعض الاحصائيات عن حيواناتِ الرُسوم الصَّخرية في الجنوبِ الوهراني أن **13%**من المشاهد المرسومة تمثل ثيران وأبقار[4]، وهو ما يبين أهميتها الدِينية عند راسِمِها.(أنظرالصور11. 12)

كما عثر على صور وتماثيل صغيرة في شكل ثورٍ في بعضِ الأماكِنِ المقدسة خاصة بالملاجئ والكهوف الصخرية، ففي منخور(**Mankhor**) غرب اليزي وجدت العديد من الهياكِلِ العظمية لأبقار مدفونة بطريقة تدل على أنها أحيطت بعناية خاصة[5]، ونجد مثال اخر في منطقة تازروق (**Taserouk**) في الهقار حيث احتوى المكان على حجارة مجمعة بعناية وبقربها تتناثر تماثيل صغيرة حجرية إضافة الى رأس ثور[6]،كما احتوت مشاهد صخرية راقصين يدورون حول بقرةٍ في جو احتفالي، وهو ما فسر على أنه تعبير عن طقوسٍ لتقديسِ الأبقار واعتبرت حيوانات مؤلهة[7].(أنظر الصورة13)

وإذا ربطنا بين رسوم الثيران والابقار مع ما وجد لها من تماثيل حجرية صغيرة فإننا نفترِضُ وجود تقديسٍ خاصٍّ منذ العصر الحجري الحديث (**Néolithique**) [8].

وأشار المؤرخون أن سبب تقديسِ الثور هو قوته الجسدية و قوته الاخصابية أي القدرة على التكاثر والتوالد، وهو ما جعله نموذجا للعنصر المذكر في الطبيعة [9]،كما ربطه المغاربة القدماء أيضا

1 - Le Quellec JL (1993) Symbolisme et Art rupestre du Sahara, France : édit Harmattan, p133.
2- ابراهيم العيد بشي (2009) المرجع السابق، الجزء الرابع،ص18 .
3- يوغرطة حدادو (2006) أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي و علاقتها بالإنسان من الناحية الاجتماعية والعقائدية" ،الجزائر: رسالة ماجستير ،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية قسم التاريخ، ص32.
4 - Aumassip G (1993) Chronologie de l'Art Rupestre Saharien et Nord-Africain, paris: édit Jacque Gardini ,p15.
5 - Saoudi ND (2002) les temps préhistorique en Algérie, Alger: édit Dalimen, pp80-81.
6- Camps G (1992) « Dépôts Rituels » Encyclopédie Berbère, N°11, paris , édit Edisud, pp2269-2271.
7 - Hachid M (1998) Tassili-n-Ajjer au source de l'histoire il y a 50 siècles avant pyramides, France: édit paris-méditerranée, p146 .
8 - Camps H.F (1966) Matière et Art Mobilier Dans la Préhistoire Nord-Africaine et Saharienne, paris: mémoire de C.R.A.P.E, presse de la SRIP, p260.
9 - Benseddik (1993)N « les religions du Maghreb Antique ,les cultes Romaine et Berbéro romains » Revue Athar ,N°4, p25.

بظاهرتي الإعصار والمطر[1]، وأصبحَ على مر الزمانِ الإله الأب، وانتشرتْ عبادتُه أثـنـاء العصـرِ الحجري الحديث وعصر البرُونز إلى أن سيطرتْ سيطرةً تامة على الفِكرِ الدِّيني في حـوضِ البحـرِ الأبيضِ المُتوسط.

و يحدثنا هيرودوت عن تقديس الليبيين للبقرة، فيقول:« ...وان الليبيين الذين كان غذاؤهم اللحوم وشرابهم الالبان ،كانوا لا يمسون لحم البقرة لذات الاسباب الذي يمتنع من أجله المصريون »[2]، وربط ذلك بالإلهة المصرية "**إيزيس**" التي جسدت في شكل امرأة تحمل بين قرنيها قرص الشمس المقدس، وفي موضع آخر يقول: « إن الليبيين من مصر الى بحيرة تريتون لا يلمسون لحم الابقار ولا يربون الخنازير ..» [3].

كما ارتبط الثورُ بتقديسِ الكواكِبِ و خاصة بالقمر، الذي كان بدورتِهِ الشهرية يرمِـزُ إلى الولادة المتجددة والخصوبة والنمو [4].

وأشار المؤرخون الى الاله الثور "**قورزيل**" أو "**جرزيل**" (**Gourzil**) في بعـضٍ مـن النقـوش القديمة[5]، وهذا الاله حسب الأساطِير الليبية القديمة ناتِجٌ عن زواج الاله الكبير **آمون** ببقـرة[6]، فقد أشار كوريبوس (**Corippus**) الى قبيلة تسكن في اقليم السيرت ووصف أميرها ايرنا (**Ierna**) بكاهن الاله قورزيل، وبين أن هذه القبيلة كانت تضع ثورها المقدس في مقدمـةِ الجـيشِ كقائـدٍ وكممثل للإله قورزيل[7]، لكننا لا نملك أي تفاصِيل حول المراسِيمٍ الدينية التي أُقيمت له، ولا حول الطُرق التي اعتمدها الليبيون في طلبِ حاجاتِهم أو التقربِ منه[8].

وقد استمر المغاربةُ يقدسون الثُيران الى الفترةِ الرومانيةِ والإسلامية وصولاً إلى القرن الحـادي عشر للميلاد، فقد أشار البَكْرِي الى تأليه الثور عند قبيلة لَوَاتة الليبية قُرب طرابلس، فهـذه القبيلـة صنعت الها حجريا في صورة ثور ووضعته على هضبة تسمى "**قورزا**" (**Gorza**) وبيَّن أن السُـكان في المناطق المُجاورة يحجون اليه بانتظام، وهُم حاملين مُختلف القرابين والهدايا، كما انهم يتضـرعُون الى ذلك الصنم طلبًا للبركة أو الشفاءِ من الأمراض[9].

1 - Benabou M (1976)op.cit, p277 .

2- محمد سليمان أيوب (1968) ليبيا في التاريخ، بنغازي: مؤسسة ناصر للثقافة، ص172.

3 - Hérodote IV, 186.

4 - Le Quellec J (1993) Symbolisme et art rupestre du Sahara, paris: édit Harmattan, p194.

5- عبدالحفيظ فضيل الميار (2005) دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية في ليبيا، جامعة الفاتح ، ص ص 95-97.

6 - Gsell S (1920) H.A.A.N, T1, p 244.

7 - Corippus (s.d) Johannide , trad. Alix J, revue Tunisienne, pp110-111.

8 - Decret F Fantar M (1977) op.cit 255.

9- أبي عبيد الله البكري (1989) المسالك والممالك في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق محمد سويدي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص ص12- 32 .



(الصورة11) **مشهد صخري يبين تقديس الثور بمحطة الحسبية**

بوغرطة حدادو(2006) المرجع السابق، لوحة 4، ص105.



(الصورة10) **نقش صخري محفوظ بمتحف اللوفر يبين تقديس الثور**

غانم(2008) المرجع ،ص129.

ب- تقديس الكبش:

حَظِيت الكباشُ في المغرب القديم على أهميةٍ وقداسةٍ كبيرةٍ، حيث أدرك المغربي القديم ما لحيوان الكبشِ من مقدرة فائِقَة في التناسُلِ، لذا رُبط بينه وبين الخُصُوبة والبعث، لذلك هو يأتِي علـــى رأسِ

الحيواناتِ التي قدسها المغاربي القديم، فالدارس للرسوم والنُقوشِ الصخرية المنتشرة في شمالِ افريقيا يجد أن هناك تكراراً غريباً للكباش التي تحمِلُ على رأسِها شكلاً كرويا[1]. (الصورة14)

و منطقة الجنوب الوهراني من أهم المناطق التي عثر على رسوم للكباش فيها، والتي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ[2]، خاصة بـ(**بوعالم زناقة**) قرب البيض، وخنق الهلال وضيعة الحمير والحسبية وسيدي بوبكر بعين الناقة وزكار جنوب الجلفة[3]، وبآفلُوا بالأغواط، وبمناطق الشرق القسنطيني مثل خنقة بوحجار وكهف تسغنه وبالقرب من سدراته والخروب[4]، ومحطاتِ النُقوشِ الواقعة غرب تيارت[5]، وهي مشاهد تبين سعة انتشار تقديس المغاربة القدماء للكباش وحرصهم على نقلها أينما حلوا[6]، حتى أن فنطر رأى أنه كان لكُلِ قبيلة كبشٌ مقدسٌ خاص بها [7].

وفي معظم المشاهد نجد هذا الحيوان مزينا بقرص(**قلنسوة calotte**) فوق رأسه مشدود يربطه على مستوى الرقبة، وتخرج منها العديد من الزوائد كالريش والأغصان الصغيرة[8]،(**انظر الصورة**..)،كما ظهر في الكثير من المشاهد في وضعية دينية وبجانبه انسان رافع يديه مثلما هو في مشهد محطة بوعالم وعين الناقة [9]. (**انظر الأشكال10.9**)

حظي هذا الكبش بالكثير من الاهتماماتِ والدِّراسات، و أطلقَ عليه المختصون اسم "الكبش ذو الهالة" (**Bélier à sphéroïde**)، وأول من أهتم بهذه النقوش هو**كامبس** حيث أكد أنها تعبر عن احتفال ديني خاص بالرعاة الذين حاولوا تمثيل الههم من خلال الهالة [10]، كما عُرف الكبشُ هذا أيضا بآمون (**Ammon**)، واسمهُ مشتقٌ من "**أمان**" التي تعنِي في جميع اللهجاتِ الامازيغِية الماء، وهو حسب تعبِيرِ الاستاذ حارِش الاله الأعلى للمغارِبة القُدماء (**le grand dieu**) [11]، و ربط العديد من الباحثين بينه وبين الاله المصري "**امون طيبة**"(**Ammon-Thèbes**) نتيجة أوجه الشبه الكبيرة

---

1 - Gsell S (1914) H. A. A N, TI, op.cit, p 249.
2 - Flammand (1921) les pierres écrites (Hajrates Mektoubetes), gravures et inscription rupestres du nord-africain , paris: éd Masson , p370.
3 - Lhote H (1984) les Gravures Rupestres de l'Atlas Saharien Monts des Ouled Nail et région de Djelfa, Algérie: Office de Parc National de Tassili,p170.
4 - Bobo J & Morel J (1955) les peintures rupestres de l'Arbi du Mouflon et la station Préhistorique du Hammam Sidi Djeballa dans le cheffia(Est-Constantinois), Libyca, t III, pp163-182.
5 - Cadenat P (1952) les graveurs rupestre de Tiaret, Alger: actes du 2eme Congres pan-préhistorique, p709-713.
6 - Gsell S (1920) H. A. A N, T IV, op.cit, 126.
7 - Decret F Fantar M (1977) op.cit, p254.
8 - Lhote h (1984) les Gravures…ibid, p224.
9 - Hachid M (1982) le chronologie relative des gravures de l'Atlas Saharien (Algérien) et la région de Djelfa, Libyca, tome XXX-XXI,p144-145.
10 - Camps G (1987) « Ammon », France :encyclopédie berbère, TIV, p59 et suiv.
11- محمد الهادي حارش (1988) «أصول عبادة امون في المغرب القديم»، الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، عدد4، ص11 .

بين مشاهد الكبشين، كرسْمِ قرص الشمس أعلى الرأسِ والإحتواء على زوائدٍ كالريش أو الثعـــابِينِ الصغيرة.

لذلِك فقد ظهرت العديدُ من التساؤلاتِ حول إن كان هذا الكبشُ يمثل معبودًا محليًا أو أنه كان ذي أصولٍ مصرية ؟.

اعتقد البعض أن الإله المصري "آمون" الذي عبد على شكل كبش، والذي امتزج فيما بعد مع الإله "رع" أصل "الكبش ذي الهالة"المنتشر ببلاد المغرب، وأنه ظل يُـــعبد في منطقة المغرب القديم في شكله البدائي- على شكل كبش - لأن حضارة سكان المنطقة ظلت نسبياً متأخرة، ولكن اليوم بعد أن أثبتت الدراسات الحديثة انتماء رسوم ونقوش شمال إفريقيا إلى أوائل العصر الحجري الحديث، أي أنها أقدم من انتشار عبادة "آمون" في مصر بحوالي ثلاثة آلاف سنة [1]، كما تم العثور على صـــلاية تعود الى فجر التاريخ(**3500-3200 ق.م**) توضح أن المصريين كانوا يجلبون الـــثيران والكبـــاش وشجيرات الزيتون من بلاد اللوبيين[2]، هذا بالإضافـــة إلى الرســـوم والنـــقـــوش الصخرية الـــتي وجـــدت في لـــيـــبـــيا والتي تصور "**الثيران والكباش ذات الهالة**"، وترجع إلى مـــا بـــين الألـــف السادسة والخامسة (**6000-5000**) قبل الميلاد، أي إلى عهد أبعد بكثير من عهد الأسرات[3].

يمكن القول بأن "**الكبش ذي الهالة**" لا علاقة له بالإله المصري "**آمـــون رع**" [4]، بـــل أن بعـــض المؤرخين كــ"**لوغلي**"(**Leglay**) رأوا أن امون سيوة هو ذو أصل صـــحراوي لـــيبي، وأن عبادتـــه انتقلت الى مصر عكس ما أشيع سابقا[5]**.**

إنّ كثرة الزوائدِ التي يحملها الكبش ذو الهالة جعل كامبس يرجِّح أن هذا الحيوانَ كـــان يُقـــدم كقُربان لإله سماوي يرمُزُ الى الشمس[6]، إذ عثر على في الكثير من القبور القرطاجية علـــى أثـــاث جنائزي ومن ظمنها رؤوس وقرون لكباش، فضلاً عن عدةِ تماثيل التي تنسب لامون[7]، في حِين أن فاسيل (**Vassel**) يرى أن الكباش لم تكن مُخصصة للتضحِية وإنّما هي وسائِطٌ الهية[8]، ولكنـــه في كِلتا الحالتين يبقى محل تقدِيس.

1 - Camps G (1994) le bélier sphéroïde, gravures de rupestres de l'Afrique du nord, Encyclopédie berbère, TIV, pp6-10.

2- محمد الهادي حارش (1988) نفس المرجع، ص8.

3- محمد مصطفى بازاما (1973) المرجع السابق، ص 231.

4 - Trousset M (1948) Monnaies ancienne de l'Afrique trouvé à Tiddis, R.S.A.C, Vol, LXVI, p128.

5 - Leglay M (1966) op.cit, pp425- 432.

6 - Camps G (1974) les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara, paris: édit Doin, p335.

7- محمد الهادي حارش (1987) المرجع السابق، ص109.

8 - Vassel(1919) op.cit

استمر تقديس الكبشِ في العدِيدِ من المناطق بشمالِ افريقِيا الى فتراتٍ متقدمة، ففِــي الفتـــرة البونية أصبح يمثل حيوان تضحية الاستبدال لكونهِ الحيوان المفضل للمغاربة القدماء، فاستخدم مكان القرابين البشرية في العديدِ من المعابِدِ البُونية[1]، كما ذكرت لنا المراجعُ وجود قبيلة **بـــني لامـــاس** (**Beni-Lamas**) بالمغرب الاقصى تُمارس هذا التقديس حتى بعد دخول الاسلام لمدة طويلة[2]،كما أن قبائل **بني سنوس** (**Béni-Snouss**) في الشمالِ الوهراني(على الحدود المغربية الجزائريـــة حاليـــا)، بقيت تمارس هذ التقديس بتصوير كبش بقرنين من الذهب والفضة[3]، كما نقَلَ لنا الجغرافي المسلم البكري في القرن التاسع آخر المعلومات المتعلقة بعبادة هذه الحيوانات لدى الأمازيغ، وحســـب مـــا أوردهُ هذا الأخير، فإنه ثمَّة في عصرِهِ قبيلة أمازيغية من جبَال جنوب المغرب كانت تعبـــد الكـــبش، لدرجة أن أفرادها يتنكرون عند ارتيادهم الأسواقَ بالبلادِ التي تتدين بالإسلام[4].

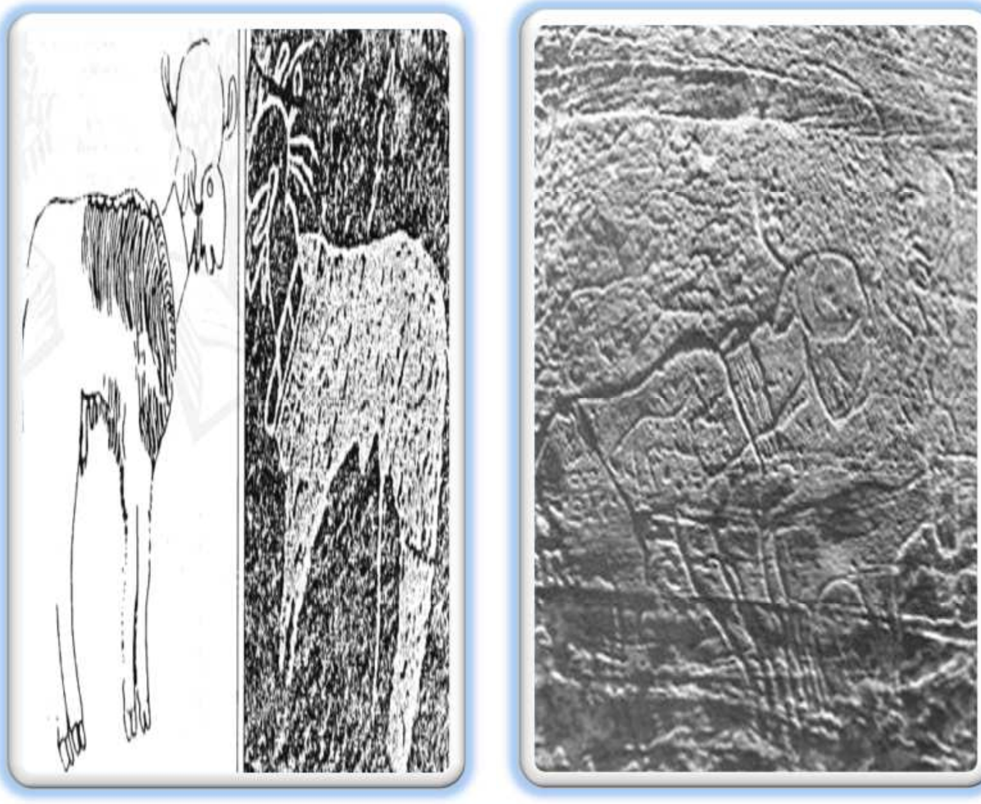
---

1 - Berthier A & Charlier L(1955) op.cit, p181.
2 - Basset R(1910)op.cit, p14.
3 - Destaing (1907) étude sur le dialecte berbère des béni snouss, paris :T2, pp53-54.
4- أبي عبيد الله البكري (1989) المرجع السابق، ص161.



(الصورة14)**مشهد صخري يبين تقديس الكبش محطة فيجة الخيل بجبل عمور**

يوغرطة حدادو(2006) المرجع السابق، لوحة رقم3،ص106.



(الأشكال10.9)**كباش ذي هالة وجدت في رسومات الاطلس الصحراوي**

يوغرطة حدادو(2006) المرجع السابق، لوحات4-5 ص ص107-108

جـ- تقديس الأسد:

شمِلَت أسرة المقدسات الحيوانية في شمال افريقيا الأسد أيضًا، فقد كان محل تقديسٍ هو كذلك، ولعله فاق في ذلك الثور نفْسِه، حيث أنه ربط بين شعره اللامع وبـين أشـعة الشـمس الحـارة والقوية[1]، لذلك نجد مشاهِدِه في العديد من الكهوف القديمة ككهْفِ مسـيور(**Messior**) رفقـة بعض الحيوانات المتوحشة كابنِ آوى والخنزير البري[2]، أما في الأطلس الصحراوِي فـإن مشـاهد حيوان الأسد لا تتواجد بِكثرة، رغم ذلك فان المغاربي القديم مثل الأسد في أغلَبِ تلك المشـاهد في صور واضحة وبارزة تدل على اهتمامه الكبير بهذا الحيوان وبالتالي تقديسَهُ[3]،(**انظر صورة15**)، ومن هذه المحطات نجد **تازينة وزكار وجاتو**، وتُعتبَرُ هذه الأخيرة من أروعِ المحطاتِ التي تظهر الملامح الكامِلة للأسد[4]، إذ يظهر الأسدٌ في أعلى جِدَار الصخرَةِ وفي الأسفلِ مُثِّلت باقي الحيوانات، وهـو دليل هام على تقديس الاسد كأحد القوى التي سيطرتْ على مُقدساتِ الانسان لدرجة أنه سُـمي ملكَ الغابة[5].

أما في المناطِقِ الشرقيةِ خاصة قُرب قسنطينة، فقد استمر تمثيله حتى الفترة البونية وتشهد علـى ذلك صوره المتواجدة بكثرة على نُصُب القبور البونية[6]، ويظهر أيضا على الاضـرحة النوميديـة كضريح قبر الرومية برفقة اللبؤة كحارسين[7](**أنظر الصورة 16**)، أما في الفترةِ الرومانية فقد عثـر على العديد من الانصاب المهداة الى ساتُورن وبجوارِه أسد،كما إندمجت صورة الأسد بصورةِ الالـه ساتورن في بعض الانصاب المهداة لساتُورن، وبين أرنوب (**Arnobe**) أن صورتهُمَا المُندمجة هذه هي تمثيل لاله واحد أهميته تكمن في حِماية الميت واضاءةِ قبره[8].

---

1 - Camps G (1978) op.cit. p151.
2 - Gsell S (1901)Monuments archéologiques de l'Algérie ,paris: première édition,T1,p48.
3- بوغرطة حدادو (2006) المرجع السابق، ص67 .
4 - Frobenius L (1936) Histoire de la civilisation Africaine, traduit par Back & Ermont , paris: édit Gallimard, pp57-58.
5 - Krendal A (2002) op.cit, p34.
6- محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق، ص130.
7 - Picard G (1954) les religions de l'Afrique antique , paris: coll, civilisation d'hier et d'aujourd'hui ,édit Plon , p11.
8 - Arnobe (1875) Adversus nationes, édit Rief ,IV,10.



(الصورة16) **نقش صخري يمثل أسدا مقدس وجد بمحطة جلمور الابيض**

يوغرطة حدادو(2006) المرجع السابق، لوحة رقم 12،ص115.



(الصورة15) **أسد و لبؤة نقشت على جدار بالضريح الملكي الموريتاني**

Bouchenaki M (1991) le Mausolée royal de Maurétanie, Alger :Agence nationale d'Archéologie et de protection des sites et des monuments historiquepes,p16

د ـ مقدسات حيوانية أخـرى:

لم تقتصر مقدساتُ المغاربةُ القدماء الحيوانِية على الكبشِ والثورِ والأسد، بل قــدَّس المغاربــةٌ القدماء حيواناتٍ أخرى، لكنها كانت أقلَّ أهمية لذلك نجد المصادِرَ المادية والكِتابِية لا تُوردهــا الا نادرا ، فديودور الصقلي يخبرنا عن وجود قبيلة تعيش معها القردة ضمن العائلة، وهي تُحترم بشكل كبير و يعاقب بشدة من يؤذيها،كما أن افراد القبيلة يتّخذُون أسماءها ألقابًا لهم [1]، أما قبيلةُ البَسِيل (**Psyiles**) في منطقة السرت فلها علاقة عجيبة مع الافاعي، فهم يعرِضُون المواليد الجدد للأفــاعِي فإذا لمس الطفل الافعى فإن ذلك يعني أن هذا الطفل هو فعلا ابن والده، وقزال يــرجح أن تكــون كلمة البسيل (**Psyiles**) تعني الافعى[2]، واستمر المغاربَةُ في تقديسِ الأفاعِي حتى الفتــرة البُونيــة والرومانية، فقد عثر على فسيفساء في هنشير الحمام بالقرب من خنشلة تبرزُ فيهــا أفــاعِي بجــوار حُورياتِ البحر بشكل يدل على أهميتها أما في تيبازة الموريتانية فقد شــاعَ أن القديســة سالســا (**Sainte-Salsa**) قد علمت أن الآمها نابعة من وجود أتباع لها يقدسون أفعى من البرونز رصــعت بالذهب [3]،كما أشير الى تقديسِ القِطِ الوحشي (**sphynx**)، الذي تظهرُ بعضُ صُوره على تِيجانِ آلهةٍ مُختلفة في اماكِن مُنعزلة[4] .

ولا يزالُ الطوارِق يَمتنعُونَ عن أكلِ لحمِ الورلِ، فهم يعتبرُونه خــالاً لهُــم يُمنــع اصــطياده أو ايذائه[5]، كما يمتنعون ايضا عن أكل لحوم الطيور والاسماك، والتي من المُمكنِ أن تكُون قد قدست في فترات سابقة[6]، وأغلبُ شعوبِ العالم اليوم تجعل حيوانًا ما رمزًا وطنيًا لها، ولنا في ذلِك العديدُ من الأمثلة كديكِ الفِرنسيين ودبِّ الرُوس وفيل الإيفواريين.

1- علي فهمي خشيم (1967) نصوص ليبية ،ليبيا: دار الفكر، ص112.

2 - Gsell S (1921) H.A.A.N,t1, op.cit, pp245-247.

3- محمد العربي عقون (2007) المرجع السابق، ص243.

4 - Gsell S (1901) op.cit, pp275-298-299-300.

5- بشي لبراهيم العيد (2009) المرجع السابق، ج4، ص21.

6 -Pierre M(1951) op.cit ,p117.

من خلالِ هذه الإطلالَة على المُعتقدَاتِ الوثنية التي مارسَها المغاربةُ يمكن لنا أن نُوجزِ أهَم ما توصلْنَا إليه في ما يلي:

*- شهدتْ بلاد المغرب القديمِ على غِرَار البلاد الأخرى تحولا جذريا في اساليبِ حيــاة الانســانِ الإجتماعيةِ وبالخصوص الجانِبِ الديني منها، جُسّد هذا التحول في إقامة مقابرٍ بجانب المسَاكِن بعــد استقرار الانسان بعدما كان يدفن موتاه داخل الملاجئ والكهوف.

*- ايمان المغاربي القديم بالحياةِ الثانية، وذلك يظهرُ جليًّا من خِلال اهتمامِهِ بِبنــاء القُبــور وتقــديمِ للقرابينِ واقامةِ للاحتفالات المُصاحبة.

*- استمدت أغلب الطُقوس الجنائزية من حرق للجثة أو تجريدها من اللحم، أو دفنِها بوضــعياتٍ مُختلفة أصالتها من الطقوسِ الجنائزيةِ المغاربية القديمة،كما أنّها استمرتْ الى فتراتٍ أحدث.

*- أثارت مختلف الظواهر الطبيعية بغرابتها وقوتها خيال الانسان المغاربي القديم فتفاعل معها وحاول مبادلتها مشاعره، وبذلك ولدت المعتقداتُ الأولى للمغاربي القديم كتعبيرٍ عن الحاجاتِ العميقة التي كان اشباعها رهنا بعناصر الطبيعة الى حد بعيد.

*- أن البداياتِ الأُولى لنشأةِ المقدساتِ الدينيةِ في المغرب القديم كانت بداياتً ساذِجة، مثلها مثــل الحضارات القديمة الأُخرى، ومرتْ به كل المراحل الدينية كتقديسِ مظــاهِرِ الطبيعــة والطوطَمِيــة والفلكية.

*- عكست الرُسُوم الصخرية في التاسِيلي ازجر و في الأطلسِ الصَحراوي رُغم مادِّيتــها الطــابِعَ النفسي و الديني لراسمها، وكانت أهم المصادر المادية لدراسة الدين بالمنطقة.

*- يمكن القول أن المغارِبي القديم لم يُقدس الحيوان لذاته، ولكنه وجد فيه روحًا ســامية ســكنتها ،تمثلت في روح ربه التي حلَّت في ذلك الكبشِ أو ذلك الطيرِ أو غيرهِما من باقِي الحيوانات.

*- الكبش من المقدساتِ الأصيلة في بلاد المغربِ القديم عرف منذُ عصورِ ما قبل التَّاريخ، ولــيس وافدا مصريا كما إدَّعى بعضُ المُؤرِخين، بدليل الرُسُوم الصخريةِ التي تُعُود الى عصرٍ أقدم من عصرْ ما قبل الأسراتْ.

الفصل الثاني

دور مختلف العلاقات القرطاجية النوميدية في التأثير الديني

أولا : خلاصة المعتقدات القرطاجية:

(الطقوس الدينية والجنائزية، الآلهة، المعابد)

ثانيا : دور العلاقات القرطاجية النوميدية في التأثير الديني:

1- العلاقات التاريخية.
2- العلاقات الاقتصادية.
3- العلاقات العسكرية.
4- العلاقات الاجتماعية

قبل أن نطرُق مواضِع التأثير القرطاجِي الديني في نوميديا، يجب توضيح المعتقدات القرطاجيـــة المختلفة من الهة وطقوسٍ ومعابد، هذه المعتقداتْ التي لا يُوجد مجال لفهمِها دُون العودةِ الى مهـــدِها الشرقِي الذي نشأتْ فيه.

احتوت أسفار التوراة، وبعضُ النصوص المصرية والإغريقية كما معتبرًا من الاشاراتِ المتعلقـــة بالمعتقدات الفينيقية، هذه المعتقدات كانت شأنها شأن غيرها من ديانات الحضارات القديمة الأخرى تدور حول تقدِيسِ مظاهِرِ الطبيعة المُختلفة، فقد عرفَ الفينيقيون الهة متنوعةً تنوع المظاهر الطبيعيـــة رمزَ معظمها إلى الشمسِ، الزراعةِ، الخصبِ، والماء[1].

نقل الفينيقيون الهتهم التي عبدوها من مدنهم الشرقية الى جميع مستوطناتهم الـــتي أسَّســـوها في غربي المتوسط، لذلك فديانة قرطاجة وهى وغيرها من المستوطناتِ الفينيقية التي أُنشأتْ غربًـــا، لا تختلف كثيرا عن الديانة الفينيقية في بلادها الأصلية [2]، فقد وُجِدت في قرطاجة طقُـــوس ومعابـــد لنفس هذِه الالهة، سنخصص الجزء الأول من الفصلِ هذا في التعرُّف على المعتقداتِ القرطاجيـــة، ثم نبين أهم العلاقاتِ التي جمعت بين النومِيديين والقرطاجِيين والتي سهّلت التأثيرَ الديني .

أولا : خلاصة المعتقدات القرطاجية :

تدل الأثار المادية المتمثلة في القُبور وبقايا المعابِد والنقوش الإهدائية التي وُجِدت في قرطاجـــة، وفي المُستوطناتِ التابعة لها على طُول السواحِلِ المغاربية على مكانةِ المعتقـــداتِ الدينيـــة في حيـــاةِ القرطاجيين، هذه المعتقدات التي تعود أصولها الى ما جاء به الملاحون من الساحل الفينيقـــي، فقـــد أخذت قرطاجة عن **صور** و**صيدون** و**أوغاريت** وغيرها مـــن المُـــدن ألهتـــها وطقوسِـــهَا الدينيـــة المختلفة[3]، طقوسٌ والهةٌ ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بطبيعة أرضِ كنعان، فعكســـت تـــأثُّر الفينيقـــيين بالتضاريسْ والبحرْ وبالزراعةْ وبالخصب والتناسُل[4]، ولهذا آمن الفينيقيون ببعضِ قـــوى الطبيعـــةِ المحيطة بهم، وعبدُوا الكثيرَ من الآلهة، لدرجة أنه كان لكلِ مدينة إله خاص يُعبد فيها، ثم إمتزجـــت تلك الالهةٌ والطقوس بالعناصِرِ الافريقية عند انتقالِ الفِينيقيينَ الى شمالِ إفريقيا[5].

1- موسكاتي سباتينو (1986) المرجع السابق، ص128.
2- الامين علي أمين « تانيت الفينيقية »، مصر: جامعة الزقازيق، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، أبحاث المؤتمر الدولي الأول لدراسات الشرق الأدنى القديم،9-11-2010، ص47 .
3- شارل أندريه جوليان (1969) المرجع لسابق، ص119.
4- جان مازيل (1998) المرجع السابق، ص35.
5- غلاب عبد الكريم (2006) قراءات جديدة في تاريخ المغرب الكبير، بيروت: دار الغرب الاسلامي ط1، ج1، ص 54.

جلب الفينيقيُون الهتهم الكثيرة الشرقية الى شمالِ افريقيا واقامُوا لها المعابد في أغلبِ المستوطنات التي أنشأوها في غربي المتوسط خاصة بقرطاجة، لكن أُدخلت عليها تأثيرات أُخرى(1).

وكان القرطاجيون يعتقدون بتعدد الالهة التي يختص كل منها بجانب معين، كما أنهم فسروا حدوث الكوارث والأمراض المعدية و الجفاف على أنها دلالةٌ على غضب الآلهة، وأن الأمر يستوجِب عملَ كل ما من شأنه تخفيفُ غضبِها ونيلُ رِضائها.

اعتقد الفينيقيون بحياة ثانية بعد الموت(2)، فشيدوا مقابرًا حفظوا فيها جثث أمواتهم شأنهم شأن جميع الحضارات القديمة، خاصة أولئِك الذين عُرفوا بحياة مليئة بالبطولات كــ **اليسار** و **هملكار**(3).

وأضافوا الى جثة الميت أدوات خاصة به اعتقدوا أنها ستلزمه عند إعادة بعثه في الحياةِ الثانِيـــة، و امتازت هذه الأدواتِ بالبساطةِ كالأدواتِ المنزليةِ التي كان يســـتعمِلُها الفينيقيـــون مِـــن الأواني الفخاريةِ و المصابِيح الزيتيةِ، وحتَّى الإبر والدَبابيس(4)، وقد عُثر على هـــذِهِ المرفقـــات في أغلـــبِ المحطاتِ التجاريةِ التي أنشأتْ وصولاً الى غربْ المُتوسط (5).

عادة ما تم دفن الميتُ بشكل ممدد على الظهر مع ضم اليدين الى الصدر، ثم تلف الجثة في قطعة من القماش وتثبت بدبابيس معدنية وجدت بقاياها متآكلة بفعل الزمن(6)، كما أشير الى أن أهـــل الميت يقدمون لعدة أيام الأضاحي للآلهة الحامية للجثة، ثم يصنعون أنصابا ترمز الى الترجـــي (**اليـــد المفتوحة**)(7)، أما في القرون الأخيرة من حياةِ قرطاجَة فقد ظَهَر التأثِير الهلنستي الذي تَّمثل في التخلَـــي عن الدفن واستبدالِه بحرقِ الجثة(8).

1- بومعقل الحاج أحمد مولاي (2009) مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا،الزراعة،الديانة،واللغة من القرن الثالث الى 146ق.م، جامعة الجزائر: مذكرة ماجستير، معهد التاريخ، ص ص35-36.

2- فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق، ص124.

3 - Diodore de Sicile, op.cit, XVI, 95-96

4- محمد الصغير غانم (2003) المرجع السابق، 142.

5- عصفور محمد ابو المحاسن (1981) المرجع السابق، 166.

6- بومعقل الحاج أحمد مولاي (2009) المرجع نفسه، ص125.

7- محمد الهادي حارش (1995) المرجع السابق، ص125.

8- رشيد الناضوري (1976) مدخل في التطور التاريخي والديني، جنوب غربي اسيا وشمال افريقيا، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص146.

ومن الالهة التي جلبت من الشرق وعبدها القرطاجيون نذكر:

- **-إيــــل: [El]**

هو إله القُوى الكامنة أقدم الالهة وأكبرُها، انتشرت عبادتُه بين مختلفِ عشائِر الكنعانيين، ابتـــداءًا من الألف الثالثة قبل الميلاد اختص بتقديمِ الخيرات كما أعتقد الفينيقيُون أنه هو خالق الخلق[1]، كما وصف أيضا باله الرحمة والعطف والشفقة .

وتعني كلمة "ايل" الله[2]، ووردت أيضا بمعنى الأول كإشارةٍ للإله الأكبر أب الالهة والبشـــر لـــدى الفينيقيين ،مثل في العديد من الانصاب في صورة رجل ملتحي عليه ملامِح العظمة والوقار، مرتدي ثوبًا طويلاً ويزينُ رأسه تاجٌ محاطٌ بقرون[3].

فقد ايل أهميتهُ تدريجيًا لدى الفينيقيين، وأصبح مثالاً للآلهة الهرِمة الضعِيفةِ التي تُعاملها باقي الالهة باحتقارٍ، فأخذ بعلٌ مكانه[4].



(الصُورة17) **تمثال نحاسي لإيل جالس على عرشه**

www.rasshamra.ougarit.mom.fr

1- شارل فيريللو (1990) أساطير بابل وكنعان، ترجمة ماجد خير بك، دمشق: مطبعة الكاتب العربي، ص64.
2- إبن منظور (1988) المرجع السابق، المجلد 11، ص40 .
3- حسن نعمة (1994) موسوعة ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة، معجم أهم المعبودات القديمة، بيروت: دار الفكر اللبناني، ص180.
4- مارسيا الياد (1986) المرجع السابق، ج1، ص190.



(الصُورة 18) **تمثال حجري يصور الاله الفينيقي إيل**

أنيس فريحة (1980) المرجع السابق، ص39

➢ **-بعـــل** : [Baal]

تعني في لغتهم السيد أو الرب مالك المدينة[1]، وهو ابن للإله داجون إلـــه الحبـــوب والمـــوفر القوت[2]، وهو سيدُ الزراعة الذي يحارب بضراوة كما عُرف بالاه العاصِفة والبرق، لذلك يظهرً في أغلب المخلفات الأثرية في هيئةِ إنسانٍ وهو يحمل صاعقةً بيده، كان لكلِ مدينة بعلُ خاصُ بها، فقد كثرت تسميته المقرونة بأسماء المدن، فنجد مثلا "**بعل شافون**" بمعنى إله الجنوب، و"**بعل شمام**" أي إلـــه السموات و"**بعل صور**" و"**بعل لبنان**"[3].

وهو مصدرُ للخصوبة (المطر الذي تنزله العواصف)، وعرف باله الحرب أيضًا فهو زوجُ عنَّاة الهة الحربِ والحُب، وقد خاض معاركًا كثيرة ضد ايل من أجل تزعُمِ الآلهة [4].(أنظرالصور19-20)

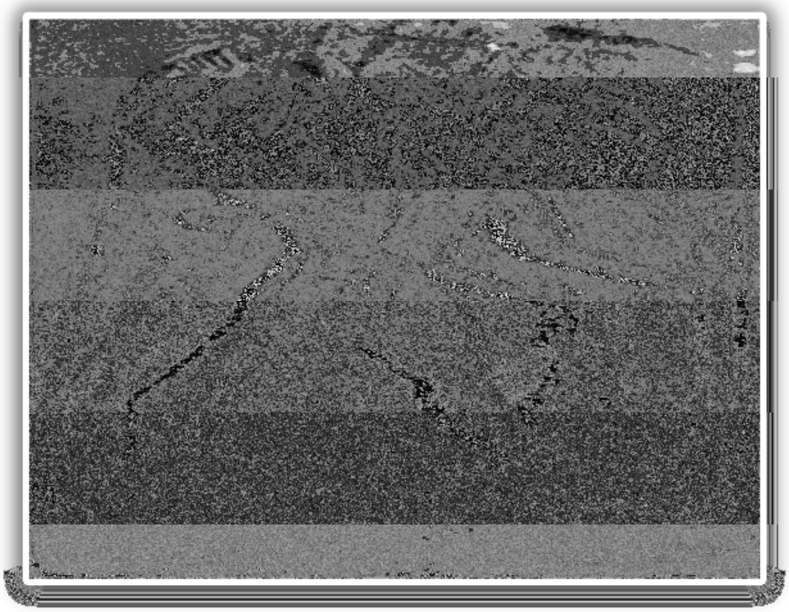
1 - Dussaud R (1949) Les Religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens, Paris: edit°2 (Presse universitaires de France), p362.

2- أنيس فريحة (1980) ملاحم وأساطير من رأس الشمرا، بيروت: دار النهار للنشر، ص43.

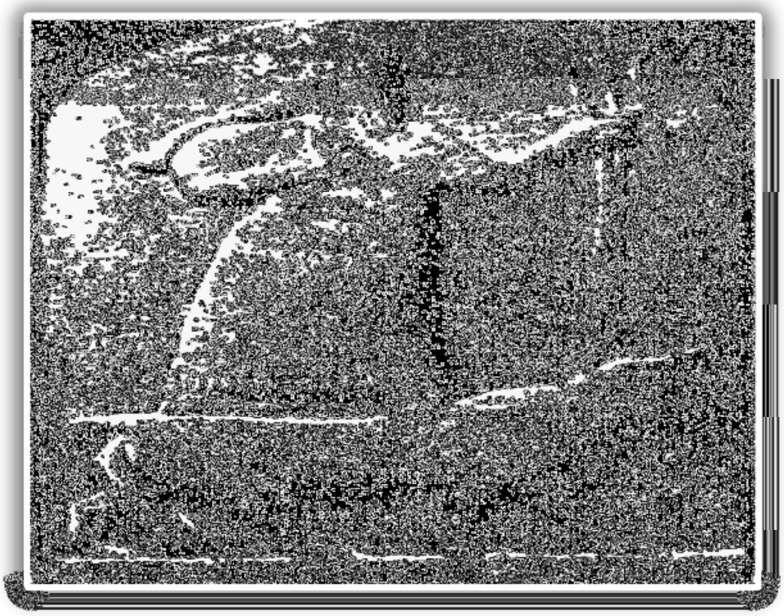
3 - Contenau (G) (1960) Civilisation ancienne du Proche Orient, paris , pp.108, 109

4- شارل فيريللو (1990) المرجع السابق، ص79 .

صار بعل الاله الرئِيسي للفينيقيين بعد خوضِهِ لمعارك كثيرةٍ حفظتها نُصُوص لوحاتِ رأس الشمرا [1]، ضد الاله **أنيمو** التنين ذو الرؤوس السبعة والاله موت[2].



(الصورة19) **نصب الاله الفينيقي بعل محفوظ في متحف اللوفر**
موسكاتي سباتينو (1986) المرجع السابق ، ص16.



(الصورة 20) **مسلة من أوغاريت تصور الاله الفينيقي بعل**
هنري عبودي(1991) المرجع السابق، ص163.

1- أنيس فريحة (1980) المرجع السابق، ص46.
2- الماجدي خزعل (2001) المرجع السابق، ص148 .

➢ -**عنـــاة [عينات**] : [Ant]

وهذا الاسم مشتقٌ من " **إنانا** "، وهي الهة الحب والجمال السومارية، ولكن شخصـــية عنـــاة الفينيقية تختلف عنها فهي تميل الى القسوة والقوة، وهي رفيقة بعل وزجته وأخته، قاتلت موت مـــن أجلِ أن يطلق سراحه كما ترويه الاساطير، ثم شوتْه بالنار وطحنته ودفنته في حُقولِ القمح [1].

عرفت عناة كربةٍ للصيد والحرب، وتذكر الاساطيرُ حبها للدماء إذ كانـــت تغتســـل بـــدماء ضحاياها عند نهاية كل معركة تجريها، ثم أمرها زوجُها بعل بالجنوح نحو السلمِ ليكشف لهـــا ســـر الطبيعة[2].

➢ -**ملقـــــرط** : [Melqart]

كان في الاصلِ معبودا شمسيا عند الفينيقيين[3]، انتشرت عبادتهُ في قرطاجـــة وبهـــا اكتســـب خصائص بحرية بعد أن انتقل عبر البحر غربا[4]، وأصل اسمه **ملوخ قرت**، **ملكريط** (**ملـــك المدينـــة**) ، كما أعتبر في العديد من المراجع حامي قرطاج جن قرطاجة، والمجن هو الدرع والشفيع[5]، كما انه رمز من رموز الذكورة الممثلة في السماء والشمس والنهار[6]، و أرتبط أيضًا بالآلهة الخيرة التي توفر الحماية والرعاية للمتعبدين[7]، ورُبط بينه وبين سلامَةِ البحّارة ونجاحِ التِجارة وتوفيرِ الثراء[8].

ظهرت أثارُ عبادته في العديدِ من المراكز الغربية، كقادش حيث بني له معبد خاصٌ منذ القـــرن الثاني عشر قبل الميلاد[9]، ويرجِّح الباحثون أن **ملقرط** هو المعبود الأساسي في قرطاجة، وقد قـــدمت له أضاحي بشرية من الأطفال الصغار تحت اسم (**مولوخ**) أو (**مولـــك**)،كما بقيت قرطاجـــة تقـــدم مكوسًا هامة لمعبده الأساسي في مدينة صُور[10].(**أنظر الصور**21)

ويعني ذلك الاسم (**الملك الرهيب**)، فقد بيّنت العديد من الرواياتِ أن سكان قرطاجـــة حـــين يضيق بهم أمر ما في تجارةٍ أو حرب أو غيرهما يضحّون بأبكارِهم من الأطفال، وتتم هذه التضـــحية

1- فراس السواح (1985) لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دمشق: ط10، دار علاء الدين، ص312
2- الماجدي خزعل (2001) المرجع السابق، ص ص138-141 .
3 - Dussaud R (1947) «Astarté, Pontos, Baal», paris: CRAI,p172.
4- مهران بيومي محمد (1990) مصر والشرق الادنى القديم، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية الازارطية، ص214.
5 - Lipinski E (1995) op.cit, p227.
6- خير الله شوقي (1992) قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، دار الدراسات العلمية والمركز العلمي،ط1، ص140.
7- بورنية الشاذلي (1999) قرطاج البونية، تونس: مركز النشر الجامعي،ص294.
8 - Fabrice Léomy (1994) op.cit, p85.
9- يولي بركوفيتش تسولي (1988) الحضارة الفينيقية في اسبانيا ، طرابلس الشرق: المطبعة العربية، ط1، ص104.
10- عصفور محمد ابو المحاسن (1981) المرجع السابق، ص145.

بحرقهم تقربا له،كما حدث في حصار قرطاجة بين عامي **(307-310 ق.م)** حيث ضحى القرطاجيون مئتا غلام من أرقى الأسرات[1].



(الصورة21)**تمثال برونزي للإله ملقرط محفوظ بمتحف مدريد**

www.phéniciens.com

1- محمد بيومي مهران (1990) المرجع السابق، ص215.

➢ - **أشمـــون**: [Ashmon]

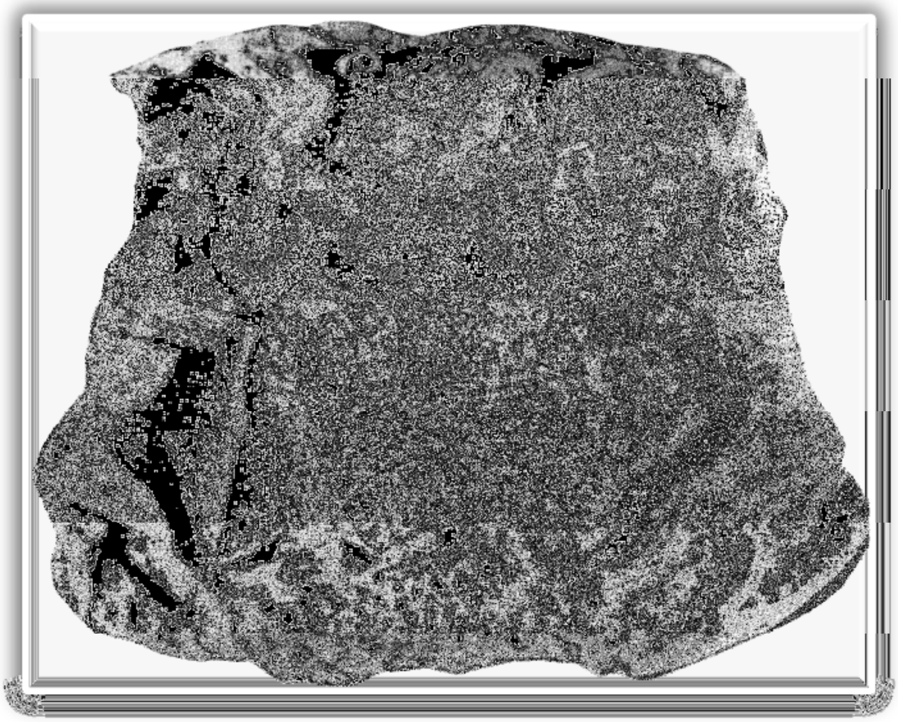
عرف اشمون بأنه اله الطب والصِحةِ في صيدا [1]، واسمهُ مشتق من (**شـيم**) Smnالـتي تعـني الاسم الأعظم[2]، بعد الانتقال الى الساحل الغربي للبحر الابيض المتوسط أصبح هذا الاله المعبـود الأكثر قوة وانتشارا في قرطاجة وباقي المراكز، ولعله قد فاق المعبود ملقرط[3]، وقد ربط العديد من مواطني قرطاجة اسمائهم به كــ"عبد أشمون"[4]، إذ أحصى الباحثون ما لا يقل عن (**1500**)اسـم من هذا التركيب كــ(بد ملقرط) التي تعني (بيد ملقرط) و(عبد ملقرط) ، وهو دليل علـى سـعة انتشار هذا الاله، لذلك شيد له معبد في بيرصة (**Byrsa**) منذ الفترة الأولى لبناء المدينة كما تُشـير اليه المصادِر النقائِشية [5].

➢ - **عشتـــار** : [Astarte]

تسمى أيضًا عشتار أو عشتروت، وهي من أكثرِ الهة الخصوبةِ شهرة لدى الفِينيقيين[6]، زوجـة الاله الأب إيل، وردت في التوراة بصيغةِ الجمع **عشتروت** وهي الهة الحُب والاخصـابِ والربيـع وسيدة الحب الاباحي، عرفت بالعديد من الألقابِ كــ"**سيدة السماء**" و"**سيدة الالهـة**" و"**الأم**" و "**أيلة**" و "**إيلاتو**"[7]، وارتبط اسمها أيضا بممارسة طقوس البغاءِ المقدس الذي هدفِ أساسًا الى تجديد النسل الفِينيقي، كما ربط بينها وبين الحرب والصيد[8]، وكان معبدُها هو المعبد الرئيسي في مدينـة صور[9]، هذا و لم تقتصِر عبادتها في الساحِلِ الفينيقي ، بل حملها البحارَة الفينيقيون معهُم الى انحـاءٍ متفرقة من العا لم القديم، فانتشرتْ عبادتها بمصر، قُبرص، صقلية وقرطاجـة[10].(أنظر الصور22-23)

---

1 - Contenau G (1960) op.cit, p62.
2 - Lipinski E (1992) Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, édit Brepols, p127.
3- محمد بيومي مهران (1990) المرجع السابق، ص ص214-215.
4- مادلين هورس ميادان (1981) تاريخ قرطاج، ترجمة ابراهيم بالش، بيروت: ط 1، منشورات عويدات،ص65.
5- فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق، ص114.
6 - Dussaud R (1937) les découvertes de Ras-Shamra (Ugarit et l'ancien testament),paris: p7.
7- خزعل الماجدي (2001) المرجع السابق، ص ص115-117.
8- الشاذلي ب & طاهر م (1999) المرجع السابق، ص296.
9 - CIS,I,3779.
10- عرب معن (1970) صور حاضرة فينيقيا، بيروت: دار المشرق للطباعة والنشر، ص154.



(الصورة22) **عشتارت حولها حيوانات متوحشة**

شارل فيريللو (1990) المرجع السابق، ص124



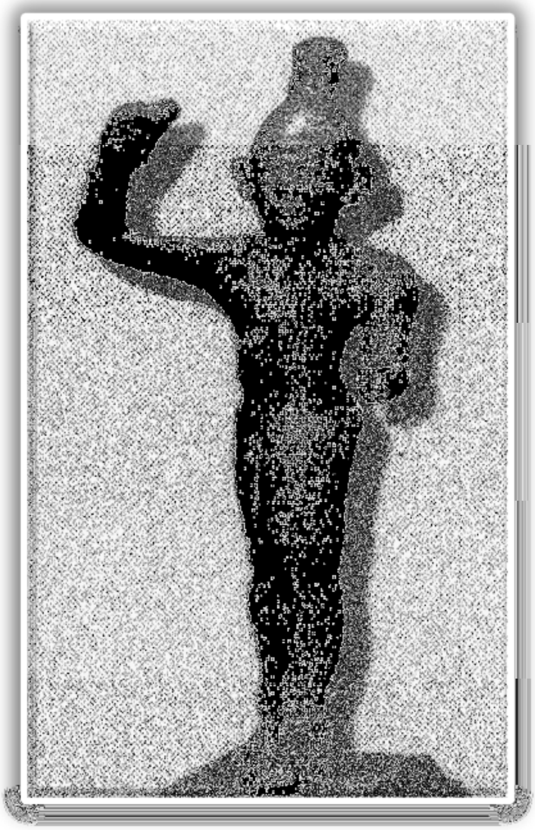
(الصورة23) **تمثال رخامي لعشتارت بمتحف مدريد**

يولي بركوفيتش تسولي(1988) المرجع السابق

ص350

وجمعَ الفينيقون بين الِهتهِم في ثنائياتٍ أو ثلاثياتٍ، واشركُوا صفاتِها، من أجل تقويةِ نفوذِهـــا وقدرهَما، فنتج عن هذه العملية ظُهورُ الهة مُركبة من مثل: **سيد ملقرت** [1] و**أشمـــون عشـــتارت**[2]، وغيرهُما الكثير من الالهة.

رأينا أن نكتَفِي في هذا الجزء من البحثِ بإستعراض أهم الالِهة التي عرفها القرطاجيون، ونُشير هنا الى الهة أقل أهمية مثَّلها "**رشف**" **(Rechef)** إله البرقِ والرعد[3]، و"**بعل شامين**" إله السمواتِ، و "**أدون**" اله الزراعة والطبيعة [4]، بالأضافةِ الى "داغون" اله المجاري المائِية ومبشر المطر و" **بعل إيـــدير**" الذي جعل منه بعض الباحثين اسمًا اخر للإله بعل حمُّون[5] .



(الصورة24) **تمثال من البرونز للإله رشف الفينيقي**

فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق، ص19.

1 - CIS ,I,256 .
2 - CIS, I, 245.
3 - Contenau G (1960) op.cit, pp110-111; Lipinski E (1995) op.cit, p179.
4- عصفور محمد ابو المحاسن (1981) المرجع السابق، ص ص145- 146 .
5- غانم محمد الصغير (2005) المرجع السابق، ص95 .

كما تأثر القرطاجيُون بعبادات غيرهم من الشُعوب التي جاورُوها، فتبنــوا الهتــهُم وعبــدُوها وأقاموا على شرفها المعابِد وقرنوا اسماء أبنائهم باسمائِها، ومن بين هذهِ الالهة نجد الالهة المِصرية **ايزيس (Isis)** راعيةُ الزواج[1]، الالهة **حتحور(Hathor)** إلهةُ الموتى[2]، ونجد أيضًا الاههة **بس (Bes)**حامية الحوامِل ومحبة الغناء[3].

ومن الالهة الاغريقية نجد ديميتر و كوري، اللَّذان أُدخِلا الى قرطاجة بعد اعتقادِ القرطــاجِيين ان هملكون قد سبَّب غضبهما بعد أن نهب معبدهُما في سيراكُوزة[4].

وإلى جانِبِ المقابر شيد القرطاجيُون معابد عديدة لألهتهم الكثيرة، وذكرَت النقــائِشُ الــتي تم العثور عليها معبد **عشتارت، أشمون** و **ملقرط**، وأشار المؤرخون الى أنها انتشرتْ في كامِلِ المُدن البونية الساحِلية كصلامبُو[5]، ثم انتقلت تدريجيا الى الداخِلِ حتى وصلت الى سيرتا أين عُثر علــى معبــدِ الحفرة[6]، وعادةً ما بنيت المعابد في أمكنة عاليةٍ إتباعًا لتقليد فينيقي شرقي، من أمثلةِ هذهِ المعابد نجد معبد الاله أشمُون الذِي بني على مرتفع يشرفُ على مدينة قرطاجة[7].

عرفت المعابد القرطاجية ثلاثة أنواع أشهرها التوفات (**Tophet***)، وهي فضــاءات مقدســة مفتوحة على الفضاء لا سقف لها،لا يفصلُها عن الخارج سوى جدار صغير من حجرٍ أو طــين[8]، يتوسط التوفات مذبح به حجر أو حجرين مقدسَين يعتقد انهما مسكنُ الاله (**بتيــل**)، وبــه أيضــا أخدود تشعل فيه نار كبيرة تحرق فيها الأضاحي، وتدفن بالمكان بقاياها في جرار فخاريــةٍ تــدعى **الأجاجين**[9] (**انظر الشكل 18**)، تعلوها أنصابٌ تبين المضحي وطلبهُ، وعادة ما أرفقت البقايا بتمائِمٍ وتماثيلٍ وحُلي[10].

1 - CIS, I, 241,2098.

2- غانم محمد الصغير(2005) المرجع السابق، ص84.

3- محمد فنطر (1999) الحرف والصورة في عالم قرطاج، تونس: منشورات البحر الأبيض المتوسط (أليف)، ص311.

4 - Diodore de Sicile,XIV,77.

5- فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق، ص ص 222 -223.

6 - Berthier A & Charlier AR(1955) op.cit.

7- مادلين هورس ميادان (1981) المرجع السابق، ص67.

*- التوفات:« tophet » إنتشر استعمال هذا المصطلح بعد اكتشافات 1921 بصلامبو « Salammbô »،أصله عبراني (tpt) ويعني الفرن أو المجمرة التي يقدم فيها الأطفال على شرف بعل قرب (بين هينوم) Ben Hinnom بفلسطين الحالية، انظر:
Mohammed Ali A (2010) Réinterprétation de l’iconographie votive géométrique carthaginoise à travers une approche transdisciplinaire le « duo céleste », le losange, l’« idole-bouteille le « signe de Tinnit » et l’étendard. (VIIe/VIe – IIe s. av. J.-C.) Thèse ,«du grade académique de Docteur en Histoire, art et archéologie, Université libre de Bruxelles, p13.

8 - Diodore, XX, 14.

9 - شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص121.

10 - Fantar MH(1977) op.cit, p299.

الاكتشافاتٌ الأثرية تدلٌ على تقديم الأضاحِي الحيوانية المُعتادة مثل الماعِزِ والأغنام والبقر والغزال كقرابين، لكنّهم كانوا يتجنبون آكل لحمَ الخترير و لا يستخدمُونه كقربان لألهتهم[1]، كمَا قدم القرطاجيون أطفالِهم كأضاحِي في هذه التوفاتْ، فقد بيَّنت التحاليلُ المخبرية أن ما احتوتّه الأجاجين كان عظاما بشرية بالإضافة الى عظامِ الحيوانات، لكن المؤرخِين اختلفّوا حول حياةِ أو موت الطفل المضحى به، فمِنهم من يرى أن القرطاجِيين قربنُوا بأولادٍ ماتوا في سنٍّ صغيرةٍ أو ولدوا أصلا ميتين[2].

ومُنهم من يرى أنهم قدموا أطفالهم أحياءا باعتبارهم أهم القرابين الى المذبح على أمل إرضاء الهتهم الغاضبة، ويستدلون على ذلك بوجود مصادر مادية دلت على أنهم لم يسمحوا لأولياء الضحية بالبكاء أثناء ممارسة تلك الطقوس[3]، بدأ أغنياء القرطاجيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد يتخلون تدريجيا عن تقديم أبكارِهم كأضاحِي، واستبدلوهم بأطفال أشتروهم من أبناء الفقراء أو من أبناء عبيدهم[4]، ثم عوضت الأضاحي البشرية منذ القرن الرابعِ قبل الميلاد بأخرى حيوانية أكثرها انتشارا قرابين الكباش، و لم تستقبل التوفات بقرطاجة منذ ذلِك الوقت إلاّ الأضاحي الحيوانية التي عرَّفتها المصادر النقائشية باسم **مٌلوخٌور (Molokhmor)** [5].

إن التضحيةَ بالأطفالِ جعل العديد من الكتاب القدماء والمحدثين يهاجمون الديانة القرطاجية ويصفونها بالهمجية والوحشية، بل ألهم ذلك بعضا من كتابهم ليؤلفوا روايات مليئة بالمغالطات التاريخية، التي تجعل من يقرأها يرى أن الفينيقيين بلا قلوبٍ ولا مشاعرِ، يفقدون عُقولهم أمام الطلباتِ الدموية غير المنتهية لألهِتِهم.

اما المعابدُ فقد اهتمَ بها كهنة متفرغُون عرفوا بتوارث مهنتهم في عائلتهم، ارتدوا عند إقامة الاحتفالات الدينية ملابس مميزة مؤلفة من قبعة ذات شكل اسطواني ورداء طويل، يزينه عادةً شالٌ مزركش على الكتف الأيسر مع ربط الشعر برباطٍ معدني ثمين[6]، وتتم الطقوسُ بإشراف كبيرِ الكهنة الذي يعد أعلى مرتبة دينية بالمعبد، يساعده العديدُ من الكهنةِ المخلصين مِن الذِّين وهبوا

1- عبدالحفيظ فضيل الميار (1999) « ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية »، مجلة آثار العرب العدد21، ص ص 31-41.
2 - Picard G F (1956) Carthage et l’archéologie contemporaine, Revue de paris, p109.
3 - Février JG (1962) op.cit, p172.
4- شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص121.
5 - Leglay M (1961) op.cit, p23.
6- خزعل الماجدي (2001) المرجع السابق، ص243 .

حياتهم لخدمة الالهة، يُضاف اليهم عمال متطوعون أخرون يهتمون بالنظافـةِ وإشـعالِ المصـابيح والعزف[1].

أخذ الكهنةُ قسما كبيرًا من القرابين نظير خدماتهم كقوتٍ لهم، سوآءا كان هذا القُربان حيوانا أو مالا أو أطعمة[2]، وكان المجمّعُ الكهنوتي في قرطاجة منظمًا جدا، تمتع أعضائه بنفـوذ روحـي ومادي كبيرين من خلال تحكمهم في كل ما له علاقة بالطقوسِ والقرابين رغم ما وجه لهم من انتقاد شديد بسبب إشرافهم على تقديم الأضحيات البشرية (**Molk**) في القُـرون الأولى بعـد تأسِـيس قرطاجة، قبل أن تعوض تدريجياً بقرابين حيوانيةٍ وغذائيةٍ متنوعة[3].

<u>ثانيا</u>: <u>دور العلاقات القرطاجية النوميدية في التأثير الديني:</u>

شاع بين المتخصصِين الغربيين في تاريخِ المغربِ القدِيم مقُولة أن تاريخَ هذه البلادِ مـا هـو إلاّ نِتاجُ تعاقبِ تأثيرات الحضارات الأجنبية التي وفدت على المنطقة والتي تشهد عليها أثارهـا الماديـة المختلفة، وبالخُصوص حضاراتِ الرومانِ والوندالِ والبيزنطيين التي مجدوها وجعلوهَا الأرقـي، مـع تغافلهم لأهم التأثيرات و أوضحها وهي تأثيراتُ الحضارةِ الفينيقية .

كما وصف المؤرخون الكلاسيكيون لاتين أو اغريق سُكان المغربِ القديم بالمجموعة البشرية غيرِ المنظمة، والتي لا تمْلك و لم تمْلك أي شيءٍ من الثقافة، بل استقبلتْ بكل ارتياحٍ حضـاراتٍ أجنبيـة جاهزةٍ ومُشكلة، لتطبع في أذهاننا عن أسلافنا صورة – **النوماد** – (**Nomade**) الرحّـل كأنـاسٍ بدائيين لم يصِلوا بعد الى التحضر، أناسٌ بدون زراعة ومدن حضرية ولا قوانين تحكمُهم، انتظـروا طويلاً قبل أن يتعلموا فلاحة أراضيهم وزراعتها[4].

لم تكُن العلاقات الفينيقية المغاربية علاقات وقتية عابرة، بل كانت أعمق من ذلك بكثير، فرغم أن العلاقاتَ المغاربية القرطاجية الباكِرة علاقاتٌ غامِضة، ذلك أن المصادر التاريخية المُختلفة لم تفصل فيها واكتفت ببعض الاشارات البسيطة، التي وُصِفت بغلبة الطابع الأسـطُوري عليهـا[5]، إلا أن الفينيقيين والأهالي عاشوا ردحًا من الزمن جنبا الى جنب والمخلفات الأثرية مادية أو كتابيـة الـتي وجدت في المحطات الفينيقية الليبية الباكِرة، تدلُ بما لا يدعُ مجالاً للشـك أن الفينيقـيين والمغاربـة

1 - Gsell S (1920) H.A.A.N, T4, paris: Hachette, p398.

2- فرانسوا دوكريه (1996) المرجع السابق، ص145.

3- كاوفاليك ديكوف (2000) الحضارات القديمة، ترجمة تيم واكيم اليازجي، دمشق: منشورات دار علاء الدين، ج2، ط1، ص393.

4 -Camps G (1975) op.cit, p1.

5- محمد الصغير غانم (2005) المرجع السابق، ص56.

القدماء كانوا يعيشون في مكانٍ واحدٍ، حتى أن أغلبَ الباحثينَ يجدون صعوبةً بالغةً في التفريق بين مُخلفاتهما.

1- العلاقات التاريخية :

رأينا في الفصلِ التمهيدي عند تطرقِنا الى أصُول الفينيقيين أن المؤرخِينَ رجحوا أصلهم السامي[1]، ورغم أن الانثروبولوجيين اعتمادا على البقايا المادية أكدوا أن الانسان قطَنَ منطقة المغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ (منذ العصر الحجري القديم الأسفل) [2]، بعد اكتشافاتِ أوائل إنسان نياندرتال في جبل أرحود(جبل إيغود بالمغرب الاقصى)، وهو سمح بالتفكير بجدّ في الأصل المحلي لإنسان للمغاربي القديم[3]، إلا أن هُناك من الباحِثين من يعتقد في انتساب النوميديين للأصول السامية، وكان يعتقد لمدّة طويلة بأصلِهِم الشرقي، وأنّهم وصلُوا إلى المغرب عن طريق الجنوب التُونسي قادمين من شبهِ الجزيرة العربية، فـ **جيان ديزانج**(**J.Desanges**) المختص في تاريخ إفريقيا القديم يقول: **« لم تأت هذه الثقافة من أوروبا حيث إنّها قامت قبل بداية الملاحة عبر المضايق من وإلى صقلية. وهناك ما يحمل على الظنّ أنها شرقية»**[4]، وهذا ما أشار إليه مؤرخو الحقبة الوسطية كـ -**ابن خلدون**- الذين بينوا أن منطقة شمال افريقيا كانت مسرحا لمد بشري من شبه الجزيرة العربية منذ عشراتِ الافِ السنين[5]، هذا المدُّ الذي حمل في أحدِ فتراتِه المغاربة القُدماء ومُنهم النُوميديون .

كما أدرجَ اللغويون اللغة الليبية القديمة ضمن عائلةِ اللغات الحاميةِ الساميةِ[6]، و أشارت المصادر الكتابية الى أن النوميديين زمن القديس اوغسطين كانوا دائما يردُون بلسانٍ بوني نحن كنعانيون عندما يُسألون عن أصُولهم[7].

ولكلُ ما سبق، فقد أعتبر النُوميديون أنفسهم أقاربا للقرطاجيين، أرغمهم جفافِ أرض الجزيرة على التِرحال بحثا عن موطن جديد أكثر غنى، فتركُوا أبناء عمُومتهم والتقوا بهم في شمالِ افريقِيا، فامتزج الشعبانُ و سهل نقل التأثيراتِ الدينية بينهما .

1- وهيب أبي فاضل (2004) المرجع السابق، ص15.
2- محمد الصغير غانم (2003) مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، عين مليلة: دار الهدى للنشر، ص5.
3- إبراهيمي ك (1982) تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي و رشيد بوربيه، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص77.
4- جيهان ديزانج (1985) المرجع السابق، ص432 .
5- ابن خلدون (1971) العبر وديوان المبتدأ والخبر وأخبار العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج6، ص113.
6- الميلي مبارك (د.ت) تاريخ الجزائر القديم والحديث، بيروت: ج1، دارالغرب الاسلامي، د.ط، ص 117.
7 - Gautier EF (1952) op.cit, p78 ؛Benabou. M (1976) op.cit ,p 483.

ولعبت مدة بقاء الفينيقيين (**القرطاجيين**) الطويلة من نهاية الألفِ الثانية ق. م الى سُقوط قرطاجة، والتي قاربت الألف سنة دورها في عملية التأثير الديني[1]، فكما رأينا سابقا فقد بدأ التواجُد الفينيقي في شمالِ افريقيا منذ تأسيسِ محطةِ ليكسُوس حوالي **(1110ق.م)** على السواحلِ الأطلسية للمغـــرب الأقصى حاليا، وصولا الى تدمير **سكيبيون الافريقي** لمدينة قرطاج سنة **(146ق.م)** [2]، وهـــي مـــدّةٌ شهدت تعايش النوميديين والقرطاجيين جنبا الى جنب في رقعة جغرافية واحدةٍ، وأثمر ذلك عقائـــد وطقوسَ دينيةٍ مشتركة .

2- **العلاقات الاقتصادية:**

سبق الاشارة الى أن الفينيقيين أسّسوا محطاتٍ تجارية في مرحلة الارتياد البـــاكر علـــى طـــول السواحل الغربية للبحر الابيض المتوسط وصولاً الى ايبيريا، ثم تحولت أكثرُها أهمية اســـتراتيجيا الى مستوطنات دائمة تدفق اليها الفينيقيون من الشرق[3]، وقد كانت هذهِ المحطاتُ تضـــمن المقايضـــة التجاريةَ بينهم وبين المغاربة القُدماء[4].

فقد رحَّب المغاربة القدماء بالتجار الفِينيقِيين الذين نزلُوا على شواطئ شمال افريقيا منذ القـــرن الثاني عشر بل الميلاد نظرا لأهدافهم الاقتصادية التجارية البحتة[5]، وبـــدأوا يتجمعُـــون فُـــرادى وجماعات حول مراكز التبادل حاملين سلعهم المحلية كالجلود وتبر الذهب وخامات المعادن، علـــى أمل مقايضتها بالعطور وأدوات الزينة والأواني الزُجاجية، وربما قايض الفينيقيون تماثيل الهتهم أيضا، أما هؤلاء الوافدين لم يكن اهتمامهم منصبا بكسبِ الأراضي والتوسع بقدرِ مـــا كـــانوا مهـــتمين بالتبادل التجاري، ثم العودةِ من حيث أتوا[6]، لذلك فقد كانت محطاتهم الأولى تبنى بمواد بناءٍ بسيطة لا تُقاوم العوامل الطبيعية القاسية سميت كما رأينا سابقًا **إسكالات**[7].

1 - Gautier EF (1952) ibid. p114.

2- محمد الصغير غانم (2003) المرجع السابق، ص88-100.

3- نفسه، ص57.

4- انظر ما ورد عن المقايضة في الفصل التمهيدي.

5 - Gsell S (1921) H.A.A.N, T1, p380.

6 - ibid, pp. 469 -509 .

7- انظر ما سبق عن الإسكالات في الفصل التمهيدي.

ومن الراجحِ أن الفينيقيين قد استخدمُوا يداً عاملة محلية ساعدتهم في شحن وتفريغ سفنهم[1]، كما مارسوا طقوسًا دينية في حضور المغاربة أو قد اختلس هؤلاءِ الانظار لتبدأ بذلك أولى التأثيرات الدينية في هذه الفترة، رُغم عدم وجودِ مصادرٍ مادية أو كتابية تبرهن ذلك .

استغل النُوميديون موقع بلادِهم الممتاز الذي يربط بــلادَ الســودان وجنــوبَ الصــحراء بالساحل[2]، فأدوا دور الوسيطِ التجاري الذي يحمل سلع الفينيقيين الى دواخل افريقيا وسلع هــذه الأخيرة الى السواحل أين انشأت المحطاتِ التجارية[3]، وربما دفعت هذه العملية التجاريــة المربحــة بعضا من المغامرين الفينيقيين الى مُصاحبةِ المغاربة برا قصد التعرفِ على الطرق البريــة، وذلــك إن حدث فعلا فهو يدفعنا الى الاعتقاد بحدوث تأثير ديني مباشر، خاصة أن تنقلاً مثل هذا يستلزِم وقتــاً طويلا يكفي لتعلُم عقائِد جديدةٍ.

بعد تأسيسِ قرطاجة في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد(**814ق.م**)، قبل الفينيقيون دفْعِ ضــريبة سنوية للمغاربة القدماء أصحاب الأرض التي أسست عليها قرطاجة[4]، وهو سُلوكٌ يبين لنا وجــود اتصالاتِ اقتصادية فينيقية مغاربيــة، وربمــا تصــادفَ يــوم تقــديمها لمبعُــوثي الأمِــير المحلــي **هيارباص(Hairbas)** تأدية أتباعِ اليسار لطقوسٍ دينية، لاحظها المحليُون وتأثّروا بها ليرجعوا بعد ذلك إلى بلادهم الأم وهم مطلعين عليها، ويساهموا في وضع أسس المعتقدات الدينية البونية الجديدة .

وبمرور الزمن كبُرت مدينة قرطاجة، كما زاد عدد المحطات التجارية بتأسيس قرطاجة محطــات جديدة على طول السواحل المغاربية في شمال إفريقيا وزاد عدد الأهالي الساكنين حولها، وأصــبحت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين أكثر تنوعا وايجابية، بدأت كشراكة زراعية فينيقية مغاربية علــى طول الأراضي الخِصبة الموجودة في رأس بونة وسُهول الشمال الشرقِي للجزائر وصولاً الى ســواحِلِ المغرب الاطلسية [5]، إذ أن رونيه باسيه **(R-Basset)** يُورد ما يُؤكد ذلِك في قولِــه: «...وتعتبر قرطاج مربية للبربر، فقد علمتهم كيفية الاعتناء بالزيتونة التي عرفت سابقا كشجرة وحشية، وكيفية استخراج الزيت منها، كما علم الفينيقيون البربر زراعة التين التي كانت قبلهم موجودة بالمغرب كشجرة وحشية أيضا، وعلموهم زراعة الكرمة والرمانة، وعلموهم عموما فن زراعة الشجر المثمر...» [6].

1 - Piganiol A (1957) op.cit, p816.
2 - Warmington BH (1959) op.cit, p77.
3 - Justin, 18,20.
4 - Cintas P (1970) op.cit, p11.
5 - ibid, p12-19.
6 - Basset R (1921) op.cit, p340.

ليكُون المغاربة القدماء بذلك السباقين للاستفادة من خبرة جيرانهم القرطاجيين[1]، و ظهــرت مدن بونية مثل "دوقة" **(Dougga)** و "مكثّر" **(Maktaris)**[2]، حرث أرضَها الفينيقي وبــذرَها المغاربي، وقدّموا قرابِينهم كلُ حسب ما تعوّد عليه .

فقد عُثر في بعضٍ من الأنصابِ النذرية في قرطاجة وهدرموت وليكسوس على صُــور لــثيران وكباش تحمل بين قرونها قرص الشمس[3]، وهو دليلُ على تأثّر الفينيقي بشريكِه في الأرضِ دينيا، و قلد المغاربي شريكه أيضا فأخذ عنه بعض العقائد الزراعية،كشقِّ حبة الرُومان على مقبضِ المحراثِ أو دفنها في أول خط للحرث، تفاؤلا بأن سنابل الحبة المبذورة ستأتي بعدد حبات الرمانّة وهي عــادةٌ مستمدة من الثقافة القرطاجية[4]، فأصبح يضحي ويقربن لنفس الهته، ثم أضفى عليها مميزاتٍ وطبائِع الهته المحلية وقرن بين أسمائِها، وفي ذلك إشارةٌ الى تعايش المعتقداتِ المغاربية والفينيقِية وامتزاجِهمــا، **كبعل– حمون(Baal-Hammon)** **وتانيت– بني بعل (Tanit-B'nBaal)** وهُمــا الالهــانِ اللــذانِ سنخصص لهما حيزاُ مهما من بحثِنا هذا .

كما نقل الفينيقيون الى المغاربة القدماء تقنياتً جديدةً في صناعةِ الخــزف، فــتعلم هــؤلاء استعمال الدولاب، كما طوروا الرسوم التي كانوا يشكلونها على الاواني الفخارية، وأدخلوا علــى رسومهم البسيطة الأولى أشكالا هندسية [5] أكثر جمالا، وكثير هي الاواني التي حملت صُورًا عــن الهة فينيقيةٍ شرقية، قلّدها المغاربة ثم أصبحُوا يعبدُونها تدريجِيا، وكثيرة هي ورشاتُ صناعة الفخّــار التي عمِل فيها المغاربي والفِينيقي جنبًا الى جنب، وكلُ واحدٍ منهما يدعوا الهتهُ الى رعاية تِجارتــه، ليتأثر الواحد منهما بالأخر ثم يمزجا بين الهتهما ويشتركا في تقديسها[6].

الى جانب المدن السابقة نجد مدنا داخلية تحمل نفس التأثير، توسعت على حسابها قرطاجة في الاقاليمِ الداخِلية، لتعوّض ما خسِرته في صِقلية بعد معركة هيميرا **(480ق.م)** [7]، مثالٌ ذلك سيرتا **(Cirta)** التي تحمل اسمًا ساميًا لكنها متشعبةٌ بالثقافة البُونية، و **مكومادس (Macomades)** (تيبازة) و **كالما (Calama)** (قالمة) **.**

1 - Diodore ,XX VIII.4.
2 - Picard G (1957) Civitas Mactaritani ,dans « Karthago » ,VIII.
3- محمد الصغير غانم (2005) المرجع السابق، ص58.
4 - Basset R (1921) op.cit, p340.
5 - Camps G (1961) op.cit, p95.
6 - Albertini E (1988) op.cit, p43.
7 - La payer G & Pellegrin A (1946) op.cit, p.96

ما يلاحظُ أن المدن الواقعة في الجِهة الشرقية كانت التأثيراتُ أكثر وضوحًا فيها، إذ تتناقصُ الاثار الماديّة كلما اتجهنا غرب قرطاجة .

إذن فالمُدن التي نشأت من الشراكة الاقتصادية الفينيقية المغاربية، سوآءا كانت ساحلية أو داخلية أو قرى صغيرة، و سوآءا حملت اسما محليا أو فينيقيا، فكلها أُعتبرت مراكزاً حقيقية لمـــيلادِ الثقافـــةِ البونية[1]، ذلك أن الفينيقيين لم يعيشوا مُنغلقِين على أنفسهم في مستوطناتِهم التي أنشـــأُوها علـــى السَّاحل الشمالي لبلادِ المغربِ القديم لكنهم اختلطوا بالسكان المحليين عندما استخدموهم كعمال في العديد من المهن[2]، لذلك هُيِّأت الظروفُ الملائمة التي سهلت للأهالي اقتباسِ مـــا رأوه في المُـــدُن الفينيقية التي عملوا بها.

وكان التبادلُ التجاري الحاصِل بين الأهالي والفينيقِيين فيها من أهمِ أسبابِ انتقـــال العـــاداتِ الجنائزية والالهة وغيرهما من المعتقداتِ الدينية من طرفٍ لآخر، خاصةً في الاقاليم الشرقية المجـــاورة لقرطاجة أين يكثر عدد القبورْ وتتعدد أنواعِها[3]، واحتواء القبور على فخاريات دقيقـــة الصـــنع ومليئة بالزخارِف دليلٌ اخرٌ على الاستقرارِ والتعايشِ.

3- **العلاقات العسكرية**:

تميل أغلبُ النصوصِ التاريخية الى إعطاء صورة عدائية لعلاقات النوميديين بقرطاجـــة، فـــرغم وجود فترات من الصراع كتحالُف يلماص مع أغاثُوكليس في **(310 ق.م)** رأيناه سابقا[4]، لكـــن هذا العداءَ لم يكن دائما بل كان في فتراتٍ خاصةٍ و ظروفٍ خاصةٍ، ذلك لأن الاهالي مثلـــوا منـــذ التصدي لرغبة داريوس الاسبرطي في تأسيس مستوطنة قرب طرابلس في أواخر القرن السادس قبـــل الميلاد الى الحرب البونية الثالثة طرفا عسكريًا ثابتا الى جانبِ قرطاج في أغلبِ حُروبها التي جرتْ في صقلية وسردينيا وايبيريا وايطاليا وبشمالِ افريقيا أيضًا[5].

فقد كان أغلبُ زعماء القبائل النوميدية حلفاءًا عسكريين في فترةٍ من الفتراتِ للقرطـــاجيين، و شكَّل رعاياهم جزءًا كبيرا من جيوش قرطاجة [6]، فهذا **بوليب(Polybe)** يؤكد أن الجيـــوش الـــتي

1 - Camps G (1975) op.cit, p6.

2- شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص ص 98- 99.

3 - Camps G (1961) op.cit, p188.

4 - Diodore de Sicile, XV - 24.

5- الشاذلي ب و طاهر م (1999) المرجع السابق،

6 - Desange J (1978) Recherches sur l'activité des Méditerranées aux confins de l'Afrique, Diffusion de Boccard, p IX.

حاربت بها قرطاجة في حروبها المختلفة كان معظمها مشكلا من النوميديين[1]، وتظهر علاقات التحالف هذه من جهة أولى في الصداقة بين صفاقس ملك نوميديا الغربية وبين قرطاجة ضد ماسينيسا وروما، بعد ان كانت قرطاجة في تحالفٍ مع ماسينيسا [2]، ومن جهةٍ ثانيةٍ دعمٌ الأمراءِ النوميديون قرطاجة بفرق عسكرية كبيرة، و بالفيلة الحربية وبالجنود المشاة و الفرسان المشهُورين بالشدة والاقدام[3]، وصلُوا الى حدودِ اثنا عشر ألف جندي نهاية عام **(218 ق.م)**، وهو العامُ الذي وصلتْ فيه جيُوشُ حنَّبعل سهل **البو (PÔ)** أثناء الحربِ البونيةِ الثانيةِ [4].

وفي هذه الصدد يمكننا أن نبرز العديد من الحروب التي شارك فيها النوميديون خدمة لقرطاجة، فلصد التوسعاتِ الاغريقية التي شكلت حاجزا يمنع اتصالها بشرقي المتوسط أشركت قرطاجة النوميديين في معارك كثيرة ضد الاغريق، كمعركة **ألاليا(Alalia)** بكورسيكا سنة **535ق.م**، و **هيميرا** بصقلية**(Himère)** في سنة **(480 ق.م)** إضافةً الى وقف الزحفِ الإغريقِي في اقليم برقة **(Cyrène)**[5] .

بعد معركة هِيمِيرا **(480ق.م)** خسرت قرطاجة أغلبَ مستعمراتِهَا في صقلية، فغيرتْ سياستَهَا اتجاه حلفاءِهَا المغاربة وقطعتْ الضريبة التي كانت تدفعها منذ نشأتها[6]، وتوسعت داخليا على حساب أراضيهم واحتلت كثيرا من مدنهم[7]، نُشِير كمِثال الى مقاطعة **توسكا** التي قدرت مساحتها بين **(2500–3500 كلم مربع)**، و تضم ما يقارب الخمسين تجمعا سكنيا(قرى ومدن) [8]، وقد كان ذلك من أهم الأسباب التي ساهمت في التقاءِ العناصر الفينيقية والمغاربِية وتبادُلِ التأثِيرات بينهُمَا، وذلك مُشابه كثيرًا لما حدث بعد حرب المرتزقة بين سنوات **(241–237 ق.م)**، فقد كان أحد قادة هذه الحرب محلي يدعى **ماتوس (Mthos)** وهو دليلٌ على قيمة النوميديين في جيشِ قرطاجة[9]، ويذكُر ديودور الصِّقلي أنه بعد نهاية ثورةِ الجند المرتزقةِ قام القائدُ القرطاجي هملكار

---

1 - Polybe, III, 33,15.

2- للمزيد حول التحالف انظر الفصل التمهيدي.

3 - Salluste, XVI, XVIII .

4- محمد الهادي حارش (1992) حملة حنبعل على إيطاليا، جامعة الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية ، العدد السادس ص ص 51 – 60 .

5 - Warmington BH (1959) op.cit,p53.

6 - Picard G.C & Colette (1970) op.cit, p 89.

7 - Decret F & Fantar MH (1981) op.cit, pp66-67.

8- الشاذلي ب & طاهر م (1999) المرجع السابق، ص205.

9 - Gsell S (1927) H.A.A.N T5, pp179 - 180.

بتوسيع أملاك قرطاجة غربا على حساب أراضي النوميديين[1]، ليضُم بذلك العديدَ من المُدُنِ والقرى ويُساهم في نقل التأثيراتِ الدينيةِ القرطاجية .

أما في الحربِ البونية الثانية كان أحسنُ المقاتلين في الجيشِ الذي خاضَ به حنبعل حملته الشهيرة على ايطاليا مغاربة [2]، وكان مُعظم الستة الاف الفارس الذين كانُوا في الجيشِ نوميديين، وكان هؤلاء يحتكون يوميًا وبصورة مستمرة بالقرطاجيين، وبعد معركة زاما الشهيرة **(Zama) 201** ق.م استغل الملك النُومِيدي ماسينيسا بند الحق في استعادة أراضي أجداده، فضم العديدَ من المدن والقرى التي كانت مُتشبعة بالحضارة القرطاجية، و اختار بعضُ ممن رافقوه المُكُوثَ فيها فتأثروا بالمعتقدات الدينية القرطاجية المختلفة، مِن قرابين و بناءاتٍ جنائزية والهة[3]، فنقلوها فرادَى أو جماعاتٍ عند عودتهم الى أوطانِهم الأصلية .

في أعقابِ تدمير سكيبيون اميليانُوس لمدينة قرطاجَة، احتل الملوك النوميديون وجيرانهم المور أغلب المدن الساحلية القرطاجية وضموها الى ممتلكاتهم[4]، وفي هذِهِ المدن لاحظ النوميديون التطورَ الحضَارِي الذي وصلته قرطاجة، وتمت عملية مرور التأثيراتِ القرطاجيةِ.

إذن كان الحضُورُ النوميدي المتكرر في الجيُوشِ القرطاجية دافعا الى التفكِيرِ في انفتاحِهم على الحضارة القرطاجية وخاصة الدين من معتقدات وعادات وطقوس و الهة، يعودون بها ويحملونَ تأثيرها فيهم معهم عند العودة الى مواطنهم [5]، وقد أثبتت العديد من الدراسات أن الجند المرتزقة من أهالي شمالِ افريقيا القدماء قد تعلموا اللُغَة الفينيقية، وهو ما سهَّل لهم أخذ العديد من العُلوم الى بلادِهم عند عودتهم اليها فانتشرتْ بذلك النظم السياسية والادارِية والعسكرِية وحتى العمران والمعتقداتِ الدينية .

4- العلاقات الاجتماعية :

1 - Diodore,XX,10.3.
2 - Tlatli SE (1978) op.cit, p282.
3 - Slim M & autres (s.d) op.cit, p110 .
4 - Mahjuoubi S (s.d) op.cit, p103-106 .
5 - Camps G (1987) op.cit, p33

لقد أقيمت بين الطبقة الأرستقراطِية القرطاجية ومثيلتها النوميدية تحالفات قوية أساسٌها النسب، وذلك عن طريقِ الزواج المختلطَ بين الطرفين الذي سهل إضافة الى الحلي والعطور نقـــل العـــادات والتقاليد الدينية والجنائزية والالهة من جانبٍ لأخر[1]، و لم يقتصر هذا الزواج على طبقة بعينها، بـــل شمل جميع الطبقات من العامة والأرستقراطيين، وأدى ذلـــك الى امتـــزاجُ الشـــعبين القرطـــاجي و النوميدي ومهد الطريق لانتقال سهلٍ وسلسٍ للمعتقدات بين الجانبين .

رغم ما أُشير اليه سابقا عند رفض مؤسسة قرطاجـــة اليســـار الـــزواجِ بـــالأمير أيربَـــاص[2] **(Yarbas)** ، إلا أنه بعد هذه الحادثة جرت العديد من حالاتِ النسب بين النوميديين والقرطاجيين، وهو ما تشهد عليه أسماء الابناء المزدوجة (قرطاجية-نوميدية) [3]، ومن أمثلة هذا الزواج ذكرت لنا كتب التاريخ العديد من الأمثلة، فزوجة عم الملك النوميدي ماسينيسا **أوزلاسن (Oezalece)** هـــي ابنة القائد القرطاجي المشهور حنَّبعل[4]، كما أن ماسينيســـا نفســـه زوَّج احـــدى بناتِـــهِ لأحـــد القرطاجيين الأرستقراطيين، وقد نتج عن هذا الزواج ابن سمي أذربعل**(Adherbal)** [5]، وقد وعـــد هو بالأميرة القرطاجية "**سوفونزبه**"**(Sophonisbe)** لكن زواجَهُ لم يتم خدمةً لاعتبـــارات سياســـية تخدم تحالفات قرطاجة،كما أن حملقار **(Hamilcar)** قد وعَدَ **نارافاس** بتزويجيه احدى بناتـــه اثنـــاء حرب المرتزقة بعد أن قدم له يد المساعدة[6].

إذن دخلت العديد من الزوجاتِ النوميديات أو القرطاجيات بيوتَ أزواجهـــم مـــن الجانـــب الأخر، وإذا سلَّمنا بكونِ أن " الأم مدرسة " فإننا لن ندع مجالا للشك في كونها نقلـــت معتقـــداتها وعلمتها الى أبنائها أو مزجت بينها وبين معتقداتِ زوجها تسهيلاً للتفاهُمِ والتعايش.

مع مرور الوقت أصبحت العديد من العائلات النوميدية تمتلك أقاربًا لهـــم في قرطاجـــة أو في أحدى المُدن التابعة لها[7]، فكثرت الزيارات بين الطرفين وتوثقت العلاقاتِ الأسرية وأدت دورهـــا في التأثير الديني، وتذكر لنا المصادر الكتابية بعضًا من الأمراء الذين عاشوا في نوميديا تعلمُوا فيهـــا أثناء طُفُولتهم، ولعل أشهرِهم كان قايا **(Gaia)** جد ماسِينيسا الذي عـــاشَ في قرطاجـــة وعمَـــلَ بنظامها السياسِي عند حكمهِ لدوقا **(Dougga)**، بحمله للقب شوفِيط القرطاجِي، كما تبعه حفيدُه

1- عبد الرحمن الجيلالي (1980) تاريخ الجزائر العام،الجزائر:جـ1، دار الثقافة، ط4، ص54.
2 - Justin , XVIII,6.
3 - Gsell S (1920) H.A.A.N, T4, p 465- 466 .
4 - Camps G (1975) op.cit, p5.
5 - Bosquet GH (1974) les Berbères, France: presse universitaires, édit que sais-je ?, p34.
6- احمد السليماني واخرون (2007) المرجع السابق، ص258.
7 - Basset R (1921) op.cit, p11.

من بعده ماسينيسا الذي – حسب وصفِ كامبس – كــان متشــبعا بالثقافــة البونيــة شــكلا ومضمونا[1]، لذلك قدم له سكيبيون (**Scipion-Emilien**) العديدَ من الوثائِقِ التي أُنقــذت مــن الحرائق التي اتت على مكتبات قرطاجة[2]، فساهم في تمدين البربر، وأصبح النوميديون مدنيين كما لاحظ سترابون، واستوحى من دساتير المدن الساحلية الفينيقية ما مكنه من منح المُدِن الجديدة نظاما بونيقيًا، يعتمد على حكام سَّموا الأشفاط (**Suffètes**)[3].

من كلٍّ ما سبق نرى أن العلاقاتِ الاجتماعية التي شملت علاقات الزواج بــين القرطــاجيين والنوميدين، إضافة الى العلاقات الأسرية التي نشأت فيما بعد يضاف اليها استقرار بعــض الامــراء النوميد في قرطاجة أثناء طفولتهم،كانت من أهم العوامِلِ التي عملت كناقِــلٍ للمعــارفِ الدينيــةِ وساهمت مساهمة كبيرة في إكمالِ بناء الحضارةِ البونية الوليدة.

في الأخير نوجز أهم النقاط التي توصلنا اليها في:

1 - Camps G (1980) op.cit, p46.
2 - Camps G (1975) op.cit, p8.
3- شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق،، ج01، ص135.

*- نقل البحَّارة الفينيقيون معتقداتِهم التي عرفوها في مدن السَّاحل الفِينيقـي، الى محطـاتِهم الـتي أسّسوها في غربي المتوسط، وارتبطتْ معظم هذه المعتقداتِ بالمظاهر الطبيعية شأنُها شـأنُ أغلـب معتقداتِ الحضارات القديمة.

*- شهدتْ الالهة الفينيقية عند نقلها الى الساحِل الغربي تغيراتٍ ليست بـالكبِيرة، مسَّـت هـذه التغيرات مهامها وخصائِصها (بحرية- سماوية- أرضية...) وأيضا ترتيبُها من حيـثِ الانتشـارِ و الأهمية.

*- من أجل تقوية نفوذ الالهة لجأ القرطاجيون الى دمجِها في ثنائياتٍ وثلاثيـاتٍ كسـيد ملقـرطْ وأشُمون عشتارت وغيرهما من الالهة المركَّبة.

*- بدأتْ العلاقاتُ النوميدية القرطاجية كعلاقاتٍ اقتصادية تجارية، ثم تطورتْ لتشـمل العلاقـات السياسية ،الاجتماعية، العسكرية والاجتماعية، وكانتْ هذه العلاقاتِ من بين أهم العوامِـلِ الـتي سهلت انتقال التأثيرات الدينية بين الطرفين.

*- لم تقتصر معتقداتٌ القرطاجِيين على ما جاء من الشرقِ، لكنهم أدخلوا عباداتٍ غيرهـم مـن الشعوب التي جاوروها، فتبنوا الهةً مصرية كـ **ايزيس(Isis)** و**حتحور(Hathor)**، و اغريقيةٍ كـ **ديميتر و كوري** .

*- أدَّى إلتقاء العناصر القرطاجية والمحليةِ الى خلق حضارة مميزة، جمعتْ بين خصائِصِ الحضـارتين (لغويا ،دينيا، اقتصاديا، بشريا...) سُميت البونية أو البونيقية .

الفصل الثالث

الآلهة والطقوس الدينية والجنائزية البونية في نوميديا

أولا : المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا:

1- الآلهة البونية النوميدية بعل حمّون Baal Hammon

2- تانيت Tanit

ثانيا : التأثير البوني في الطقوس الدينية والجنائزية النوميدية:

1- **الطقـــــوس الدينية والقرابين.**

2- **الطقـــــوس الجنائزية.**

3- **التأثير البوني في الأضـــرحة الملكية النوميدية.** المدغاسن

الضريح الملكي الموريطاني ضريح بني رنان (سيغا) :ضريح دوقــــة ضريح الخروب

ثالثا : بقايا المعتقدات القديمة عند المجتمعات المغاربية حاليا

تمهيـــــد:

أبرزت المصادُر الكتابية القديمة اللُوبيين باعتبارِهم السُكان الاصلِيين لمنطقة شمالِ افريقيا، مـــن غربِ وادِ النيل الى السَّواحِلِ الأطلسية، ثم انحصر مدلُولُ الاسمِ في السُكان الخاضعين لقرطاجة فقط، ثم أشار كل من بوليب و ديودور الصِقلي الى مصطلح اللُوبي- فِينيقيين(**Libyphoenices**) [1].

تعرض الباحِثُون الى التسمِية الأخِيرة كثيرا، وقدَّموا العديدَ من التفسيراتِ لشرحها، فـــ**ستيفان قـــزال (Gsell St)** ربط بين الاسم وبين جميع سكان المستوطناتِ التي بنيت على الساحل الافريقي، سواءا كانوا من الفينيقيين الشرقِيين أو من المواليد في قرطاجة، ثم بين أن الاسم توسَّـــع ليشـــمَل في مرحلة لاحقة جميع المغاربة الذين استوعَبُوا مظاهِر الثقافةِ القرطاجية، وأصبحُوا قانُونيًـــا مُـــواطنين متَمتِعين بنفسِ الحُقوق المدنية التي يتمتَعُ بها سُكان قرطاجَة[2] .

أما الباحث الايطالي **بوندي س.ف (Bondi S.F)** فقد حصراللوبي- فينيقيين في الفينيقيين الـــذين يستقرون خارج قرطاجة، أي القرطاجيين الذين يتعاملُون مع الاهَالي المُستقرين على حوافِ قرطاجَة أو أحدى المستوطنات التابعة لها على الساحِلِ الافريقي[3]، أما المصادِرُ الكتابية فلا يوجدُ ذكر لهذا الاسم المركب الا عند **تيت ليف (Tite-Live)**، فعند تطرقه الى القوات التي رافَقَت القائِد القرطاجِي حنبعل خِلال حملته على رُوما، ذكَر أنه ترك عند أخِيه عزربعل في اسبانيا أربعُمائةٍ وخمْسين خيـــالاً لوبي- فينيقي، وهُم حَسبهُ نتاجُ تهجينٍ بين البُونيين والأفارِقة[4] .

إذن فقد أدى التقاء العناصر الفينيقية الشرقية والافريقية المحلية المختلفة (اقتصـــادية، اجتماعيـــة، سياسية، ثقافية...) الى ميلاد حضارة جديدة مميزة بخصائصها، عرفت بالحضارة البونيـــة[5]، هـــذه الحضارة التي اتضحت معالمها بعد استقلال قرطاجة عن صور بداية من القرن الخامس قبل الميلاد، ثم تشكيلها لإمبراطورية خاصة ، ستُلغي مفاهيمنا السابقة المقيدة والمرتبطة بمنظور الـــدول والاقـــاليم والممالِيك[6]، لهذا سوف نركز في هذا الجزء من بحثنا على هذه الحضارة الوليدة .

---

1 - Polybe, I, 71, 1.
2 - Gsell S (1923) H.A.A.N, t2, p93 et suiv.
3- الشاذلي ب و الطاهر م (1999) المرجع السابق، ص 213؛ أيضا:
Bondi SF (1971) « Libifenici nel ordinamento Cartaginese », Rendiconti dell Accademia Nazionale del Lincei ,8e ser, p653.
4 - Tite Live, XXI, 22, 3.
5 - Camps G(1987) op.cit, p109.
6 - Camps G (1975) op.cit, p3.

شهدتْ ديانة القرطاجيين الشرقية منذ استقرارِهم بالسواحِلِ الأفريقية الشمالية امتزاجا واضحا في الديانة المحلية[1]، وكان ذلك سببا في انتشارِها بشكلٍ واسعٍ، حتى في المناطق الداخلية التي لم تبسط قرطاجة سيطرتها التامة عليها، بل أكثر من ذلِك بقي تأثيرها الى فتراتٍ طويلةٍ بعد سُقوط قرطاجة لأسبابٍ عديدة، من أهمها التشابه بين الديانتين القرطاجية الوافِدة و المحلية في ارتباطهما بالطبيعة[2]، اضافة الى كونِ انتقالها الى المغاربة كان انتقالاً سلميًا، فقد عملَ هؤلاء بالمعتقداتِ القرطاجية بعدما أضفوا عليها افكارَهم وتصوراتِهم الخاصة[3].

وهوما يستدل من وجود رسوم الكبشِ الذي يحمل على رأسه قرص الشمس في الرسوم الصخرية، و كذا رسوم الخراف و الثيرانِ التي وجدت في بعضِ أنصابِ قرطاجة وسِيرتا و حَدرَمُّوت (**سوسة**)، ويبين مدى استمرار العبادة المغربية القديمة العائِدة إلى فترةِ ما قبل التاريخ و تعايشها مع العبادةِ السامية.

ولشدة التأثير أصبح النوميديون يتسمون بأسماء الالهة القرطاجية، خاصة الطبقة الحاكمة منهم، فانتشرت أسماء من مثل **أذر بعل وبد ملقرط ومستن بعل**[4] و هي ظاهرة تدل على قوة الامتزاج الديني بين القرطاجيين و المغاربة القدماء، من خلال امتزاج الالهة والطقوس والشعائر الدينية والجنائزية، وحتى المعابد و الاضرحة[5] .

أولا: **المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا** :

1- الآلهة البونية النوميدية :

حملت العديد من النقوشِ الكتابية البُونية والبونية الجدِيدة النذرية والجنائِزية، بالإضافَةِ الى الصور والرُموز المنحوتة فوق الأنصاب، والبقايا الأثرية الأُخرى من حلّي، وتماثيلٍ صغيرة، خاصة تلك التي عُثر عليها في المناطِق النُوميدية المتأثرة بالحضارةِ البونية، بعد تسرُبها وانتشارِها في عدة مواقِعٍ ومدن ساحلية وداخليةٍ وحتى غربية مِنها، اسم الالهين البُونيين **بعل حمُّون (B‘L -HMN) وتانيت بني بعل(tnt. pn. Baal)** التي شكلت مع بعل حمون ثنائياً مقدساً تربع على قمةِ الهرمِ الديني البوني، ونالا معاً قدرًا كبيرًا من التبجيلِ والعبادة، ليسَ داخِل العاصِمة البونية فحسبْ، وإنما داخل

1 - Bosquet GH(1974) op.cit, p33.

2- بومعقل الحاج أحمد مولاي (2009) المراجع السابق، ص121 .

3 - Basset R (1921) op.cit, p21.

4- شنيتي محمد البشير(1984) المرجع السابق، ص258.

5- محمد الصغير غانم (2003) المرجع السابق، ص 20.

العالم البوني بأسره، وهو ما دفع علماء الآثار إلى اعتبارهما إلاها البونيين الرئيسيين.(**أنظر الصورة25**)

أ/ - بعل حمّون **Baal Hammon** :

كان بعل حمُّون أهم و أكبر الالهة القرطَاجية[1]، ونظرا لذلك فقد انتشرتْ عبادته في الأماكِن المجاورة لها[2]، خاصة في الاراضِي النوميدية التي تُعتبر عبادة الإله الفينيقي بعل حمُّون فيها من أهـــمِ العباداتِ و أكثرها انتشاراً أيضا [3]،كـــ**سيرتا (Cirta)** [4] و **دوقـــة (Dougga)** [5] و **ألثيـــبيروس (هنشير المدينة)** [6]، وغيرها من المدنِ النوميدية التي كانتْ شاهدًا على تغلغلِ الآلهة البُونيـــة.(**أنظر الصور26 .28.27**).

اختلف المؤرخُون في التحديدِ الدقيقِ لأصُولِ هذا الاله، فبرز في هذا الشأن رأيـــان، الـــرأيُ الأول يقول أنه إله محلي[7]، نتج عن ربط الفينيقيين بين إلهِهم المعروف في الساحل الفينيقي (**بعـــل**)، وبين اله المغاربة (**آمون**)، ليظهر كنتيجة لهذا التمازج الاله البوني بعل حمون (**b'l-hmn**)، ويســـتدل أصحابه في ذلك بالتطابق الكبير بين خصائص الالهين الأصليين (**بعل**) و(**امون**)، فكلاهما من الالهـــة السماوية التي تمد عابديها بالمطر، كما أنهما اتخذا أيضا الشمس كرمز الهي[8]، يظـــاف الى ذلـــك ترسُّخ عبادة بعل حمون لمدةٍ طويلةٍ في نفوسِ النوميديين بعد زوالِ قرطاجة، وهو أمرٌ يدل بقوة على أصولِهِ المحلية.

أما الرأي الثاني فيقول بشرقيته، و يستند أصحابه الى نقيشة مدينة بيبلوس التي تعود الى **القـــرن 11 ق.م**، والتي حملت نقشًا نذريا كُتِب عليه بعل حمون (**B'l-h'mn**) [9] ،إضـــافة الى إكتشـــاف نقيشة الملك كيلاموا(**kilamua**) بجبل **الأمانوس** (في جنوب تركيا حاليا)، والتي تحمل نَذْرا مقـــدما لبعل حمون[10].(**أنظر الشكل11**)

---

1 - Contenau G (1949) la civilisation Phénicienne, paris: édit Payot, p110.
2 - Gsell S (1920) H.A.A.N, T4, paris: Hachette, p279.
3 -Trousset M (1957) « Le dieu Ammon et la déesse Africa » Alger : Actes du 79éme Congres Nationale des Sociétés savantes, p128.
4 - Bertrandy F et Sznycer M (1987) « Les stèles puniques de Constantine», paris: notes et documents des musées de France , N°14, p14.
5 - Chabot J.B (1916) « inscriptions puniques de Dougga », paris: BAC, pp121-122.
6 - Sznycer M (1982) « une inscription punique d'Althiburos (Henchir Medeina) », Paris : Semitica N°XXXII, p.60.
7- حارش محمد الهادي (1987) حول أصول عبادة بعل حمون في قرطاجة، جامعة الجزائر: مجلة التاريخ، العدد 3، ص ص109- 112.
8 - Leglay M (1966) op.cit, pp441- 442.
9- يفصح نادية (2004) الهة الخصب البونية النوميدية، جامعة الجزائر: رسالة ماجستير، معهد التاريخ، ص50 .
10- الشاذلي ب و طاهر م (1999) المرجع السابق، ص276.

من حيثُ معنى الاسم، فبعل (**Baal**) تعني كمَا رأينا سابقًا السيد، أما معـــنى حمُّـــون (**Hmn**) فهوموضع إختلاف بين المؤرخين المختصين، فمنهم من بيّن انه يعني سيد المعابد المُحرقة[1]،كما قـــد يعني السيد الحامي، وبصيغة الجمع (**حمُّون**) تصبح حامينا[2]، وقسم اخر أعطى مدلولاً جُغرافيا لهـــا، فكما يُقَال بعل صيدُون فإن بعل حمون تعني سيد افريقيا[3]، وأدى التشابه بين اللفضين (**حمُّـــون**) و (**حامين**) التي تحمل معنى هياكل البخور الحارةِ، الى أن يفسر **لوقلاي (M.le Glay)** الاســـم بِعبـــارة سيد هياكِل البُخور الحارة [4].

عرف بعل حمون بألقاب وخصائِصٍ عديدة، أكثرها تداولاً سيد الانصابِ جميعا، كما أُعتبر المسؤول عن زيادة الانتاج الزراعي، وعن خصوبة القطعان وزيادة أعدادِها[5]، وأعتبر أيضا حاميـــا للأموات ومعينا لهم في رحلتهم[6]، فقد عُثر على صُوره في العديدِ من الحُلـــي الـــتي تَـــزيَن بهـــا الموتى،(**أنظر الشكل12**)، لذلك فقد كان قريبا جدا من العائلات النوميدية التي آمنـــت بخصَـــائِص الطبيعة وقُوة الاخصابِ الحيوانية، وخصّصُوا له العديد من المعابِد، حتى أن كُـــل مدينـــةٍ بونيـــة أو نوميدية مهمة أصبحت تحُوز واحِدا[7].

بالإضافة الى معبد **صلمبو** بقرطاجة الذي أعتبر أهم المعابد البونية[8]، أشارت النقوش إلى إنتشار المعابد المكرسة لبعل حمُّون في كامِل المدن البونية الأُخرى، السَّاحلية والداخِلية، الشرقيةِ منها وحتَّى الغربية، كما هو الحال بمنطقة **الحفرة** و **ثنيسو (TNMST)**[9] وغيرهُما من المعابِدِ البونية في الاراضِي النوميدية. (**الشكل13/12**)

1 - Leglay M (1966) op.cit. pp256-257.
2 - Fantar MH (1977) op.cit, pp268- 269.
3 - Leglay M (1961) op.cit, p23.
4 - Leglay M (1966) ibid, p440.
5- يفصح نادية (2004) المرجع السابق، ص92.
6 - Cintas P (1951) « deux campagnes de fouilles à Utique », paris: Karthago II, p53.
7 - Piganiol A(1957) op.cit, p820.
8 - Moscati S (1988) Les phéniciens, Milan: édit Bombiani, p.174
9- تعرف حاليا ببئر بوركبة بالقرب من سيقا، تقع على بعد 60 آم جنوب تونس انظر:
Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique, p.451



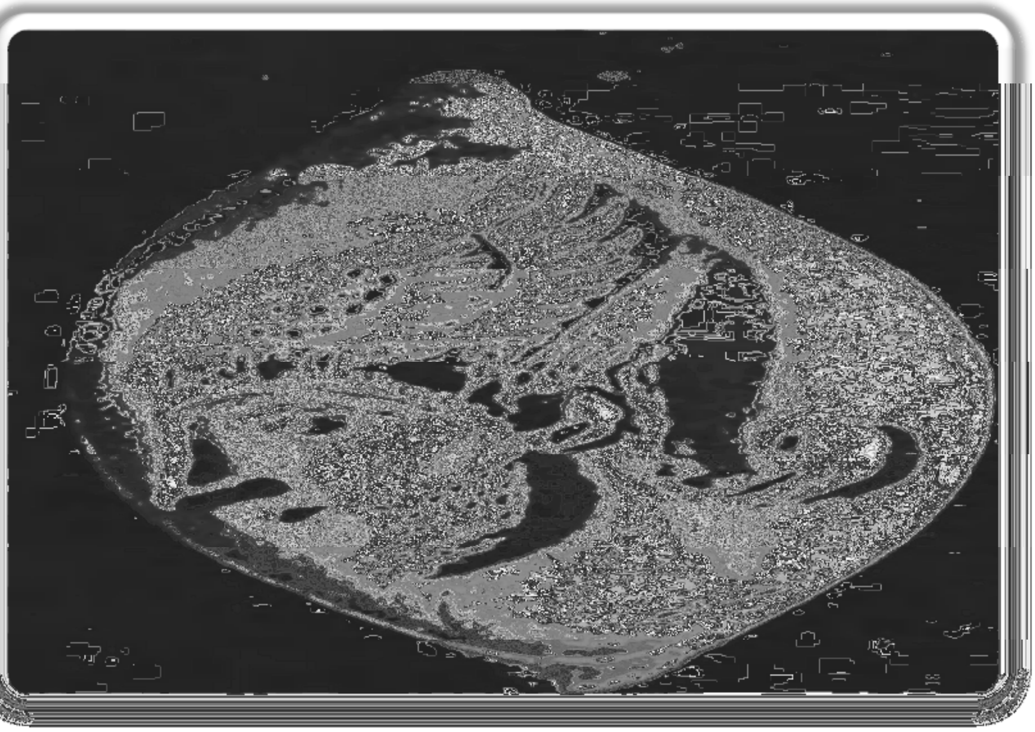
(الصورة26) **تمثال حجري يصور الاله بعل حمون جالسا على عرشه**(**القرن**1**ق.م**)
Picard C(1956) op.cit, p35.



(الصورة 27) **صورة الاله بعل حمون على نصب محفوظ بمتحف سيرتا**
محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق،ص152.



(الشكل11) **نقيشة الملك كيلاموا**(**kilamua**) **القرن التاسع قبل الميلاد**
Lipinski E(1995)op.cit, p172.



(الشكل12) **الجزء الأعلى من خاتم عثر عليه في بأوتيكا نقشت عليه صورة بعل حمون**
Cintas P(1951) op.cit, p53.

كما كانَ بعل حمُّون أيضا إله للبيتِ، من خلا ما تدل عليه النقوش الكثيرة التي جاءت في صيغة « **للمولى بعل حمون، لأنه بعل بيت**»[1]، ونظرا لتجذُّرِه في عقول النوميديين فقد سكَّ بعض الأمراء النُوميد صُورهُ على نقودهم، خاصة فترة الملك ماسِينيسا، التي وُجدتْ ضِمن البقايَا الاثريةِ التي وجِدت في المعابِدِ النوميدية [2].**(أنظر الشكل 15)**

جاءت صُورة بعل حمُّون في هيأة عجوز تملأ اللِّحية وجهَهُ، وهو يجلسُ على كُرسي العرش المزين الجوانبِ بأبِ الهول المجنح في وضع مهيبٍ، وضع على رأسه تاج بارز حاد من الأعلى، أو قبعة مزينة من الريشِ، دائما ما كانت يدهُ اليمنى مرفوعةً للأعلى لُمباركةِ من جاء يلتمِسُ منه المباركة[3].**(الصورة29)**

ومن أجل الحصولِ على العنايةِ الإلهية، كان الدَّاعي يرفعُ اليد اليُمنى نحو الإله الذي يردُ عليه بنفس الطريقة ليعبر عن استجابته للدعاءِ ومباركته لصاحبه، أما اليد اليسرى فتحمل عادة عصا أو صولجانا مزودا بمقبض، وينتهي أحيانا بسنبلة من القمح[4]، وهو دائما يبدو أمام الشخص الذي يقابله في صورة ضخمة رغم وجوده غالبًا في وضعية الجُلوسِ، مما يزيده قُوةً وعظمة. **(أنظر الصورة 26)**

وإتبع النوميديون التقاليد القرطاجية عند إقامة الطقوس لبعل حمون وعند التضحية لهُ، سواءا التقاليد التي وجدت في قرطاج أوفي باقِي المستوطناتِ الفينيقية[5]، ففي قرطاجة قدَّم ديودور الصقلي وصفا للإله بعل حمُّون، وبيَّن أنه في شكلِ تمثال من البرُونز، يمد يديه نحو الأسفَل لتُوضع عليهِمَا القرابين، ثم تتحرك اليدان تلقائيا وتلقي بها في أخدودِ النار المتأجِج المقابِل له[6]، وقد إستخرجَتْ من أرضية معبد صلَمبُو(**Salamboo**) آلاف الجرار التي ملأت ببقايا العظام البشرية، وهو ما يُؤكد أن القرابين البشرية كانت أهم و أكثر الأضحياتِ التي تقدم لهذا الإله، مُورسَت من طرفِ القرطاجيين لقرونٍ طويلةٍ، وتسرَّبت بعد ذلك إلى مختلف المدن والقُرى النُوميدية التي بلغَها التأثِير البُوني[7].**(أنظر الشكل17.16/ الصور30)**

---

1 - Berthier A & Charlier AR (1955) op.cit, p27, N°25.
2 - Picard C (1956) le monde de Carthage, paris: édit Coréa, pp78-79 .
3 - Cintas P(1947) « Le sanctuaire punique de Sousse », Alger: R.Afr N°91, pp14-16.
4- يفصح نادية (2004) المرجع السابق، ص65.
5 - Gsell S (1920) H.A.A.N, T4, pp417-418.
6 - Diodore de Sicile, L XX, 14.
7 - Gras M & Rouillard R & et Texidor J (1989) L'univers phénicien, paris: édit Arthaud, p171.

هذا وقد خصَّ النوميديون فرديا أو جماعيا، بعل حمُّون بإهداءاتٍ ودعواتٍ في شـــكلِ نقـــوش وكتاباتٍ أنتشرت في أغلب الاراضِي النُوميدية، من أجلِ تحقيق رغبة فردِية خاصة، أو بعــد إنجــازِ مشروعٍ جماعي كبناء معبد خاصٍ للإله بعل حمون خاصةً في الجهـــة الشـــرقية المُحاذيـــة لأمـــلاكِ قرطاجة[1]، وهو مايشير اله النص الإهـــدائي: «**إلى المولى بعل، ولتانيت وجه بعل، معبدين شيدهما سكان (تنسمات)في عام الأسباط** »[2] .

ولقد بيّنت بعض النقوش البونية التي وجِدت في سِيرتا[3]، وفي هنشير غياضة وتديس[4]، أن اليوم الذي يقدم فيه النوميديون أضاحِيهم يكون يومًا مميزا تملؤه السَّعادة والبركة، ونُشير في ذلك إلى إِحدى النقُوش التي تتضمنُ إهداء قدمه شخصٌ يدعى تسداتْ إبن تشدْ بعر لبعل حمُّون جاء فيه:« **لأنه سمع قوله فباركه في اليوم السعيد والمبارك**»[5].

يقوم المتعبدُ سواءًا كان رجلا أو أمرأة[6] بزيارة المعبد وطلبِ ما يريد من الاله بعل حمّون، وإذا استجاب الإلهُ للداعِي يرجع هذا الأخير ليعبر له عن شكرِهِ وإمتنانه بتقديم أُضحيةٍ قربانًا له، يقدمها لكهنة متخصِصِين لتذبح وتحرق في النارالمقدسة المخصصة، ثم توضع البقايَا في جرةٍ تدفن في أرض المعبدِ يعلوها نصبٌ نذري تخليدًا لهذه التضحِية[7].(**أنظر الصورة31/ الشكل18**)

و نقرأعلى الانصابِ العديدِ من الكتابات أغلبُ صيغها تتطابقُ مع : « **لأنه (بعل حمون) سمع صوته، باركه في اليوم السعيد ،في اليوم المبارك**»؛ وعلى نصبٍ اخر ترجمةُ قـــزال الى:« **لانه سمع صوته، باركه، ساعده، فعل فيه الخير**»[8]، ففي سيرتا عاصمةُ النوميديين أحْصَى قـــزال في معبد الحُفرة أكثر من مئة وخمسين (**150**) نصبٍ أهدائي وجنائزي موجه لبعل حمُّـــون (**Baal – hammon**) (**2/3 من مجمـــوع الأنصـــاب**) تعُـــود للقـــرنَينِ(**2** و **1 ق.م**) [9].(انظر الأشكل19 .(21.20.

1 - Leglay M (1954) « Saturne et les Dieux indigènes de l'Afrique Romaine », Alger: Actes du 79[eme] congres Nationales des sciences savantes archéologiques, pp85-91.
2 -Vassel E (1910) « Les deux inscriptions puniques de Tanesmat », Tunis : R.T, N°73, pp.251-252.
3 - Berthier A & Charlier AR(1955) op. cit, p.93.
4 - Fevrier F& et Berthier A (1980) « Les stèles néo puniques de Tiddis », Alger: dans B.A.A, t. VI, p68.
5- يفصح نادية (2004) المرجع السابق، ص 75.
6 - Xella P(1991) « Baal-Hammon :Recherche sur l'identité et l'histoire d'un dieu phénico-punique », Roma: édit Consiglio Nationale delle ricerche, p62.
7 - Fantar MH(1977) op.cit, p278.
8 - Gsell S (1920) op.cit, p167
9 - ibid, p243

كما عُثر في دوقة [1]، و بولاريجيا [2]، على العديد من الأنصابِ التي حملت رموزًا عرف بها بعل حمُّون، كالقرص والصولجان، أوغصن من السنابل أو زهرة اللوتس أوالحيـــوانين المقدســـين **(Sphinx)**، كما حملت إحدى يديه في العديد من المرات، حمامة أو زهرة أو إناء للقرابين[3].



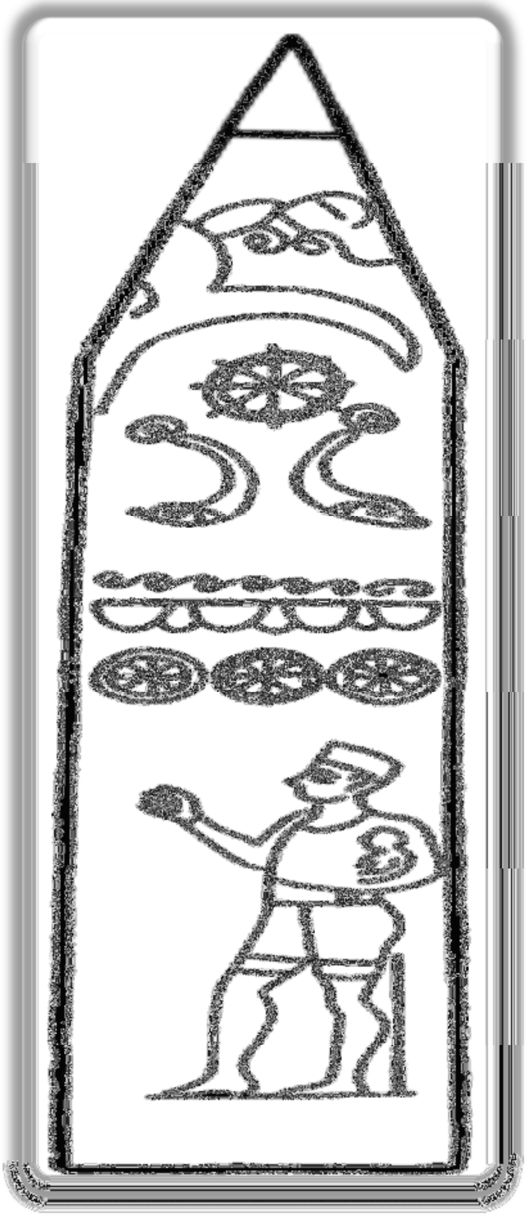
(الشكل15) **بعل امون على عملة نوميدية**

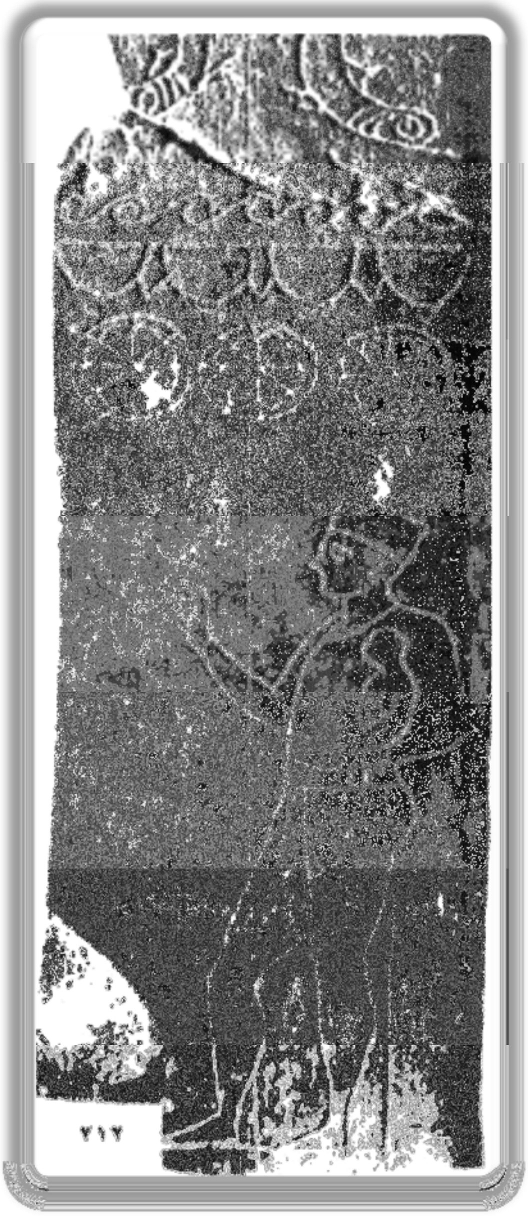
Troussel M(1948) le tresor Monitaire de Tiddis, R.S.A.C, Vol, LXVI.



(الصورة29) **نصب سوسة يصور بعل حمون يبارك عبدا واقفا أمامه قدم له النذور**
Encyclopedie univesalis (1985)T2, p443.

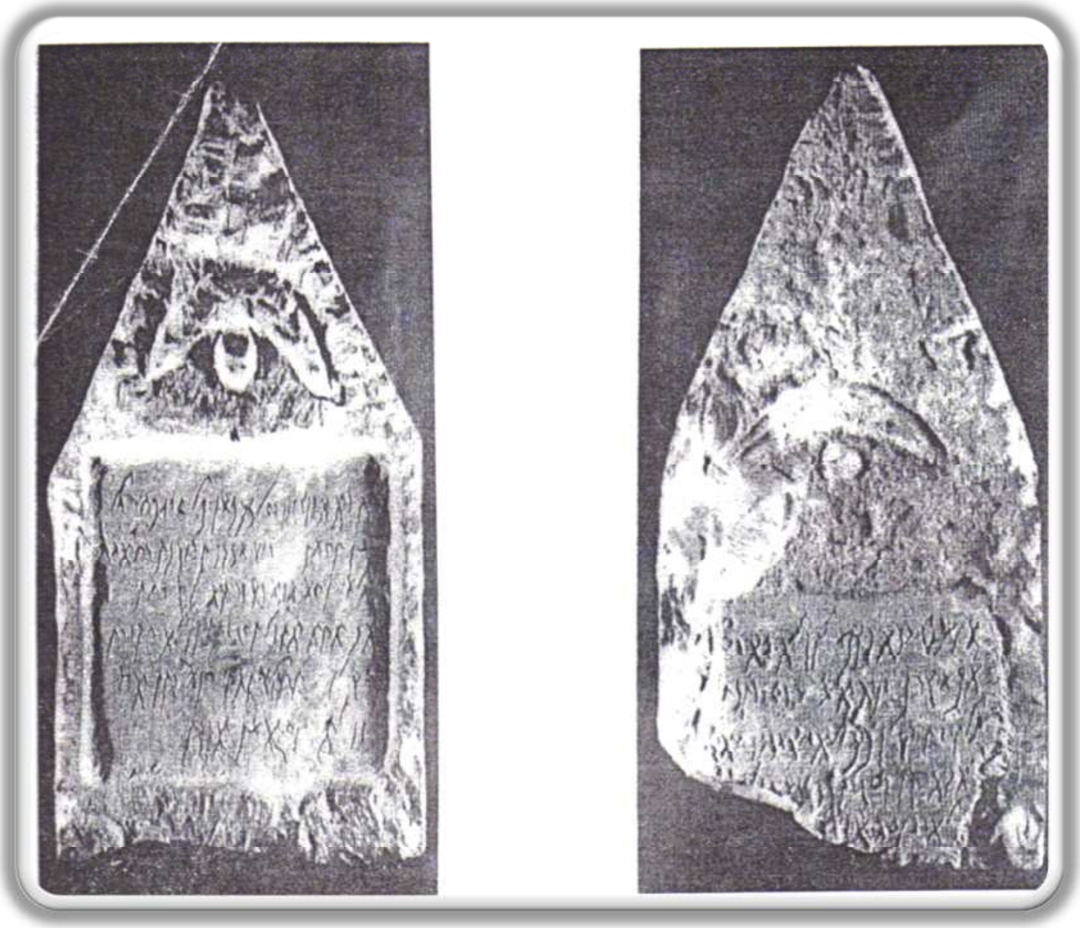
1 - Leglay M(1966) op.cit, p65.
2 - Fantar MH(1990) « une inscription punique de Bulla-régia », Semitica, N° XXXVIII, pp107-112.
3 - Dellatre RP(1901) « fouilles exécutées dans la nécropole punique à Carthage », paris : CRAI, t II, p 584.





(الصور30) **كاهن يحمل بين يديه طفلا منذورا أضحية**

فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق، ص212.



(الشكل16) **نقشان بونيان يوضحان تقديم الاضاحي البشرية، عثر عليهما في معبد الحفرة**

Fevrier JG(1955) « un sacrifice d'enfant chez les Numides »,pp164.



(الشكل17) **نقش بوني (قرنين 5أو6 ق.م)يخلد تقديم أضحية بشرية.**

Fantar MH(1997) op.cit, p107.

بقي بعل حامون الاله الرئيسي في المناطق البُونية في القرون الأولى مـــن تأسِـــيسِ قرطاجـــة، واستمر الحالُ كذلك الى نهاية القرنين الخامس وبداية القرنِ الرابع قبل الميلاد، لتظهر إلهةٌ وازت بعل حمُّون في الاهمية والانتشار، عُرفت فيما بعد بتانيت سيدةُ أنصابِ قرطاجة[1] .

ورغم المراقبة الرومانية الشديدة، مع تغييرٍ في الاسم من بعل حمُّون الى **ساتورن** **(Saturnus)–** الذي اعتبره المغاربة خليفة لبعل حمون القرطاجي وأمون المغاربي[2]– استمر النُوميديون يقدسّون بعل حمون و يقدمون له الاضحيات البشرية، و تواصـــــــَـــَـل إستعمال رموزِه في أنصابِ **ثبربسيس** قرب كالما (قالمة) و **هيبوريجيوس**[3] وغيرهما من المُدن النوميدية البونية،(**أنظر الصور33.32**)، بل وأُعتبر في نظَرِ الكثيرين منهم سِمةً من سماتِ المقاومةِ أمام سياسةِ الرومنَة الدينية، وأشـــارَ الاثريُـــون أن أغلب المعابدِ التي كُرّست **لساتورن** الرُوماني كانت في الاصلِ معابدًا لبعل حمون[4].

1 - Bertrandy M (1993) « Les représentations du signe de Tanit sur les stèles votives de Constantine », Roma: dans R.S.F, Vol. XXI, 1, p18.

2- محمد البشير شنيتي (1984) التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 262.

3 - Leglay M(1966) op.cit, p434.

4 -Leglay M (1966) op .cit, p41; Fantar MH (1990) « Survivance de la civilisation punique en Afrique du Nord », A.R, Vol.7, p.53



(الصورة32) **نصب لساتورن برداء طويل يحمل عرجون العنب دلالة على الخصوبة**

Leglay M (1966) op.cit. p403.



(الصورة33) **نصب لساتورن وجد قرب قالمة Thababusis (Ain Nechma)**

Leglay M (1961)Saturne Africain, Monuments, Vol1,paris: p404.

ب/ - تانيت Tanit:

صارت الالهة البونية تانيت (**Tanit**) من المعبودات الأكثر انتشارًا في المغرب القديم منذ النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد الى جانب بعل حمون، حتى أصبحت تعرف بتانيت بينيبعل (**tnt. pn. B'l**)، لكثرة ذكرها في النقوش رفقته، وإحتلت بعد ذلك المرتبة الأولى منذ بداية القرن الرابع قبل الميلاد، وصارت تقدم لها الكثير من النذر والإهداءات.(**أنظر الشكل**16.15)

وصفت بأنها أعظم الآلهة وأم كل حي، والهة الخصب[1]، والهة القمر[2]، كما أشار شارل-اندري جوليان الى تانيت في كونها الآلهة المرضعة للاطفال[3] (**الشكل**22)، ونقشت أيضا على مداخل بعض المعابد في شكل رأس لبؤة وهو ما يدل دور الحماية[4](**الصورة34**)، وقد إرتبطت تانيت كذلك بالطبيعة والحياة البرية والصيد، كما أنها إلهة زراعية توفر الأمطار، وتسهر على خصوبة الزرع[5]، تعتبر تانيت واحدة الآلهة القليلة التي عبدها العالم تحت أسماء و أشكال متعددة وطقوس مختلفة، فهي تعادل عند الفينيقيين الآلهة (عشترت)، وعند الإغريق الإلهة ارتميس وعند الرومان الإلهة ديانا(**Diana**) أو كايليستس (**Caelestis**)، وعند المصريين (**نيت تيهينو**) أي نيت الليبية[6].

أشار إدوارد ليبِنسكي (**E.Lipinski**) الى أن اسمها مشتق من الفعلِ (**TNY**)، واسمها يعني الباكِية[7]، كما تُرجم الاسم الذي أصبح يرادِفها بني بعل(**pn.B'l**) الى معنى وجه بعل أو رفيقة بعل[8]، لكن ليبنسكي رجّح ترجمة المقابلِة أو المُواجهة لبعل[9]، بعدما بين أن اللاَّزمة (**pn.B'l**) تعني في إتجاه ولا تعني بأي حالٍ من الأحوالِ وجه، كان النطقَ الأول لكلمةِ (**TNT**) هو تانيت[10]، كما قُرأت أيضا تنيت[11]، وفي بعضِ أنصابِ الحُفرة التي كُتِبت بلغة اغرِيقية نجد اسمَ الربة قد كتِب بطريقتين مُختلفتين، ثينيث (**THINITH**) وثُنيث (**THENNITH**)[12]،وهو ما

1- هنري عبودي (1991) المرجع اسابق، ص 275.
2 - Leglay M (1961) op.cit, p23.
3- شارل اندري جوليان (1969) المرجع السابق، ص184 .
4 - Merlin A (1910) Le sanctuaire de Baal et de Tanit près de Siegu, paris: édit Ernest Leroux, pp7-8.
5 - Fantar MH (1977) op.cit, p257.
6- محمد الهادي حارش (1988) المرجع السابق، ص 12.
7 - Lipinski E (1995) Dieux et Déesse de l' univers phénicien et punique, paris: édit Peeters Publisher, p199.
8 - Tlatli SE (1978) op.cit, p175.
9 - ibid, p200.
10 - fantar carthage aproche, p254
11 - ibid p255
12 - A. Berthier et R. Charrier, OP.CIT P167.

أشارَ اليه فنطر في قولِه :« اسم الربة بلغة اغريقية بأذن أجنبية، ولهذا يجب أن نحذر من الكتابات الاجنبية عندما يتعلق الأمر باسم سامي» [1]،كما أُرجع الاسم الى الجِذر (TN) مع اضافة تاء التأنيث، وهو ما فُسر على أنها تعني الربة الذِئبة أو الربة الوحش[2]، و ارجع أيضًا الى الجذرِ البُوني (YTN) الذي يعني أعطى والعطاء، وهو ما يجعل تانيت بمثابة الربة الكرِيمة التي تهب العَون والقُوة والخِصب[3].

أختلفَ المُؤرخون هي أيضا في تحديدِ أصُولها، هل لها طابع محلِّي أو فينيقي[4]، فبعضُ المؤرخين يجعل أصلَهَا شرقيا ويربِط بينها وبين عشتارت الفِينيقية، نظرًا لتشابهِهما في الدورِ الديني المُمثَّل في الخصوبة والتناسل[5]، مع تغير في الاسم عند الانتقالِ الى شمالِ افريقيا، ويستدِلون على ذلِك أيضًا بوجودِ بعض القرى بلبنان الحالية، لازالت تحتفِظُ بأسمائها القديمة المركبة من لفظِ تانيت، كـ**عقتنيت** و **عيتنيت** و**كفرتنيت**[6]، ويبدو أن وجود اسم تانيت في هذه المواقِع دليلٌ على أنه في زمن ما، وجد عبَّادٌ ومعابد لها في هذه المناطق من الساحِل السوري،كما ورد إسمُها إلى جانب اسمِ الإلهة عشتارت في نقشٍ فينيقي عُثر عليه في ساربتا (**Sarepta**) (**قرية الصرفند- جنوب صور**)، يرجعُ تاريُخه إلى القرن السادِس ق.م[7].

وهو ما ساندته الأبحاثُ الأثريةُ الحدِيثة في لُبنان الحالية، فقد عثر عُلماء الاثار علَى قُسيمات تذكارية تحمل نقيشةً فينيقيةً تتضمنُ عِبارة (**ح ن ت م ت**) والتي قد تَعنِي حماية أو رحمةَ تانيت، بالإضافة إلى رمز تانيت المُميز الذي نُقش بوضوحٍ على إحدى هذه القُسيمات [8]، يظافُ الى ذلِك أيضا العُثور على قطعةٍ فخارية بِصيدون نُقش عليها ج ر ت ن ت(**GRTNT**)، التي تعني حسبَ المختصين المخلص لتانيت،وهي تعود الى القرنِ الرابعِ قبل الميلاد[9]، كما عُثر على الصِفة التي لازمتهَا بني بعل (**Béné Baal**) على نقودٍ بعسقلان (**Ascalon**) تعودُ الى القرنِ الثاني للميلاد[10].

---

1 - Fantar, Carthage, Approche 2, p. 254
2 - Hvidberg Hansen1979, La déesse TNT, une étude sur la religion cananéo – punique, Copenhague: vol. I, p. 140.
3 - M. Sznycer, Carthage et civilisation punique, dans Rome et la conquête du monde Midetterranéen, Paris, PUF, 1978, p. 587.
4- محمد الصغير غانم (2008) المرجع السابق، ص 213-215.
5 - Tlatli SE (1978) op.cit, p180.
6 - Ronzevalle S (s.d) Traces du culte de Tanit en Phénicie, Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth (M.F.O.B), VII, Notes et études d’archéologie orientale), pp 75 – 83.
7 - Richard P (1978) Recovering Sarepta, USA: New Jerzy, pp 104-108.dans www. Phéniciennes .com .
8 - Bordreuil P (1987) Tanit du Liban (nouveaux documents religieux phéniciens III*), S.Ph, V, édit Leuveu, pp83-84
9 - CIS, I, 116.
10 - Lipinski Dictionnaire p438.

كما أُرجع أصلُها الى الالهة المِصرية نيث (**Neith**) مع إضافة تاء التأنيثِ، فتغير أُسمُها وصَار تانيت[1]، إلا أن المُؤرخ " **خزعل الماجدي** " يقر بان أصْلَ هذه الآلهة بربري تبناها القرطاجيُون[2]، يسانده في ذلك رونيه دوسيه (**R.Dussaut**) الذي ربَطَ بين تبني القرطاجيِين للربة الكُبرى المحلية وبين عناة عند نُزولهم بافريقيا في قولِه:« باستقرارٍ الفينيقِيين في قرطاج، فانهم تعرفُوا على الربَّة الكُبرى المحلية وتبنوها »[3].

ولعل تمسك المغاربة برمزها إلى يومنا هذا من خلالِ الابريم الفضِي الذي تستخدِمه المرأةُ في لباسِها والوشم على جبهة المرأة هو خير دليلٍ على جذورِها المغاربية[4]، ومهما قِيل في أصُولها، فإنَّها فإنَّها في العادةِ تظهر على الانصابِ النذريةِ والجنائِزية في صُورة بسيطةٍ.

والشكلُ البسيطُ يظهرُ على هيئة مثلثٍ يمثل الجسمَ واليدين، ودائرة في أعلاه تُمثل الرأسَ وصولجان تلتفُ حوله حِيتانٌ على اليسارِ، كذلك الهِلال المقلوبِ إلى أسفل ومعه قُرص الشمس، ورمز اليد اليمنى المفتوحة المرفوعة إلى أعلى لجلبِ الخيرِ والحماية، وقليلا ما مُثلت في أشكالٍ أنثوية كاملةٍ[5]. (أنظر الصورة35)

---

1 - Fantar MH (1977) op.cit, p252.

2- خزعل الماجدي(2001) المرجع السابق، ص 155 .

3 - R. Basset, Recherches sur…………pp342.

4- محمد العربي عقون (2008) المرجع السابق، ص 215 .

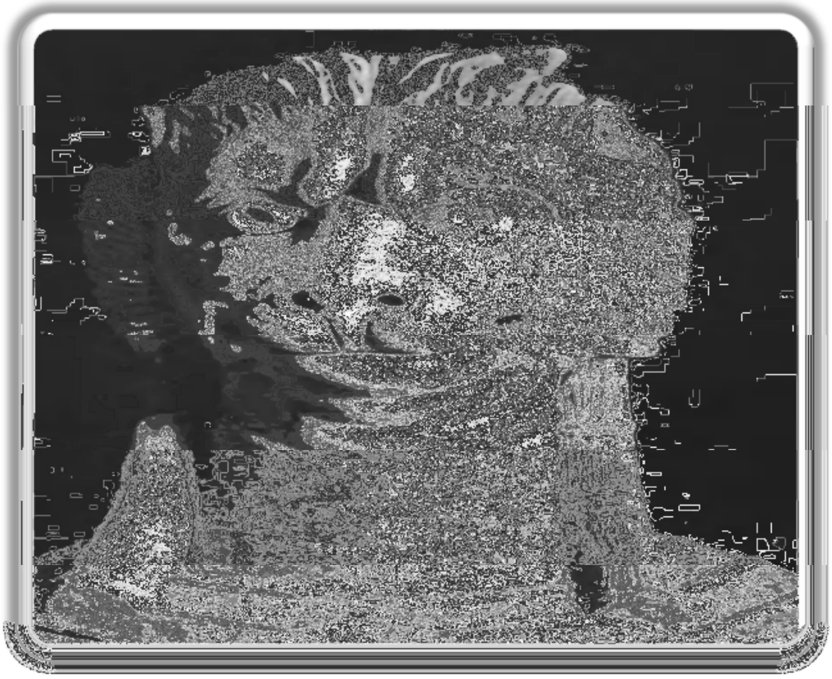
5 - Poinssit L & Lantier (1923) « Un sanctuaire de Tanit à Carthage », R. T, paris, p 46-48;
محمد فنطر (1973) الحضارة البونيقية في الوطن القبلي كركوان، المؤتمر السادس للأثار العربية، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،القاهرة،صص565-566.



(الشكل22) **تمثال يجسد تانيت تحمل طفلا كرمز للأمومة**

مولاي الحاج بومعقل(2008) المرجع السابق،ص44.



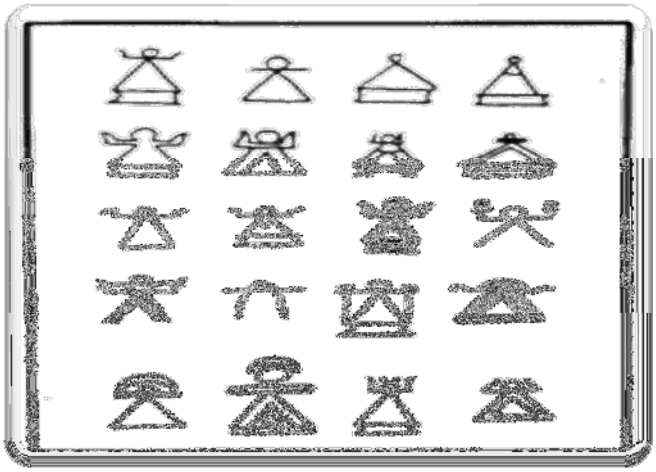


(الصورة34) **تانيت حامية المعابد برأس لبؤة**

Lipinski E (1995) op.cit, p150.



(**الشكل** 23) **نصب نذري في شكل طلسم تانيت**
محمد حسين فنطر (2008) « التربية والثقافة في قرطاجة » ،تونس: نشر جريدة الحرية،ص47.



(الشكل24) **تطور رمز تانيت على الأنصاب**
Lipinski E(1995)op.cit, p210.



(الصورة35) **تانيت في تمثيل انساني كامل**
Lipinski E (1995) op.cit, p150.

ومن خلالِ هذه الشواهدِ الأثريةِ المختلفة، نجدُ أن تانيت قد ارتبطتْ برموزٍ عديدةٍ ومتنوعة سواء في مدينةِ قرطاجَة ذاتها أو في المُدنِ البونية أوالنوميديةِ، فكثيرًا ما ظهرتْ وهِي تحمل سعفَ النخلة، و بجانبِها ترسم رموزُ الخِصب كالسمكةِ أو الدلفِين كرمزٍ للإيمانِ والسَّلامة في البحارِ، أو الحمامة، أو الرمانة[1]. (الصور39.38.37.36)

أقيم لعبادة تانيت والتضرع إليها تماثيل خاصة و معابد و كهنة يسهرون بدورهم على خدمتِها[2]، وأعتبر معبد صلمبو بقرطاجة أهمها، فقد جاء في إحدى النقوش البونية أن (**بلعياتون**) البوني أقام تمثالا للإلهة تانيت، واضعًا نفسه عبدًا خادمًا لها، كما رُسِمت كذلِك في صُورة إلهة مُجنحة، وإلى أسفلِ هذه الصورة نُقِش نصٌ بوني، تضمن إهداءًا للربةِ تانيت وجهُ بعل، ويُؤرخُ هذا النصب بأواخرِ القرنِ الثالثِ ونهاية القرنِ الثاني ق.م[3]

لكن لم تنتشرعبادةُ تانيت كثيرًا خارج قرطاجة أين كان لها حضورًا قويًا، مثلما كان حال بعل حمون، فباستثناءِ سيرتا (**Cirta**)، فإن عبادتِها كانت قليلة جدا في باقِي المدن النوميديةِ في الوقتِ الذي كان فيه بعل حمون الإله الرئيسي وبدون منازِعٍ فيها، بل كانَت غائبةً تمامًا في البعضِ منها[4]،كما هو شأن مدن مديدي (**Mididi**) [5]، وهنشير غياضَة (**Ghayada**.**Henchir**) وثِيباريس(**Thibaris**) [6].

رغم ذلك ظهرت تانيت في بعضٍ من المدن البُونية، فقد كشفتْ التنقيباتُ الاثريةُ على العديدِ من الانصابِ النذرية والجنائزيةِ التي ذُكرت فيها، مثالٌ ذلك نصبين كُشِف عنهما في معبدِ حدرموت، حملتْ نذورًا مقدمة على شرفِ الربةِ تانيت وجهُ بعل ويؤرخانِ إلى القرن الرابع ق.م، كما عثر على تمثالين لها بمنطقَةِ ثنيسو(**TNMST**) (**بئر بوركبة**) يؤرخانِ إلى القرنِ الأول ق.م، التمثالُ الأولُ في شكلِ امرأةٍ بجسمٍ كاملٍ له رأسُ أسد (**أنظر الصورة 35**).

1 - Benseddik N (1993) op.cit, p29.
2 - Fantar MH(1977) op.cit, p261.
3- يفصح نادية (2003) المرجع السابق، ص135.
4- نفسه، ص133.
5 - Fantar MH (1986) « nouvelles stèles à épigraphes néopuniques de Mididi » Semitica, N°XXXVI, p37.
6 - krandel A (1990) « Les stèles de Thibaris et de ses environs »,Tunis: Reppal, l'institut national d'archéologie et d'Art, V édit, p36.

أما التمثالُ الثاني فيمثل صورة إمرأة جالسة تحتضن طفلاً صغيرًا تغذيه من ثديها، ترتدي فستانًا طويلاً يغطي كل الجسمِ حتى القدمين[1] (أنظر الشكل22)

و في باقي المدن النُوميدية فقد كان انتشارُ عبادة تانيت بنسبةٍ قليلة جدًا، و لم يعثُــر الاثريُــون سوى على أنصابٍ تعد على أصابعِ اليد الواحدة في معابِدِ حدرموت[2]، و تراكبين (**Terekbine**) جنوبِ غربِ سوق أهراس[3]، و تديس(**Tiddis**) وفي منطقة مكثر(**Mactar**) [4].





(الصورة36) **أنصاب من معبد الحفرة تصور تانيت وبقربها رمز اليد**
Berthier A & Charlier AR(1955)op cit,pp III,B ;XXI,D.



(الصورة37) **نصب لتانيت وبقربها الهلال والنجمة عثر عليه بمكثر**
يفصح نادية (2006) المرجع السابق،ص154.

1 - Merlin A (1910) op.cit, pp.7-8.
2 - Cintas P (1947) op.cit, pp38-39, stèle, N°3.
3 - Charbot A(1941) « note sur une inscription de Tirekbine », paris: BAC, p464.
4 - Picard G-C (1957) « Civitas noctaritama », paris: Karthago, N°VIII, p47.



(الصورة38) **نصب لتانيت يتوسط صولجانين**
Berthier A & Charlier AR (1955)
op.cit, pl III,B



نصب آخر يظهر الدلفين أحد رموز تانيت
أحمد السليماني واخرون (2007) المرجع السابق، ص 279



(الصورة39) **نصب لتانيت نقشت عليه أغلب الرموز التي عرفت بها**

في آخر هذا الجُزء من البحثِ، رأينا أنه من الواجبِ أن نشير الى أنه رغم المراقبـــةِ الرومانيـــة الشديدة، مع تغييرٍ في الاسمِ من تانيت الى **كاليستيس** (**Caelestis**)، ومن بعل حمُّـــون الى **ســـاتورن** (**Saturnus**)– الذي اعتبرهُ المغاربة خليفةً لبعل حمُّون القرطاجِي وأمـــون المغـــاربي[1]– اســـتمر النوميديون يقدسُون بعل حمُون وتانيت و يقدمُون لهما الاضـــحياتِ البشـــرِية، و تواصَـــــــــــل َاستعمالُ رموزهِما في أنصابِ مـــدنٍ نوميديـــةٍ عديـــدةٍ، كاســـتعمالِ رمـــوز بعـــل حمـــون في ثيربسيس(**Thuburbusus**) قرب كالما (قالمة)، و هيبوريجيوس [2]، وغيرهُمَا من المـــدنِ النُوميديـــة البونية، بل واعتبرا في نظر الكثيرين منهم سِمة من سماتِ المقاومة أمام سياسة الرومنة الدينية، كمـــا أشار الاثريون أن أغلب المعابدِ التي كُرّست لساتورن(**Saturnus**)، أو كاليستيس (**Caelestis**) او أفريكا[3]الرومانيين، كانت في الاصلِ معابدا لتانيت و لبعـــل حمـــون البُـــونيّيْن[4].(**أنظر الصور** 51.50.33.32)

ثم عبد النُوميديُون خاصة في المدن الاكثر رومنة، بعضَ الالهة الرومانيةِ، من هذه الالهة نـــذكُر اله الحربِ **مَارسْ** في تيمقاد وجميلة [5]، وكذا الهُ الطبِ في مدينة لامباز **ابولون**، واحتلَّ الالهُ **نبتـــون** مكانة هامة في المناطق الزراعية، كما شاعتْ عبادة الالهة **فينُوس** جالِبةُ الحظ[6]، فظلاً عن الاله **هِرَقلْ** و **ايسكُولابيوس**، و**مِيركُور** و**يونو** و **ديانا** [7].

1- شنيتي محمد البشير (1984) المرجع السابق، ص 262.

2 - Leglay M (1961) op.cit, p434.

3 - Toutain J (1920) Les cultes païens dans l'empire romain ,paris: édit bibliothèque de l'école des hautes études sciences religieuses (25éme volume), pp13-14.

4 - Leglay M (1966) op .cit, p41; Fantar MH(1990) « Survivance de la civilisation punique en Afrique du Nord », A.R, Vol.7, p53.

5 - Toutain J (1920) ibid, pp253-254.

6 - Benseddik N(1993) « religion du Maghreb, les cultes Romaines », R.A, N°4, p18.

7 - Toutain J(1920) ibid, pp288-289.

2- التأثير البوني في الطقوس الدينية والجنائزية النوميدية :

لم ينحصِر التأثير البُوني على آلهة النوميديين فقط، بل تجاوزهُ الى الطُقوسِ الدِينيــةِ والجنائزيــةِ أيضا، فقد دلت البقايا الأثرية التي وُجِدت في العديد من المناطِق النُوميدية ممارســة طُقــوس دينيــة وطرق دفنٍ وتقديم قرابينٍ لها أصولٌ شرقيةٌ فينيقيةٌ .

أ/- الطقـــوس الدينية والقرابين:

ليس من شك في أن النوميديين الذين إعتقدوا بوجود آلهة تحميهم وتسير أمورهم، قد جعلوا في عبادتها طرقا وأساليب مختلفة إعتادوا ممارستها في المناسباتِ، فقد تضمنت البقايا الأثرية مشاهداً هامة حول الطُقوس والتضحياتِ الدينية، بالإضافة الى صُورِ الحيواناتِ المقدسة التي كانت تقدم كقرابين للآلهة، وهو أمر يبين أن النُوميدِيين أولوا أهمية كُبرى لعملية التضحياتِ، لاعتقادهِم أنها أفضلُ وسيلةٍ للتقربٍ من الإله واستمالته من ناحية، ولتوفير خُصوبة الحُقول وتكاثُر القطيع من ناحيــةٍ أخــرى، وسوف نذكر من تلك الطقوس كل ما يمكن أن يكون ذا مصدرٍ بوني .

نذر النُوميديون فرديًا طلبا للخصوبة أو الشفاءِ أوغيرهما من الرغباتِ، وجماعيا طلبا للنجاةِ مــن الكوارث الطبيعية أو الانتصارِ في الحروب[1] العديد من الأضاحِي، أشرف علــى تقــديمها كهنــة مُتخصصون (**إكليروس**)[2]، توارثوا مهنتهم عن ابائِهم بعد تمارين وتربصاتٍ سريةٍ حتى لا تكُون في متناول العامة، ويمكن أن يُستشف من مختلف أشكال النُذُر التي وجدتْ، بأن تقديم الأُضحية لم يكن دائما يتم بعد تحقيق الدعاء «**سمع صوته، وباركه**»، بل كانَتْ الأضاحِي تقدم أيضًــا قبــل أن يستجيب الاله، ويكونُ ذلك في شكل طلبٍ أو تضرعٍ من مثل« **فليسمع صوته وليباركه**»[3].

إن طقسَ تقديم القرابينِ البشريةِ يعتبر من أهم الطقوسِ القرطاجية التي عرفها النُوميديُون- رغم التحفضاتِ الكثيرة التي أبداها بعض الاثريين- وهو طقسٌ عرفته العديد من الشعوبِ القديمة، خاصة في المنطقةِ المتوسطيةِ، عُرف عند البُونيقِيين باسمِ مولك (**molk**)، وهي عادةٌ مارسَها الفينيقيُّــون في الشرقِ لإسكاتِ غضبِ الاله موت(**مولوخ**)، خوفًا من أن يرسِــل علِــيهم الأوبئــةَ والكــوارِث الطبيعية[4].

---

1 - Alia Krandel (2002) op.cit, p445.

2- محمد الهادي حارش (1995) المرجع السابق، ص148.

3 - Alia Krandel (2002) ibid, p444.

4- فاروق الدّملوجي (2003) تاريخ الأديان (الألوهية وتاريخ الآلهة)، بيروت: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ص421.

ثم بعد الكشفِ عن معبد صلمبو الذي يعد من أقدم المعابد القرطاجية، والذي إستخرجت من سطحه آلاف الجرار المملوءة ببقايا العظام البشرية، أصبحت هذه الممارسة أكثر احتمالا من ذي قبل في العالم البوني، ففوق إحدى الأنصاب المؤرخة في القرنين الخامس أو الرابع ق.م، نقشت صورة تمثل كاهنا واقفا في وضعية جانبية مرتديا ثوبا طويلا يشده إلى خصره بحزام عريض، وعلى ذراعه الأيسر طفل صغير عاري الجسم، يمثل بدون شك الضحية التي ستكون قربانا للإله، واليد اليمنى مرفوعة نحو الأعلى، طلبا للاله أن يتقبل هذه الأضحية(1)، وبعد ذلك تسربتْ هذه المُمارسة إلى مختلف المواقع التي بلغها التأثير البوني(2)، خاصةً النُوميدية القريبة.

كما عُثر على نقوشٍ واهداءاتٍ جنائزيةٍ بسيرتا وضواحِيها، دلت على أن النوميديين مارسوا التضحية بالاطفال، وهو ما أكدته أيضا عديد النُصوصِ القديمة، فقد أُشير في نصبين من أنصاب معبد الحفرة تعودانِ الى القرن الثاني قبل الميلاد، الى مُمارسةِ هذا النوعِ من الاضحياتِ(3)، تتضمنُ احداها تقديم الوالدِين ابنهُما الذي أشير الى أنه أبكمٌ، للإلاهين بعل حمُّون وتانيت بني بعل شكرًا لهما بعدما منحاهما ابنًا سليمًا (4).

لكن أُشير في مواضعٍ عديدة من الكتبِ الحديثة المختصة، أن الاضاحِي البشرية لم تكن مُنتشرة في بلادِ النوميديين باستثناءِ النصبين السابِقين، ومن المرجَّح أن صاحِبهما كان بُونيا مقيمًا بسيرتا و لم يكن نُوميديًا.

كانت الطُقوس التي تتم تشبه الى حدٍ كبير الطقوسِ التي أديت في قرطاجة، فقد أختيرَ الليل لتقديم الطفلِ المضحى به، ويتم ذلك في مكانٍ مفتوحٍ لايفصلِه عن العالمِ الخارجِي سوى صُور صغير، تصاحب عملية التضحية حفلاتٍ موسيقيةٍ طقوسيةٍ يؤديها موسيقيونَ متمرسُون، كما يحضُرُ الحفلة هذه راقصُون طقُوسيون تزيد صيحاتُهم وصخبهُم كلما اقترب الطفلُ من المذبح(5).

لم تستمر طقوسٌ التضحيةِ بالبشر فقد أُستبدلت بحيوانٍ، عُرفت في النقوش **بملكمور (MLK'mr)**، إنتشرت في كلٍّ من قرطاجة وسُوسة بداية من القرنِ الاول قبل المِيلاد، أما في دُوقة

1- يفصح نادية (2006) المرجع السابق،ص53.
2 - Gras M & Rouillard R & et Texidor J (1989) op.cit, p171.
3 - Février JG (1953) op.cit, p161.
4 - Krandel A (2002) op.cit, p445.
5 - Février JG(1960) op.cit, pp183-184 .

والمدن المحيطة بها بداية من القرن الثاني قبل الميلاد[1]، وحسب بعض المختصين، فإن اختيارَ هـــذه الحيوانات لم يكن يتم بطريقة عشوائية، بل أختيرت لكونها تحمل صفات الخصوبة والحيوية والقوة، وهي الصفات التي تتميز بها الآلهة، وبالتالي فإن هذه الحيواناتِ ترمز إليها[2].(انظر الصور41.40)

لكن لم نجد إشارات كافية عن الطقوس الدينية من التراتيل والترانيم التي مُورست، وكل مـــا وصل الينا هو معلومات شحيحة عن ديودور الصقلي[3]، أكدت أغلب المراجع الوطنية الحديثة ميلها الى محاولات الاساءة للحضارة البونية، بسبب حقده على القرطاجيين وتمجيده للرُومان، شـــأنُه في ذلك شأن أغلب الكتَّاب الاستعماريين في تركيزهم على إضهارِ بشاعة الطقوس الجنائِزية البونية.

كما دلت بعض النقوش اللاتينية، على استمرارية تضحياتِ مولخمـــور (**Molokhmor**) في شمال إفريقيا الرومانية إلى وقت متأخر، فقد بقي النوميدون الساكنُون في المناطقِ البعيدة عن السيطرة الرومانية يمارسونها في معابدهِم، كما هو الحال في حدرموت سوسة[4]، وبمنطقة نقاوسْ بـــالجزائر، والمؤرخة إلى القرنَين الثاني والثالث بعد الميلاد، رغم أن مجلس الشيوخِ أصدر قانونًا يجرِّم التضـــحية البشرية (كانت العقوبة هي الاعدام)، حمل أغلبُها عبارة : « **روح بروح، ودم بدم، وحياة بحياة**» .[5]

أما بالنسبة للقرابين الحيوانية، فقد تمثلت في حيوانات ثديية كالكبش والثور والخروف والطيور كاليمام والحمام خاصة، وبعض الأسماك كالدلفين، كشف عنها في مختلف المناطق التي بلغها التأثير البوني كسيرتا [6]، و**حدرموت**، و**ثنيسو**(بئر بوركبة)، وكذلك عين برشوش بضواحي **مكثر**[7].

كما قدم النوميديون استرضاءاً لالهتهم مختلف أنواعِ الطعامِ والشراب، وقد كان على رأســـها جرارا من زيت الزيتون و أنواعًا مختلفة من الخُمور، وجدت مرصوفة قرب مذابح معابـــدهم الـــتي شيدوها[8]،كما قدموا أيضا سلالا من الفواكه والحلويات من مثل العِنب، والتُّفـــاح والرُّمـــان[9]، وهو ما تُظهره الرسوماتِ الكثيرة على العديدِ من النُصبِ النذرية والجنائزِية، وعثر أيضًا على بقايـــا

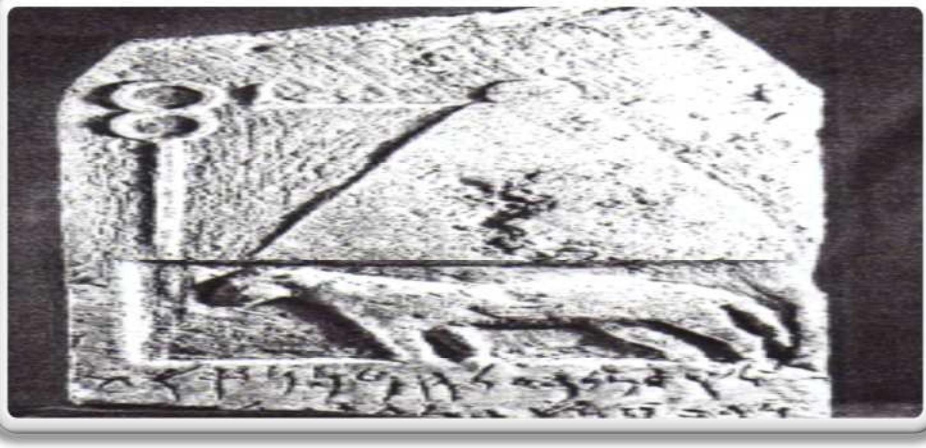
1 - Février JG (1953) op.cit, pp161-171.
2 - Vassel E(1919) « études puniques, les animaux des stèles de Carthage; le bélier », Tunis: R.T, N°131, p174.
3 - Diodore de Sicile, XX,14.
4 - Picard G (1956) op.cit, p77.
5 - Gras M & Rouillard R & et Texidor J (1989) op.cit, p178.
6 - Bertrandy F et Sznycer M (1987) op.cit, p.70
7 - Picard (C) Ibid, p.253
8 - Toutain J (1920) op.cit, p62.
9- محمد الهادي حارش (1995) المرجع السابق، ص150.

كثيرة من قشور بيض النعام ضمن بقايا الأَضرحةِ النوميدية، آمنوا أنها تُساعد موتـــاهم في اســـتعادةِ أرواحِهِم [1].

وعثر أيضا على أثارِ العطور وبعض أنواعِ البخورفي في بعضِ أضرحةِ النوميد المهمة، كضـــريح دُوقة (**Dougga**)، كما عُثر على اثارٍ أخرى في مدينة **ألثيبروس**[2]، وهو ما يُبين إستعمالَها في هـــذه الفترة عند مُمارسة الطُقوس الدِينية، وعادة ما قدمت هذه العطور والأبخرة للالهة في شكل عصـــي معطرة (**Ensens**)، عثر على بقاياها في معابد حضرموت والحُفرة، وبقيت تُقدم في شكلِها المميـــز هذا حتى الفترة الرومانيةِ[3].



(الصورة 40) **نصب نذري يبين الكبش كأضحية استبدال في نصب لتانيت**
Berthier A & Charlier AR(1955) op.cit. a, p XVII



(الصورة 41) **نصب نذري آخر يحتوي صورة الكبش كأضحية استبدال**
Berthier A & Charlier AR(1955) op.cit. c, p XVII

1 - Krandel A (2002) op.cit. p137.
2 - ibid, p447.
3 - Leglay M(1966) op.cit.p357.

ب/- الطقـــوس الجنائزية:

انتشرتْ في الجِهة الشرقية من الجزائر الحالِية قبورٌ تجمع بين خصـــائص الـــدفْنِ النوميديـــة و القرطاجية، فقد بينت التنقيباتُ الاثرية وجُود قبور ذاتِ تأثير قرطاجِي في بونة، وفي سيرتا، اضـــافةً الى تِيبازة وشرشالْ وصولاً الى رشقُون[1]، وأيضًا في كلٍّ من جيجل والقَالة[2].

فهذِهِ القبور جمعت من جهة بين عمق السراديب التي تصل في بعضِ الحالات الى **27 مترا**، مـــع إتساعها عند الجذع العلوي(الرأس والكتفين) [3]، وهي خصائص عرفـــت بهـــا القبورالقرطاجيـــة الفينيقية، و بين تنوع وضعياتِ دفن الجثةِ وتوجيهُهَا، مع قلة في العمق بحيث لا تتجاوز في أغلـــبِ الأحيان الثلاثة أمتار، واستعمال المِّغرة الحمراء لتلوين أجزاءٍ معينةٍ من الجثة من جهـــةٍ أخـــرى [4]، وهي خصائص دفنية محلية .

كما ظِهر التقليدُ النوميدي أيضا في وضعِ الشواهد الصخرية التي عرف بهـــا القرطـــاجيون[5]، وَوِجدت نفسُ نوعيةُ الجرارِ التي استعملتْ في قرطاجة لحفظِ رمادِ الاضحيات البشرية المقدمة لبعـــل وتانيت في كل من سُوسة وسيرتا[6]، مع إضافة أثاث جنائزي لها، وهو ما لم تعرفهُ التقاليد الجنائزِية القرطاجية [7].

أما عن أهم المرفقات الجنائزِية التي وجدت داخل هذه القُبور فهي تتمثـــل أساسًـــا في أدواتِ الزينة التي تخصُ الميت، كالخواتِم والمرايا والمماشِط، إضافةً الى أدوات منزلية ظنَّ أهـــلُ الميـــت أنـــه سوف يحتاجُها في حياته الثانية، كالأباريقِ، وحتى الشمعدانات والمصابِيح الخزفية، والجِـــرار الـــتي تحتوي الغذاء[8].

كما لم تخلُ هذه القبور من بقايَا العضام الحيوانية التي قدمت كقرابين، أو رأى فيها النُوميـــديون خصائص إلهية تساعد الميت وتحميه في حياتِه الثانية، يضاف اليها بعضٌ من التماثيل الصغيرة لأهـــمِ

---

1 - vuillemot G (1955) « le nécropole punique du phare dans l'ile de Rechgoune », Libyca Arc. Epig, TIII, 1er trim, pp08-12.
2 - Cintas P (1948) op.cit, p272.
3 - Gsell S (1920) op.cit, p456.
4 - ibid, p445.
5 - Baradez J (1957) « survivance du culte de Baal et Tanit au 1ere siècle de 1ere chrétienne », Libyca Arch. Epig, TV, 2éme semestre, pp241-245.
6 - Gsell S (1920) ibid, p435-436.
7 - Cintas P (1947) op.cit, pp14-20.
8 - Gsell S (1920) ibid, p456.

آلهتهم، وبعضِ النقود والحُلِّي الذهبية [1]، رغم أن بعضَ التنقيبات غير العلمية التي أُجريت في المعَالم الجنائِزية أدت الى إتلافِ مكوناتِها وتعرضِ ما بقي مِنها للزوالِ نتيجة العوامِل المُناخية المُختلفـــة، أو للنهبِ والسرِقة[2] .

هذا وقد نَقَلَ الارستقراطيون القرطاجيُون التأثير البُوني الى الاضرحةِ الملكية النوميدية[3]، هـــذه الأضرحة التي شيدت على مداخل أهم المدن النوميدية، وحملت أجزائِها العديد من سمات التنميـــق والزخرفة البونية، رغم أن الأثرِيين أكدوا أنها نتاج تطورٍ للقُبُور المحلية خاصة ما عرف بالبازينات[4]، مرورا بضريح دوقا، والمدغاسن بباتنة والخرُوب قرب قسنطينة، انتهاءا بالضريحِ الملكي المُوريتاني (**قبر الرومية**) .

<u>ثانيا</u> : <u>التأثير البوني في الأضرحة الملكية النوميدية</u> :

رغم أن بعضَ الباحِثِين لا يوافِقُون على الرأيَ القائلَ بوجود تأثيرات قرطاجيـــة في الأضـــرحة النوميدية، إلا أن تأثر النوميديين بالقرطاجِيين في بناءِ الاضرحةِ الكبيرة على مداخِلِ أهم المدن أمـــر واضح[5]، فالقرطاجيون نقلوا خصائص بناءٍ من الساحل الفينيقي شرقًا الى قرطاجة ومســـتوطنات الساحل الغربي، ثم تلقفها عن القرطاجيين الطبقة المالِكة في نوميـــديا، واســـتخدمُوها عنـــدَ بنـــاءِ أضرحِتهم الخاصة، وهو ما أشارتِ اليه العديدُ من الدراسات المُتخصِصِة[6].

فقد أشارَ الأثريون الى أن هذِهِ الاضرحةِ قد شيدتْ بإعتماد أساليب محلية محضَة مـــع إضـــافةِ عناصرٍ زخرفيةٍ أجنبيةٍ، فينيقيةٍ ويونانيةٍ ومصريةٍ، لهذا فالنُوميديُ كان على علمٍ بالفنِ المعمارِي الذي إنتشر أنذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط، بل نجح في خلق انسجام بين الأســـاليبِ المعماريـــة المحليةِ والعناصِرِ الخارجية، ظهرتْ في تشييده لأضرحةٍ جميلةٍ لا زالَتْ تشهدُ على فنه.

---

1 - Gsell S (1920) op.cit, p135.

2- عزيز طارق ساحد (2010) "فترة فجر التاريخ في الجزائر حالة تساؤل"، مجلة الاثار ص....

3 - Slim M & autres (s.d)op.cit, p270.

4 - Camps G (1961) op.cit, p201.

5- الشاذلي ب و طاهر م (1999) المرجع السابق، 213.

6 -Camps G (1995) « Modèle hellénistique ou modèle punique? » Les destinées culturelles de la Numidie. paris :Actes du IIIe Congrès Intern. des études Phéniciennes et Puniques (Tunis 1991), pp 235-248 ; Ferchiou N (1987) « Le paysage funéreraire pré-romain dans deux régions céréalières de Tunisie antique », Ant.Afr,23, 13-16..

أ/ - ضريح المدغاسن: (Medracen)

يقبعُ المدغاسِن بدائرةِ المعذرْ شمالَ غربِ مدينةِ باتنة على بُعد (**35 كلم**)، أقـدمُ إشـارة لهـذا الضريحِ تعودُ الى البكرِي (القرن الحادي عشر للميلاد) ، ثم أعتبرهُ ابن خلدُون قبرًا **لمادغـاس** أحـدُ أجدادِ البربرِ الأولين(1).

يجمع الضريحُ بين خصائص البناء المحلية وخصائص البناء القرطاجية، فهو من جهة يعد بازينـة إسطوانية كبيرة في تركيبه وأبعاده الخارجية، تشبه كثيرا البازينات التي وجدت في المناطق القريبةِ من موقعِه، كما عُثر في الجهة الشرقِية من الضريح على بناء مبلط في شكلٍ مستطيل غالبًا ما وجد مثيله في شرق العديد من المدافِن البدائيةِ(2)، ومن جهة أُخرى برزتْ فيه العناصر البونية والتي تتمثـلُ في استعمال الأبوابِ الوهميةِ، مع استعمالِ القرطاجيين لأعمدةٍ دوريـةٍ مـن صِـقِلية،كما اسـتعملوا الكورنيشَ ذو العنق المصري (**gorge Egyptienne**) (3)، كما بين لوزين أ (**Lezine A**) بعد إعادته تشكيل الأبواب الوهمية للضريح شبهها الكبيرَ مع تلك التي نُحتت على واجهات معابد قرطاجة(4)، وهو أمر سانده كامبس أيضًا، فقد أكد وجود صلة كبيرة بين الشكلِ العامِ للأبوابِ الوهمية للضريحِ وباب الناووس الذي وُجِد بمعبد صلمبو أهم معابِد قرطاجة (5).

خارجيا قسم الضريح الى قسمِين، قسم أعلى مخروطِي الشكل يصل أرتفاعُـه حـدود (**18.35 متر**) (6)، وآخر خارجي ضَم قاعدة أسطوانية البناءِ قارب محيطها (**185 متر**)، أُستعملت حجَـارة متوازية الأضلاع لبناء هذا الجزء، ثُبتتْ فيما بينها بإستعمال مخالبٍ من الرصاصِ، أما الجزء الداخِلي فضم الرواق المُفضِي الى الغرفِ الجنائزيةِ (7).(**انظر الصورة42**)

إحتوى الجزءُ الخارجي أيضًا على ثلاثة أبوابٍ وهمية مستيطلة الشكل، يتوزع على جوانبِها **60** عمودا، و**23** مدمكة يبلغ علو كل منها (**0.58متر**)، وزخرف بإستعمالِ رسـوماتٍ ومنحوتـاتٍ

---

1 - عمروس فريدة (1999) المباني والطقوس والشعائر الجنائزية للفترة الليبية البونية، جامعة الجزائر: مذكرة ماجستير ، معهد الاثار، ص22.

2 - Camps G (1973) « Nouvelle observation sur l'âge et l'architecture du Medacen, Mausolée royal de numide »,dans C.R.A.I, p480.

3 - Krandel A (2002) op.cit, p100.

4- عمروس فريدة (1999) المرجع نفسه، ص18.

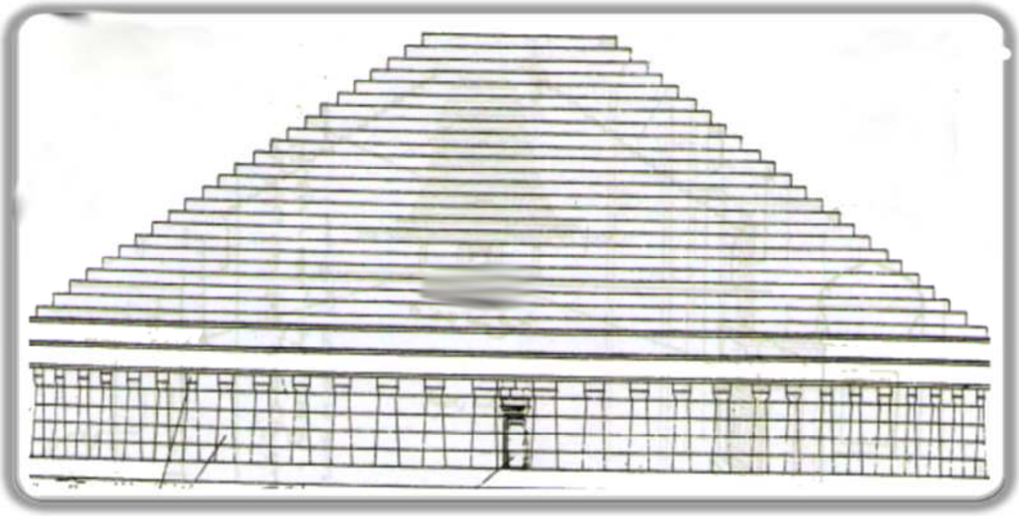
5 - Camps G (1973) ibid, p482.

6 - Cécile C (2003) « deux Mausolée royaux de Numidie », paris: l'Algérie au temps des royaumes numides, V ème Siècle, AV J.C, 1ére Siècle J.C, édit s'arts, p109.

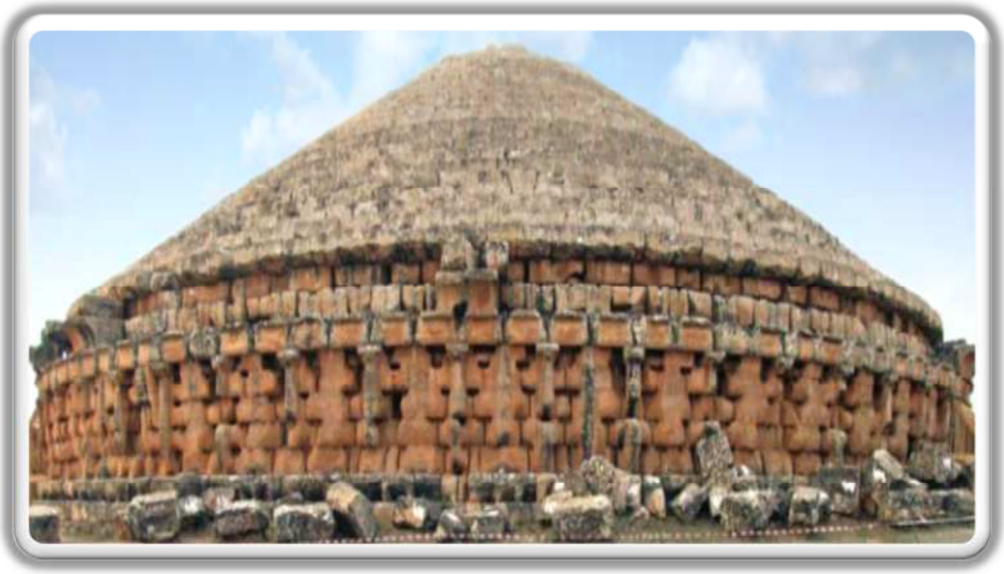
7 - Blas de Roblès JM & Claude S (2003) « Sites et Monuments antiques de l'Algérie», paris: édit Sécum; édisud, pp72-73.

حيوانية وإنسانيةٍ، لكن لم يبقى منها ما يمكن أن يساهِم في إعادةِ تشكيلِها نظرًا للتـــدهور الكـــبير للجُدران الخارجية[1].

وجد المدخل في الجهة الشرقية عند مستوى المدمكة الثالثة من الجزء المخروطي، وقد سد بلوح حجري[2]، يفتح هذا المدخل على سلم يؤدي الى بوابة الغرفة الجنائزية ذات الشكل المستطيل، وهي ذات أبعاد (**3.30متر**) طولاً و (**1.50 متر**) عرضا، أنجزت جدرانها باســـتعمال حجـــارة صـــغيرة، ربطت بينها وطليت بواسطة مِلاطٍ أحمر اللونِ، أما السقفُ فأستُعملتْ فيه أوتاد أَرزية، في حِـــين أن الأرضية فُرشِت بواسطة شظايا وحصَى، ثم غُطيت بطبقة من التراب[3].



(الشكل27) **إعادة تشكيل ضريح المدغاسن**
رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص339.



(الصورة42) **الوضعية الحالية لضريح المدغاسن**
محمد الصغير غانم (2003) المرجع السابق،ص 173.

1 – عبد الرحمان بن مرزوق (1992) « الضريح الملكي النوميدي إمدراسن »، باتنة : مجلة التراث، العدد الخامس، ص ص22-23.

2 - Gsell S(1901) op.cit, p66.
3 - Camps G (1962) op.cit, p201.

ب/- الضريح الملكي الموريطاني : (Mausolée royal de Morétanie)

يُعرف أيضًا عند الأهالي بقبر الرُومية(**Tempeau de la chrétienne**)، يعدُ هذا الضريح من أكبر البناءات الجنائزية في شمال افريقِيا، يقبعُ على قمة إحدى المرتفعاتِ الساحِلِية التي ترتفع بمقـــدارِ (**261متر**) في الطريقِ بين **إيكوزيم**(الجزائرالعاصمة) **ويـــول** (شرشال) [1]، وهو يحتلُ موقعًا استراتيجيًا هاما، جعله يُشرفُ على كامِل الجهة الجنوبِية لسهلِ متِّيجة [2].

أولُ ذكر للمبنى كان لبومبينوس ميلا (**Mela.Pomponius**)، الذي إعتـــبره ضــــريحَ عائلـــةٍ نوميدية ملكية، نُسِب الى يوبا الثاني وزوجته كليوباترا سيليني[3]، ولكن نظرًا لعدمِ وجود نقـــوش واضحةٍ، وأثاث جنائزي داخِل الضريحِ فإن الاثريين وجدُوا صعوبةً كبيرة في تأريخِ الضــــريحِ[4]، لكنهم اتفقوا في ترجيح بناءه في فترة حكم يوبا الثاني(**25 ق.م-23م**) أو فترة سابقة بقليل[5]،وقـــد استدلوا على ترجيحِهِم هذا بالعديد من الدلائِلِ، منها تمثيلاً لا حصراً طُولُ فترة حُكمه (**48 ســـنة**) وهي فترة كافية لإنجاز معلم ضخم كهذا، إضافة الى شُهرتِه بِحُب التُحفِ وتذوقه للفنُون المِعماريـــة خاصة الهِيلينيستِية منها[6].

استمدَّ المبنى طابِعَهُ المعمارِي من البازيناتِ المحلية، وهو يشتركُ مع ضريحِ المدغاسن في الكثيرِ مِن المعالم المعمارية البونية، كالسّاحةِ الموجودة في الجهة الشرقية للضريحِ، والرِواق الذي يقُودنا الى غرفة الأثاث الجنائزي، كما أن كامبس بيّن أن التيجان والأعمدةِ الأيونية الـــتي أُســـتعمِلت في الضــــريحِ كانت ذات طابع قديم، لم يبق إستعمالها إلا في بعض الورشاتِ التي بقيتْ في قرطاجة الى غايةِ القرن الثاني قبل الميلاد، بعدما إندثرتْ في المدن اليونانية بعد الحُروبِ الميدية[7]، إضافة الى الزخرفـــة الـــتي وجدت على الأبواب الوهمية و التي شبهَها (**Salama.P**) بزخرفٍ وجِد على نصبٍ بوني وُجِـــد في دلَّس[8].

---

1 - Blas de Roblès JM & Claude S (2003) op.cit, p73.

2 - رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص101.

3 - بوشناقي منير (1991) المرجع السابق، ص16.

4 - Berbugger M (1867)Tombeau de la chrétienne, Mausolée des Rois Mauritaniens, Alger: édit, coll, Bastide librairie, p30.

5 - رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص122.

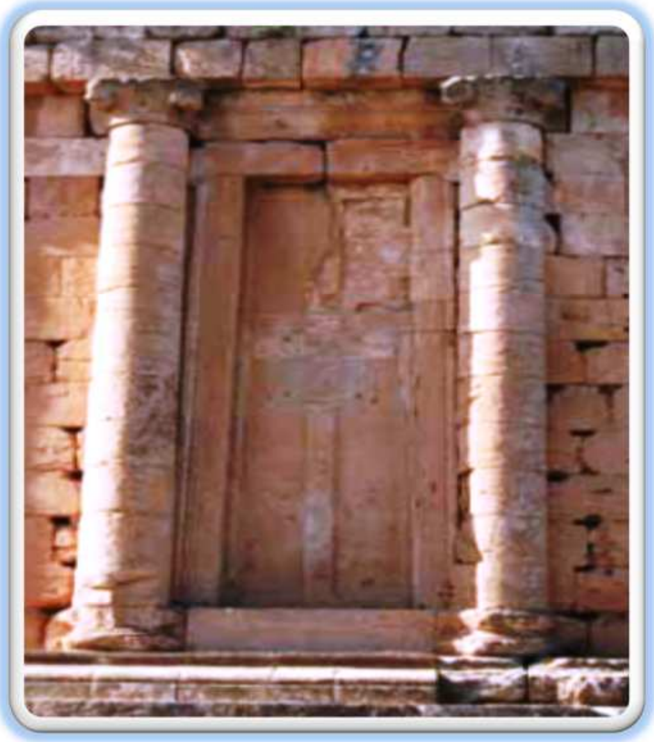
6 - نفسه، ص125.

7 - فتيحة فرحاتي (2007) المرجع السابق، ص 314.

8 - عمروس فريدة (1999) المرجع السابق، ص33.

من حيث الشكل فالمبنى من الخارج ذو شكل إسطواني قطر اسطوانته (**64 متر**) وقاعدة مربعة تبلغ (**63.40 متر**)[1]، بنيت قمته بشكل مخروطي مدرج بإستعمال حجارة مصقولة كبيرة الحجم بإرتفاع (**33 مترا**)[2]، كما عثِّر في الجهاتِ الخارجية الأربعة على أربعة أبواب وهمية[3]، زُخرفت واجهاتها بنحوتٍ بارزة على شكل صليب، إلا أن هذه الزخرفة اندثرت مع مرور الزمن، و لم تبقى أثارها إلا على واجهة الباب الشمالي، لهذا شاع على الضرِيح اسمُ قبر الرُومية نظرًا لتشابهِ الزخرفة مع رمزِ الصليب. (أنظر الصورة43)

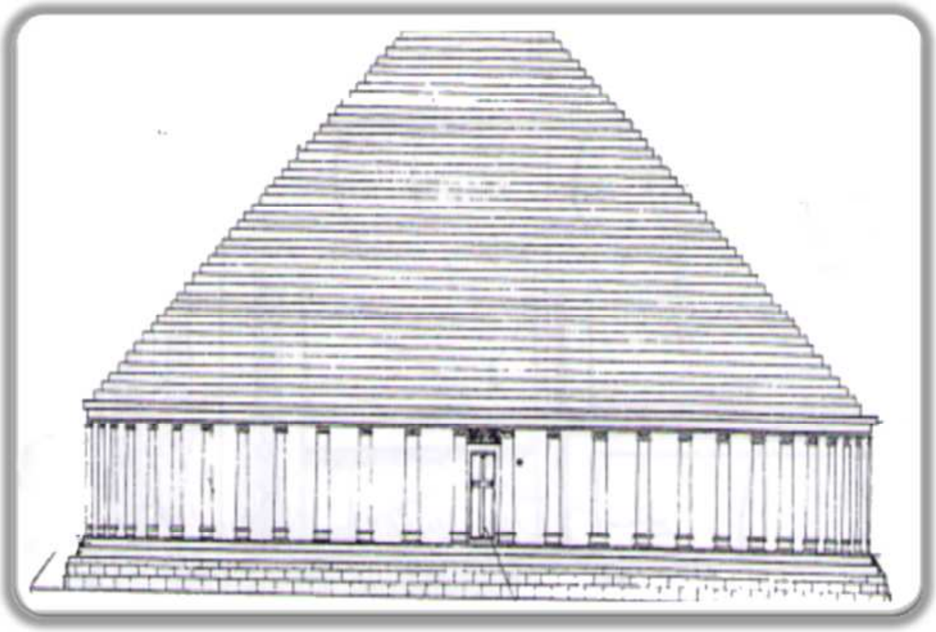
جُهز المبنى بمدخل رئيسي في الجهة الشرقِية تحتَ البابِ الوهمية مثل المدغاسن، يؤدي الى غرفة موجهة نحو الشرق طولها (**4 أمتار**) وعرضها (**3 أمتار**)، أنجزت بحجارة مصقولة، ذاتَ سقف مقبب، سميت هذه الغرفة ببهو الأسُود(**انظر الصورة**) نظراً لنحت الأسد والبؤة البارزين عليها، تؤدِّي هذه الغرفة الى ممر آخر طويلٍ (**149 متر**)وضيق(**0.84 متر**) في شكلٍ دائِري ينحنِي نحو مركزِ الضريحِ ليُفتحَ على الغرفة الجنائْزية [4].



(الصورة43) **أحد الأبواب الوهمية و عليه رمز الصليب**

Bouchenaki M (1991) op.cit, p06.

1 - Alia Krandel (2002) op.cit, 100.
2 - Blas de Roblès JM & Claude S (2003) ibid, p74.
3 - Berbugger M (1867) op.cit, p70.
4 - Camps G (1962) op.cit, p202.



(الشكل28) **إعادة تشكيل الضريح الملكي الموريطاني**
رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص347.



(الصورة44) **الوضعية الحالية للضريح الملكي الموريطاني**
احمد السليماني واخرون (2007) المرجع السابق، ص310.

ج/- ضريح بني رنان (سيغا): Beni-Rhenan

على مُرتفعِ جبل سكُونة (**221 متر**) الذي يطّل على سهلِ واد تافنة وأعالي سيقا[1]، نجد هذا الضريح، وحسب أهمية موقعِ الضريح الذي يهيمِنٌ على أرض شاسعة تمتد أمامه، يُظافُ الى ذلك قربه من سيقا وقيمة الاثاث الجنائزي، جَعَل الباحثين يرجحون أنه ينسب الى سُلالة مُلوكِ المازِيسيل، وهو على الغالِبِ يحتوي داخِله على جُثَّة **فِرْمينا** ابن سيفاكس الذي حكَمَ بعد وفاة ابيه في الأسْر[2].

أخذَ الضريح طابعه المعماري من عدةِ حضاراتٍ حيث يظهر عليه التأثير البوني في التيجَانِ ذات الطراز الأيُوني، والتأثير الهليستيني في الطابق والأعمدة والرأس المنحوت [3]، كما أشير الى شبهه الكبير بالأضرِحة الفينيقية المنتشرة بشمالِ افريقيا، كضريح **هنشير بُورغُو** في تونس وضريحُ صبراته في ليبيا[4] .

من حيث الشكل الخارجي تضمن ثلاثة أجزاءٍ شبه مهدمة لم يبقى فيها الا الجــزء السُــفلي، قاعدته مُشكلة من مدكاتٍ جد مهشمة ذات علو (**0.40**) الى(**0.42متر**)، تأثرت كثيرا بالعوامــل الطبيعية، كما أنه طُمِر بالتراب وتشكلت عليه تلةٌ ذات غطاءٍ نباتي كثيف، بعد إزالة الرُّكام وجمــع العناصر المعمارية المكتشفة أعيد تشكيل هيكل الضريح، مما سمح بظهور الجزء العلوي للمبنى، وهــو ضخم متوج بكرنيش يعلوها في القمة شكل هرمي، قد يصِلُ ارتفاعــه الى (**30 متــر**) [5]، أشــارَ راكوب الى إحتمال حمله لزوج من التماثيل(ذكر وأنثى) رجح أن يمثلا الزوج الملكي[6].

داخِلُ المبنى مكونٌ من مجموعةٍ من القاعات المقببة ذات أبعادٍ مختلفة، مجمعة في ثلاثةِ مجموعــاتٍ وكل مجموعة لها مدخلُها الخاص، هذه الغُرف فُصِلت عن بعضها بواسطَةِ جدران سميكَةٍ نوعًا مــا، هدم بعضها من طرفِ باحِثي الكنوز، القاعات وجدرانها مؤلفة من مدكات يبلــغُ سمكهــا بــين (**0.50**) و (**0.40**متر)، وعند مُستواها تبدأ القبة، ولا تحتَوي هذه الجدرانِ على أساس[7]، وقد عثر داخل هذه الغرف على أثاثٍ جنائزي يتمثل في بعض أجزاء الأنفُورات، وكذِا بعضُ أجزاءِ الفخّــار المؤرخ الى القرنِ الثالِث والثاني قبل الميلاد وبعضُ الاجزاءِ الزجاجية وقطعةٍ من الرصــاصِ ونقــش

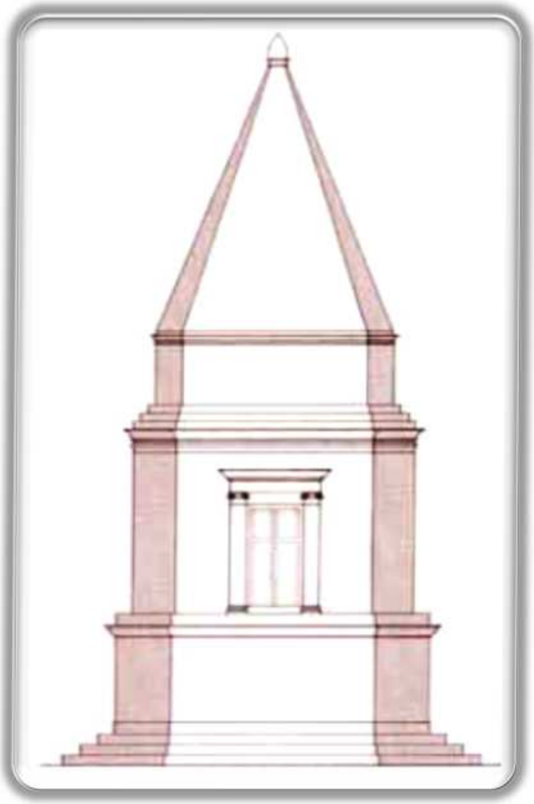
---

1 - Vuillement G (1964) « Fouille du Monument de Beni-Renan en Oranie » dans C.R.A.I, p64.
2 - Camps G (1994) « Mausolée princiers du Numidie et Mauritanie » dans R. Arch, p57.
3- Vuillement G (1964) ibid, p90.
4 - Camps G (1994) ibid, p54.
5 - ibid, p55.
6 - Rakob F (1979) «Nomadische Kœnigs Architektur in Nord Afrika » , Bonn : dans Die numider, p151.
7 - Vuillement G (1964) ibid, p75.

بونيقي غير كامل، أما أهمُ الأدوات الثمينة فقد أخذت من طرف باحِثِي الكنوز، ولا يمكن وصف الأثاث كونه مكسَّر، ومبعثر عبر القاعَاِت وخارِجها في الأروقة[1]، كما تم العثورُ على عظام انسانٍ عبر مختلف القاعاتِ[2].



(الصورة45) **الوضعية الحالية لضريح سيغا بني رنان**
www.Vitamin.dz



(الشكل29) **إعادة تشكيل ضريح بني رنان**
رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص364.

1 - Vuillement G (1964) op.cit, p85.
2 - ibid (1964) p80.

د/- ضريح دوقـــــــة : (Dougga)

نظرا لإحتفاظِه بالطابقين الأول والثاني كاملين، وجزء من الطابِق الثالث[1] لإن هذا الضـــريحَ أعتبر أفضل نموذج للضريح الملكِي النوميدي، وهو يقع في جنوب شرق المدينة الأثرية دوقة، كمَـــا اشتهر بالكتابَةِ المزدوجة الليبية البُونية، التي عثر عليها في الواجهِة الشرقية للمبنى، غير أنهـــا ليســـتْ كاملة و لم يبق فيه إلا القسمُ الذي كتب عليه اسماءِ العمال الذين ساهموا في بناءِه [2].

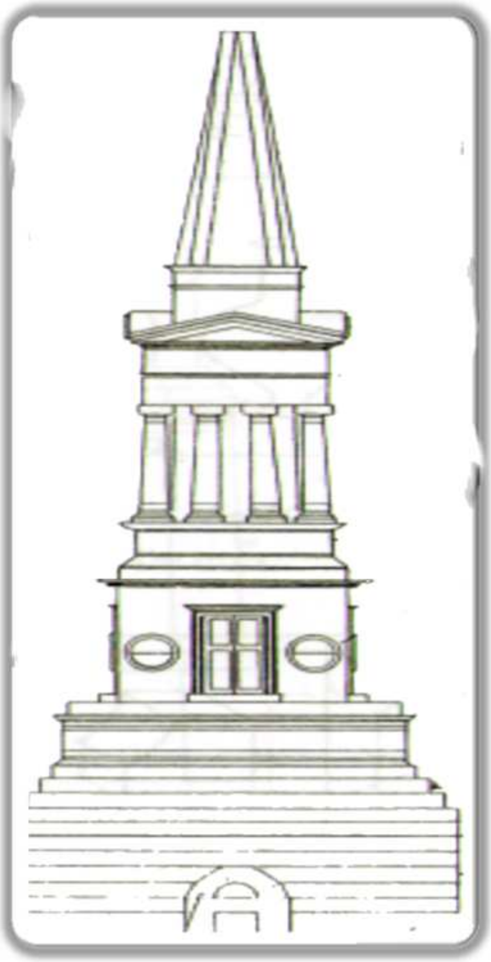
استمد الضريحُ طابعه المعماري من عدة حضاراتٍ، فيظهر هناك مزج معماري مـــن أشـــكال إغريقية وشرقية ومصرية، من خلال الرسوماتِ والنقوشِ المستعملة في المبنى الدالّة على عتاقةِ الضريح والذي يعودُ تأريخه الى القرنِ الثاني قبل الميلاد، حسب مُحتوى النقش.

من حيث الشكل الخارجي فالضريح يتكون من ثلاثة طوابقٍ بإرتفاعِ (**21 متر**)، وقد انجز علـــى قاعدة مربعةِ الشَّكل، وزُخرف برسُوماتٍ حيوانية كالأسدِ الذي رمز الى الشمس، كما يوجد على واجهةِ الضريح تمثال في شكل عربةٍ تحملُ فارسين، أما الطابق الثاني من الضريح فقد أقيم على ثلاثةِ مدكاتٍ تنتهي بعنق مصري وتظهر على على أعمدة الزوايا تماثيل تحمل فرسانا[3]، أما الطابق الثالث فبني في شكل هرمِي يحتوي على أربعةِ زوايا زُينت بتماثيلٍ لأربعةِ نساء مجنحة، ويحمِلن في أيـــدِيهن شيئا ما يشبه الكُرة، وأما القمة الهرمية فزينت بتمثال لأسدٍ جالسٍ على قوائمهِ الخلفية [4].

في داخِل المبنى وُجدت مجموعةٌ من الغرفِ الجنائزية مُستطيلة الشَّكل، خُصصت من أجل جمـــعِ الأثاث الجنائزي الذي قدم للميت، وأغلبها موجهة نحو الشرق، ويَعتقـــد **بوانســـو (C.Poinssot)** بوجود مذبح للضريح، لكن مع ذلك لم يعد له أثر [5].

1 - Krandel A (2002) op cit, p30.
2 - ibid, p105.
3 - luck.cit.

4 - حارش محمد الهادي (1995) المرجع السابق، ص171.
5 - Poinssot C (1958) » les ruines de Dougga», Tunis: dans Institut National d'archéologie et d'art , pp58-59.



(الشكل30) **إعادة تشكيل لضريح دوقة**
رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص360.



(الصورة46) **الوضعية الحالية لضريح دوقة**
Tlatli SE (1978) op.cit, p160.

هـ/- ضريح الخـــروب : **(le Maudolée de Khroub)**

يقع ضريحُ الخروب على كتلةٍ صخريةٍ على بعد ثلاثةِ كلمترات غرب مدينة الخرُوب، وعلـــى بعد **14 كلم** من مدينة سِيرتا، ويُعرف عندَ السُّكان المحليين **بصومعة الخروب**[1] والتي تعني البُرج[2].

حسبَ العناصِر المعمارية التي بُني بها ضريحُ الخرُوب والتقنياتِ المتبعة فيه فانه اخذ طابعًا بونيقيا اغريقيا، حيث تظهر التأثيرات في عدة تقنيات منها الطوابق، التيجان الدورية، المقصُورة المعمّـــدة، و الكُرنيش ذاتِ العُنق المصري الذي أُشتهر به القرطاجُيون[3]، بإســـتعمالِه بالإضـــافة الى العـــاداتِ الجنائزية التي مورست داخل صومعة الخرُوب، خاصةً عادةُ الحرقِ الجزئي لتجريد الجُثة من اللَّحـــم، والحرقُ الكامِل[4]، وهما عادتانِ عرفُهما النُوميديون بعد إحتكاكِهم بالطبقةِ الارُستقراطِية الفينيقية .

يعودُ تاريخُ بناء الضريحُ الى ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد[5]، وهو ما يشير اليه أيضا قزال[6]، و ينسبه بالو (**A.Ballu**) الى أشهر ملوكِ نوميديا العاهِل ماسينيسا(**203–148 ق.م**) [7] ، ونفس التوجه نجده عند بونال(**M.Bonnel**)، الذي يرى في الضريحِ أنه لا يُمكن الا أن يكونَ قـــبرًا لأحد الملوك ذوي القمة والنفوذ ورجّح الملك ماسِينيسا [8].

من حيث الشَّكل الخارجي فالضريحُ بني بحجارةٍ مصقولةٍ ومنحوتَةٍ من كل جوانِبـــها، علـــى قاعدة رباعية الشكل يبلغ طول الضلع منها (**10.50 متر**)، أما الارتفاعُ الاجمالي للقاعدة يبلغ(**2.35 متـــر**)، ويرتكز على هذه الكتلة الحجرية الطابقُ الأول للمبنى الذي لم يبقَ منـــه إلا أربعـــة أجـــزاء موضوعة في الزوايا الاربعة للمُربع زُيّنت هذه الاجزاء بأقراصٍ بارزةٍ ترمُزُ الى الشمس[9] .

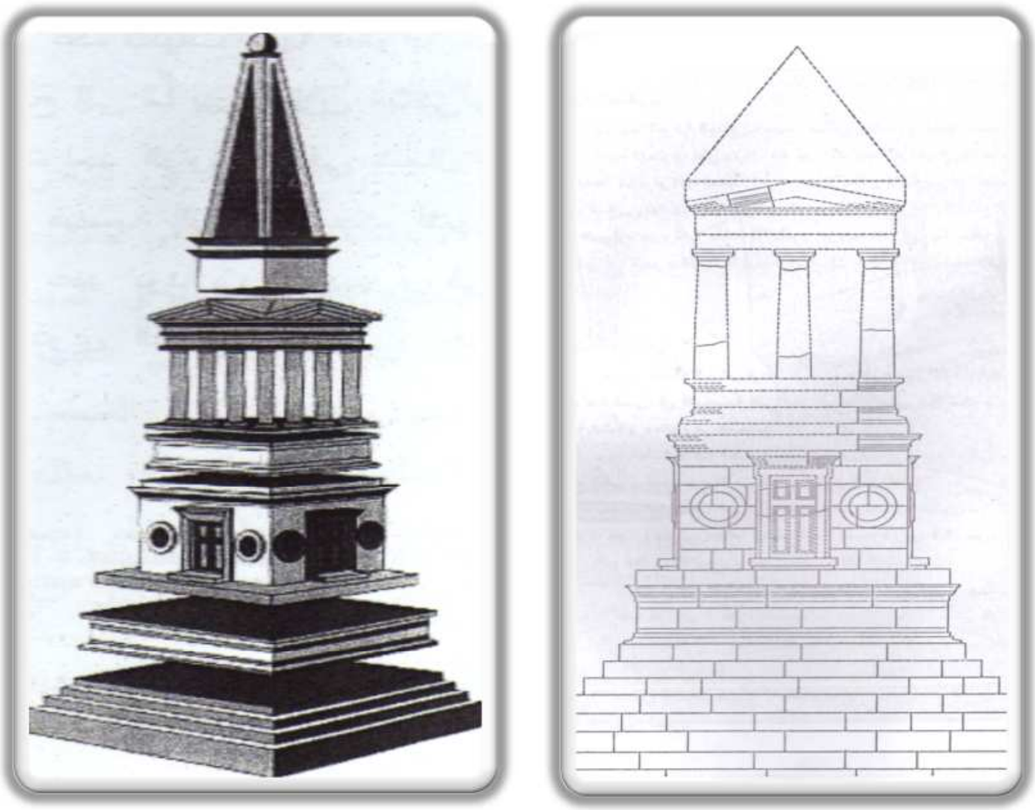
أما الطابُق الثاني فهو عبارةٌ عن مقصورةٍ مكونة من مجموعةٍ من الاعمدةِ الدورية، قد يكمُـــن دورها في أنها أوتْ تمثالا أو عدة تماثيلٍ للآلهة، أما الجزء العُلوي للمبنى فقد تحطم، لـــذلِك حـــاول

---

1 - Bonnel M (1916) « monument gréco-punique de la Souma », dans : R.C, T49, p168.
2- فتيحة فرحاتي (2007) المرجع السابق، ص311.
3 - Gsell S (1901) ,op.cit, 64.
4 - Bonnel M(1916) op.cit, p175.
5 - Charbonneau (1862) « le Mausolée se Khruob » dans annuaire de province de Constantine, p64.
6 - Gsell S (1901) ibid, p64.
7 - Ballu A (1929) « le Kharoub dans Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidation »,dans B.C.T.H, p28.
8 - Bonnel M(1916) ibid, p171.
9 - luk.cit, p173.

بعضُ الأثريين تحديدَ تصميم قمة الضريحِ إنطلاقا من البقايا المعمارية المُتناثرة[1]، فأعــادُوا بــذلك تشكيلَ الجهات المُثلثية من كل الجوانِبِ، التي بلغِ ارتفاع كل جهةٍ منها حوالي (**6 أمتار**) تم تسقيفها ببلاطات حجرية كبيرة متصلة فبما بينها بقطع من معدن قد يكــون الرصــاص، وتُشــكل هــذه الواجِهات هرمًا ارتفاعه حوالي **تسعة أمتار** ليكون الارتفاع الاجمالي للضريح حوالي (**30 متر**)[2].

في الجزءِ الداخلي من الضريحِ عُثِر على الغرفة الجنائزيةِ، تحديدًا على عمقٍ يصــل الى حــوالي (**0.60 متر**) تحت اسُسِ القاعدة، وقد قُسّمت الى ثلاثِ اجزاءٍ متفاوتة الابعادِ، واحتوتْ على كــمٍّ كبيرٍ من الاثاثِ الجنائِزي،كالجِرارِ الفخارية التي أحتوتْ بعضٌ منها على عظامٍ نصف محروقة، كمــا تم العثور على بعض الاواني الفضية، و بقايا اسلحةٍ وميداليةٍ برونزيةٍ تحمل صورةَ الاله نبتونوس[3].



(الشكل31)**إعادة تشكيل ضريح الخروب**

Lancel S (2003) l'Algerie antique de Massinissa à saint augustin, paris: édit Menger, p42.

1 - Gsell S (1901) op.cit, p62.

2 - Aïbeche Y(2003) « Le mausolée royal de la Soumâa: L'Algérie au temps des royaumes numide. Djazaïr », paris :une année de l'Algérie en France, pp 97-100.

3 - رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص213.



(الصورة47) **الوضعية الحالية لضريح الخروب**
www.algerietoday.com

ثالثا: - بقايا المعتقدات القديمة عند المجتمعات المغاربية حاليا:

يُخطِأ الكثيرون عندما يعتقدِون بزوالِ المعتقداتِ الوثنية المغاربية القديمة، فقد لَزِم الفكر الخُــرافي عقول أسلافنا وما زال سارِي المفعول الى أيامِنا هذه، فبعضُ المعتقداتِ الوثنية القديمة حاضرةً بقــوة في تراثِنا وفي معتقداتنا، وقد كانَ الى وقتٍ قريب احتقارُ بعضها أو عدم الايمان بها ضربًا من الكُفــرِ والمجون، حتى أن من لا يؤديها كأنه ترك فرضًا من فروض الاسلام، بل ويُصبح منبوذًا خاصةً مــن طرف كبار السِّن، رغم التقدمِ التكنولوجِي وبلُوغِ مراحِلٍ عاليةٍ من الحضارةِ والتقدم.

كثيرًا ما نسمعُ كلاما يدل على بقاء تقديسِ الطبيعة، ففي منطقة أولادِ نائل (الجلفة وبوســعادة والأجزاء الشرقية من الأغواط وتيارت) تذهبُ كثير من العجائِز عند قيام عائلة ما بترهة قرب جبل، الى كومة من الحجارة المتراصفة فوق بعضها (الحويطة)، وتأخذ معَهَا نذرًا يسيرًا من غذاءٍ أو زيتٍ أو قهوة، ثم ترش المكان به وهي تتمتم بكلام من مثل (**بركاتكم، مسَّلمين مكتفين**) وهو مــا يؤكــدُ استمرارِ قدسية الجبل واستمرارِ ممارسةِ الطقوسِ منذ ما قبل التاريخ مرورا بالفترات البونية والرُومانية ووصولا الى طقوس الفترة الاسلاميةِ المرابطيةِ حاليًا، فهو حالِيا مسكن لأرواحِ الأولياءِ الصالحين أو مسكنٌ للأرواح (الجْنُونْ)، فالجبل المطل على القل هو جبل **سيدي عاشور**، والُمطلُ على ام البــواقِي **سيدي رغيس** وغيرهما الكثيرُ من الجبالِ التي سُميت على أسماءِ الصالِحين[1].

وقد أشار كامبس(**Camps**) أن المقصودَ هنا هُم الارواح الحارِسة للمكان (العساس) التي ترجمها الى لفظ **(Gardiens)** [2] .

كما أن بعض الريفيين في ريف المغرب الاقصى، و على أطراف ولاية بشّار مارسُوا الى وقــتٍ قريب طقوسًا وثنية لاستعطافِ السماء عند انقطاعِ الغيث، وهذه الطُقوس مُمثلة في عادةِ الطــواف بعروسِ المطر(**Taslit.N'ou.anza**)، وهي طُقوسٌ أرجعها العديدُ من الباحِثين الى العُصور الوثنية القديمة التي سادتْ بالمنطقة .

كما أن الأولاد في منطقة الجلفة والاغواط وبوسعادة يرددون عفويا أغاني لاستترال المطر(صُب صُب يالمطر ونشريلك كبش بقرونوا)، وهي على الغالبِ طقوسٌ ترجعُ الى فتراتٍ قديمة خاصــةً وأنها قرنت بمقدس آخر هو الكبش، وعادةً ما ترش الارضياتُ وعتباتُ المنازلِ بالماء والملح في مواسمٍ

1 - عقون محمد العربي (2008) الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص236.
2 - Camps G(1980), p197.

معينة، وغالبا يكون ذلك الرش رمزيًا، إذ تبقى غبار العتباتِ على حاله تقريبا، وقد تساءلنا كثيرا: هل المقصود بذلِك أن تبرد الأرضِ ويُزال الغبار؟ أم لذلك مدلولا ت أكثر عمقا ورمزية؟.

ولا تزال عادةُ وضع الأشرطَةِ على أغصانِ أشجارِ معينةٍ للتقرب منها حية في مناطق متفرقة من شمال افريقيا[1]، فالإلهة فرنانة بعين الدراهم التونسية و لالة عيشوشة بمنطقة القبائلِ وسدرة المُنوْشَة بعين وسارة،كلها أشجار تلجأ اليها العجائز بداية الربيع طلبًا للشفاء من المرض الذي يعانونه أو طلبا للنجاحِ أو الأولادِ أو أي غاية أخرى، أما الحجارةُ فيتم تكدِيسها على مصطبةٍ حجريةٍ في الأرياف، مع إشعال الشموع الملونة ومجمرات البخور[2]، ثم البدء بتراتيل معينة عادة ما تبدأ بـ"**سيدي فلان**"، وغيرها من الالفاظ التي تحمل دلالاتِ الرضوخِ والتبعيةِ، لدرجةِ أن بعضِ النِساء يأخذنَ بعضا منها لاستعمالها عندما يشعرن بألم في البطن بعد تسخِينها.

و تمنع الامهاتُ أطفالهُن من الاغتسالِ عند غروبِ الشمس أو غسلِ الملابس أو تنظِيفِ المنزلِ، وذلك لاعتقادهم الراسخ بأنهن يعدن اللعنة والجن، ربما يعود أصل ذلك الى رواسِبِ عبادة الشّمسِ التي يجب احترامها عندما تغيب وذلك بعدم القيامِ بالأعمالِ المنزلية والتقليلِ من النشاطِ .

ومن بين بقايا المعتقداتِ القديمة أيضًا هُناك الخُمسة (**يد تانيت**) ورمز العين المفتوحة، وهي من التعاويذ المشهورةِ جدًا والتي تحمل العديدَ من المعاني السحرية الروحية، والتي لانزالُ إلى اليوم نلمِسها ونراها في إفريقيا الشمالية بشكل كثيف، خصوصا على الأبوابِ الخلفية للشاحناتِ، وهي تُرسم أيضاً على عضادتي الباب (جانبي الباب)، كما تُصنع ببراعة من المجوهرات(**انظر الصور48**)، وهي تعرف عموماً باسم (**يد فاطمة الزهراء**) أو(**الخميسة**)، كمالا ننسى أيضا ذيل السمكةِ،(بعبوص الحوتة) وهي تعويذة أخرى تحمي من الحسد مازال بعض الصيادين في شمالِ افريقيا يُعلِقونها في مراكبهم، وهي رمزٌ للإله بوصيدون اله البحر.

يوجد أيضًا عادة تثبيت قرني الثور على أحد جدران المنزلِ، وهي في الاصل رمز لإله الحرب قورزيل وعادة ما اعتقد بطردها لاعين الحُساد، لازالت تُوضع في واجهة المنازل بشكل بارز، أما الشباب فكثير منهم يتزين بتمائم في شكل قرن غزال صغير، أو منقار طير أو ظفيرةٍ من شعر الحيوانِ لإبعاد الشر والعين الحسود، وذلك دليلٌ على بقاء الايمان بنوع من الطوطمِية، كما أن الانسانِ

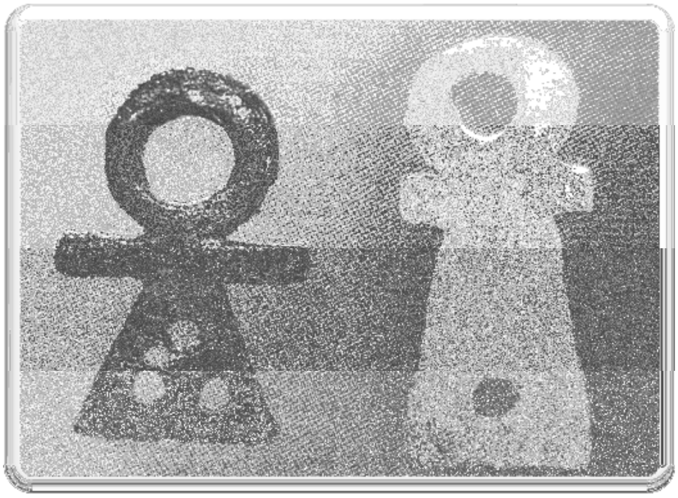
1 - Ben Abou M (1975) La résistance Africaine a la romanisation, paris: édit. Maspero F, p253.

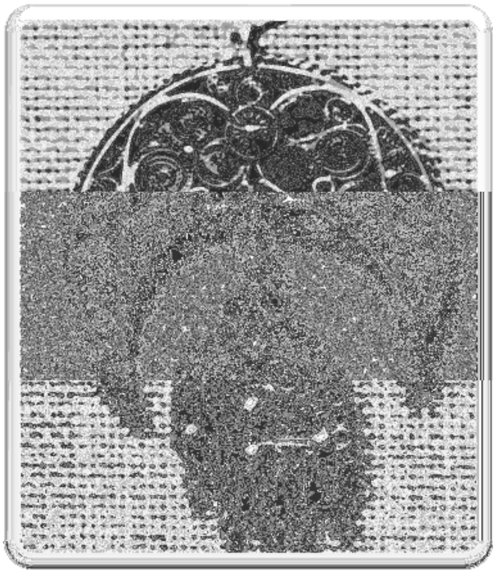
2 - محمد الصغير غانم (2005) المرجع السابق، ص66.

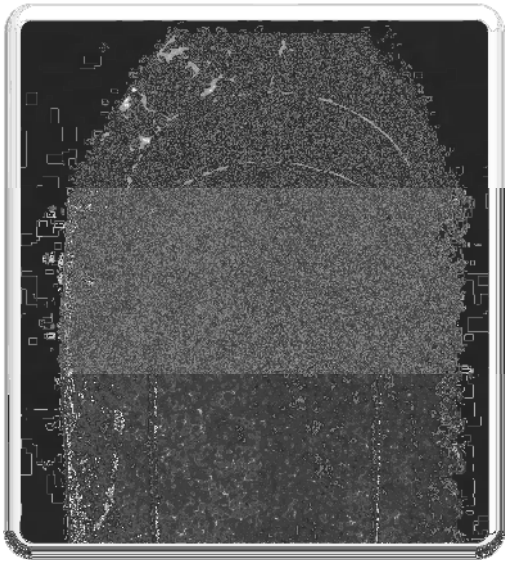
القروي الذي يُربي الغنم لا يزال يقدِّس ويحترم قرونَ كبشِ الاضحيةِ ويحتفظ بها في بيته اعتقادًا منـــه انها تقيه من العَين.

أما قُوةُ الأفراد في إنجاز المعجزاتِ فهي شائعة وسط سكانِ المغربِ، فأولئك الأولياءُ الصالحِين أو (**ايقورا — من**) كما أشرنا اليهم سابقًا يقال بأنهم يمتلكون البركةِ، ويشتقون قوتهم الروحانيـــة مـــن وسيط مقدس، قد يشمل ذلك القدرة على الطيران المباشر بدون وسائط ميكانيكية لمسافات بعيدة، بقيت أثار أرجلهم على الحجارة التي طاروا عليها شاهدا عليهم في اعتقاد السكانِ المحلـــيين، ففِـــي منطقة الشارِف بالجلفة تزورُ النُسوة حجرًا يعتقدن أن **سيدي عبد العزيز** قد استعملَهُ في طيرانِه أثنـــاء حجه، هذا ولاتزال مآدب الطعام التي تقام على شرفِ الامواتِ حية في مناطق عديدة مـــن بـــلاد المغرب، ويطلق حاليا عليها اسم "**طعمة الاولياء والاسياد الصـــالحين**" وهي تُذكُرنا بما وجد بجوار كثير من الجثوات القديمة (ما يعرف الأن بالمزارة ،قبور الجهلاء ،الحويطة...) [(1)] من اثارٍ لمواقِدٍ وفحـــمٍ تدل على بقايا مآدب جنائزية[2] (**أنظر الصورة49**).

1 - رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص20.
2 - عزيز طارق ساحد(2009) المرجع السابق ص ص535- 536.













(الصور 48) **التشابه بين رمز تانيت** (**أعلى**) **و بعض الحلي الحالية** (**أسفل**)
صور مجمعة من الانترنت



عجوز وحفيدتها عند شجرة مقدسة



(الصورة49) **جثوة في الأوراس تستخدم كولي صالح حاليا**
عزيز طارق ساحد (2009) المرجع السابق، ص539.

من خِلالِ ما تقدم في هذا الفصل يُمكننا أن نُشير الى أهمِ النقاط التالية :

*- زاوج النوميديون بين الهتهم الرئيسية التي عبدوها وبين الهة القرطاجيين، نتيجة التشابه الكبيرِ في خصائِصها وأدوارِها، إضافةً الى ميلِها الى الطبيعة التي قدسها النُوميديون.

*- لم تقتصر التأثيرات القرطاجية الدينية على المناطق النومِيدية القريبة من قرطاجَة أو إحدى المستوطنات التابعة لها على طُول الشريط الساحلي، لكنها انتشرتْ الى مناطق داخِلية أبعد كـ**سيرتا** **Cirta**.

*- ظهر بعل حمُّون ورفيقته تانيت بني بعل كأهم الالهة البُونية في نوميديا، وانتشرت الاهداءات والنذر المقدمة لهما في أغلب المدن النوميدية، وما انتشار أنصابِهِما بالألافِ الا دليلٌ على تجذُّرهما وقوة تأثيرِهما في النوميديين.

*- رغم النظريات الكثيرة الا أن أصل حمُّون وتانيت لايزال غامضًا ينتظر المزيدِ من البحوثِ الاثارية.

*- بعد إحراقِ قرطاجة بقيت المعتقداتُ البونية لفترةٍ طويلةٍ ممارسة بقوة في أوساطِ النوميديين، حتى التضحيات البشريةِ التي كانت تجلب لمقدمها عقوبة الاعدام.

*- أشير في العديد من المراجع الحديثة الى أن تقبل النوميديين بيسر الدين المسيحي ومِن بعده الاسلام، كان بسبب إيمانِهم بوجود اله أكبر في الفترة البونية.

*- ان استمرار هذه المعتقدات الى وقتنا الحالي مع اضفاءِ غطاءٍ اسلامي عليه يبين تجذر المعتقدات الدينية الطبيعية في حياة السُكانِ القدماء.

*- يعود تاريخ بناء معظم الأضرحة الى الفترة الممتدةِ من القرنِ الثالثِ قبل المِيلاد الى القرنِ الاول ميلادي، وهي الفترةُ التي بدأت خلالها الشُعوبُ الليبية تُشكل ممالك احتكتْ مع الحضارات المجاورة لها ودخلت في أهم أحداث التاريخ التي ميزت منطقة البحر الابيض.

*- الحالة المتدهورة التي يعاني منها أغلب المعابد والاضرحة يبين عدم الاكتراثِ لخطر ضياعِ التراث خاصةً المصنف منها عالميًا، فهي تعاني الاهمال و تفتقد سياسةً رشيدةً لأجل النهوض بها، وتطلعنا العديد من الجرائد عن الواقع المرير الذي تعيشه هذه الاثار من مثل:
- "معالم أثرية تتعرض للنهب والتخريب"[1]، - " أهم موقع أثري في الجزائر يغتاله الاهمال"[2] وغيرها من المقالات .

1- سجية .ب، «معالم أثرية تتعرض للنهب والتخريب » جريدة الخبر، ع 4201 (26-09-2004)، السنة 13، ص19.
2- رضوان ع، « أهم موقع أثري في الجزائر يغتاله الاهمال» جريدة الخبر،ع4475(16-08-2005)،السنة14، ص15.

الخاتمة

تناولت في هذه الدراسة موضوع الحُضور الديني البُوني في نوميديا في الفترة التي شهدتْ حياة الإمبراطورية القرطاجية (**814ق.م-146ق.م**)، و قد انطلقتْ الدراسة من تقديم لمحةٍ تاريخية عن الشـعبين القرطـاجي والنوميدي، من خلالِ التطرقِ الى مختلف نظرياتِ أصول الفينيقيين، مرورًا بتأسيسهم لمدن قارة على السـاحل السُوري ثم توجههم نحو البحرِ الأبيض المتوسِط، وإنتهاءًا بتأسيس أكبر وأهمُ مدنهم في الغرب (قرطاجة)، مـع إعطاء لمحة سياسية و عسكرية عنها، وقد خرجنا بمجموعةٍ من النتائِج لعل أهمها تمثل في:

- كان الخِلاف العائلِي الملكي في صُور سبباً لإنشاء أكبر وأهم الإمبراطورياتِ الـتي صـنعتْ التـاريخ الإنساني القديم، ساعدَها في ذلك الموقع الجغرافي الممتاز.
- كان تأسيسُ الفينيقيين أولَ الأمر ثم القرطاجِيين فيما بعد للعديدِ مِن المحطات والمراكز التجارية علـى سواحل افريقيا الشمالية دور هامٌ في التقاءِ العناصِر الفينيقية النُوميدية، لتنشأَ بذلِك علاقاتٍ متنوعة، سـتكُون فيما بعد السبَبَ الرئِيسي في نقل التأثيراتِ الدينية.
- تبين أيضًا خطأ إطلاق اسم النُوماد الذي يعني الرحّالة على النُوميديين، هؤلاءِ الذين بيَّنت الدراسـاتُ الحديثة أنهم كانوا مستقرين في مدن معلومة، ولهم تنظيماتهم السياسية وعلاقاتهم الخارجية وملوكهم.
- تشكلت في فترات مُتقطعة من تارِيخنا القديم ممالك نوميدية موحدة بقيادة ملوك أقوياء كماسينيسـا و سيفاقس، ولولا أطماع بعض المُلوك في الحُكم، والمؤامراتِ الخارجية التي حاكَتها قرطاجة وروما حفاظًا علـى مصالحها، لكان لأسلافِنا حضوراً أحسن ممَّا كان.
- تبين أنه من الحقائق العتيدة التي لاشك فيها، أن المغربِ القديم كانَ لا يقِلُ شأنًا عن بقيةِ مناطِقِ العالم سواء في التفكير الديني أو مُمارساته الشعائِرية، دليلُ ذلك بقايَا حضارةِ عين الحنش الـتي تعـود إلى مليُـون وسبعمائة ألف سنة قبل الميلاد، و أضرحةِ الِمدغِاسن ودُوقة وسِيقا والضّريح المُوريتاني وصومَعة الخروب الـتي ماثلت بناءات حضارات العالم القديم، لكنِ ما ذنبُ التاريخ إذا كان الإنسانُ لا يعِيه، فرُغم وصُولِ شَيشـنقْ وأحفاده إلى عرش الفراعنة، ووُصُول سَبتيم سيفروس وأحفادِهِ إلى عرش روما، إلا أن الكثير منا لا يعرِفُ حتَّى أسمائهم أو هويتهم.

كما بيّنتِ الدراسةُ في موضعٍ آخر، أن الفترةَ السابِقة للاستقرارِ الفِينيقِي بِشمالِ افرِيقِيا كانَـت مرحلـةً مهمّةً عرفت ممارسات دينية محلية متنوعة، مثلتها تعدد طرق الدفن وتقديم مختلف أنواع القرابين، كما شهدت تقديس المغاربي القديم في مرحلة أولى تقديس مظاهِرِ الطبيعة لتلِيها مرحلة تقديسِ الحيواناتِ التي قاسمها بيئـةَ عيشه، وقد أمكننا استخلاصُ عديدِ النتائِج منها:

- على عكسْ الادعاءِ السّائِد لدى بعضِ المُؤرخِين القُدماء والمُحدثِين، لم يكُـــن النُومِيـــديُون مُجــرَّد مستقبلين لحضارات غيرهم، يتأثرُون ولا يُؤثِرون، يقلِّدُون ولا يُبدعُون، بل احتفظُوا بالعَديدِ مِـــن معتقـــداتهم المحلية الأصيلة،كما أثْرَوا معتقداتِ جيرانهم بآلهتهم وطقوسهم الدينية كآمون وتنيت وغيرهما.

- كغيرها من الحضارات القديمة، كانت البدايات الاولى لنشأة الدين في المغرب القديم بدائية بسيطة، ثم توالت عديد المراحل الدينية كالطبيعية و الطوطمية، ثم التشخيصية لتصل أخيرا الى مرحلة التوحيد.

- ايمان المغاربي القديم بالحياة الثانية، وذلك يظهر جليا من خلال اهتمامه ببناء القبور كالتلال الجنائزية و البازينات والمصاطب ثم القبور المزخرفة كالمدغاسن والرومية، إضافة إلى تقديم للقرابين وإقامـــة للاحتفـــالات المصاحبة، مع اعتمادِ توجيه القُبُور من الشرقِ الى الغربِ، وبوضعِ أدواتٍ منوّعة من فخارياتٍ وحُلي وغيرهما، على أمل أن ينتفع بها الميت في حياته الثانية.

- يُمكن القولُ أن المغارِبي القديم لم يقدس الحيوانَ لذاته، ولكنَّهُ وجد فيه روحًا ساميةً سكنتها، تمثلـــت في روحِ ربه التي حلّت في ذلِك الكبش أو ذلِك الطير أو غيرهُما من باقِي الحيوانات.

- بينت محطات الرسوم الصخرية في التاسيلي ناجر و في الأطلس الصَّحراوِي الجانب الـــديني للقـــدماء، كما دلَّت بما لا يدعُ مجالاً للشك، أن الكبشَ من المقدساتِ الأصيلةِ في بلادِ المغربِ القديم وليس كما إدَّعـــى بعض المؤرخين أنه وافد أجنبي، وتحديدا من مصر الفرعونية.

قدمت الدراسة كذلك خلاصةً لأهم المعتقدات القرطاجية، من طقوس دينية وجنائزية، آلهة و معابـــد، ثم فصلت في دور مختلف العلاقات التي جمعت الشعبين الجارين النوميدي والقرطاجي، والـــتي كـــان للجانـــب الاقتصادِي مِنها التأثير الأكبرُ والأوضحُ، وقد تمكنتُ من حصرِ بعض النتائِج المهمة في:

- كانت معظم المعتقدات الفينيقية مرتبطة بالمظاهر الطبيعية، شأنها شأن أغلب معتقـــدات الحضـــارات القديمة، كما عُرفت في الساحل الغربي للبحرِ الأبيضِ المتوسط باتحادها في ثنائيات وثلاثيات ضمانا لتقويتـــها وزيادة نفوذها.

- تعارفِ الفِينيقيُون و النُوميد أوَّل الأمر بعد تعامُلِهم التِّجاري، هذا التعامل الذي مهد لروابط وعلاقات متعددة، شملت جوانب السياسة والمجتمع وغيرهما، وقد كانَت هذه العلاقاتُ من بين أهمِ العوامل التي ســـهلت خلق حضارة مميزة، جمعت بين خصائص الحضارتين عرفت في كتب التاريخ بالحضارة البُونيقية، هذهِ الحضارة التي زادتْ ثراءا بالتأثيراتِ المصرية والهلنستية،كما امتدتْ خارِج قرطاجة إلى مُختلِف مناطِق شمالِ إفريقِيا رغم

أن تأثيرها كان أقوى في المنطقةِ الشرقيةِ لبلادنا، لدرجةِ اعتبارِ المملكة النومِيدية المحافِظ الوفي لهذِه الحضارةِ بعد تدميرِ قرطاجة.

– زاوجَ البونيون بين الآلهة الرئِيسية النُوميدية وبين آلِهة القرطاجِيين، مُستغلين تشابه خصائِصِها وأدوارَهـــا، إضافة الى ميلها الى الطبيعةِ التي قدسَّها النُوميديون و القرطاجِيون على حدٍّ سواء.

أخيرا، فصَّل البحثُ في مواضعِ التأثير الديني القرطاجي في نوميديا، بدءا بأهم الالهة البونية والتي مثلها بعل حمون وتانيت، إضافة الى مواضع التأثير الأخرى كالطقوس الدينية والجنائزية وتقديم القرابين، كما أشـــرت في آخر جزء من هذا الفصل الى التأثير في الأضرحة النوميدية الشهيرة كالمدغاسن والخروب والضـــريح الملكـــي الموريتاني، ولقد لخصنا أهم ما استخلصناه في:

– انتشرت الاهداءات والنُذُّر المقدمة لبعل حمُّون و تانيت بني بعل في أغلب المُدن البونية والنوميدية بـــالألاف، مما دل على كونِهما أهم الالهة البونِية في نوميديا، كما دلَّ على قـــوة تجـــذرهما وقـــوة تأثيرهمـــا في نفـــوس النوميديين،كما انتشرت أيضا التقاليد الجنائزية البونية في نوميديا خاصة تقديم القرابِين البشرية، هذا الطقـــس الذي رُغم التحفظاتِ التي أثيرت حولهُ، إلا أن الأنصاب التي وُجدت تُـــرجِح احتمـــال مُمارســـته أوســـاطَ النُوميديين المُتأثرين بالحضارةِ البُونية.

– عرف كلٌّ من بعل حمُّون وتانيت في الأنصاب برموز خاصة، ولكل رمز أهميته ومكانه على النصب الذي تشغله، لكن أغلبها حملت صفات القوة والخصوبة والتكاثر، منها النباتي كثمارْ العنبْ والتين، ومنها الكـــوني كالهلالْ وقرصْ الشمس والنُجوم، ومنها الحيواني كاليمامْ والدلافينْ والكباش.

– شهدت الفترة الرومانية امتزاج بعل حمون بالوافد ساتورن مع احتفاظه بأغلب خصائصه التي عُـــرف بهـــا كالحماية والإخصابِ، أما رفيقته تانيت فقد امتزجتْ بالإلهة الرُومانية كاليستيس .

– تزامنَ بناء معظمِ الأضرحةِ مع الفترة التي بدأت خلالها الشُعوب النُوميدية تشكل ممالك وطنية، وهي الفترة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الاول ميلادي،كما أنها الفترة التي شهِدت احتِكاك النُوميـــديين بالحضاراتِ المُجاورة لها.

– ظلّت المعتقداتُ البونية بجميع مكوناتِها – أساليب دفن وبناء معابد والهة وقرابين، حاضرة في بلاد النوميـــد حتى وقت طويل بعد زوال قرطاجة، وهي لا تزال موجودة حتّى في وقت الحالي خاصةً في المناطِق النائِية، وهي عادة ما تحْضُر كعنصر زُخرفي في طرزٍ وحُلِي ووشْمِ جدَّاتنا وأمهاتِنا.

– لم ينحصِرْ التأثير البُوني في نوميديا على جانِب المعتقداتِ فقط، بل شمِل عديدَ المجالات الأخـــرى، كاللغـــة والزراعة والصناعة، وحتى مجالات الطِب والسياسة.

رأيتُ أن أضيف الى بحثي هذا بعضَ التوصيات، حتى أساهِمَ بنصيبي في الحِفاظ على تارِيخنا وتُراثنا الوطني القديم، وقد لخصتُ هذه التوصيات في النقاطِ التاليةِ:

* – من الضروري العِناية بالأضرِحة النُوميدية وصيانتها دوريا، كما أنه من الضرُوري تنظـــيم رحــــلاتٍ سياحِية اليها، سوآءًا من السياح الأجانب أو من تلاميذ المدارسِ أو الجمعياتِ الثقافية والتُراثية.

*– ان معرفتنا بالأصولِ الوثنيةِ رُغم الغطاء الإسلامِي لبعض العادات الحالية يحتم علينا تبـــيين حقيقتـــها، خاصة في وسط كبار السن من الشيوخ والعجائز، ولعلَ وضعَ مطوياتٍ خاصة تجمعُ بين صُور الخُمسة والعين الشريرة والهلال وقرون الكبشِ وغيرها، وبين ما يشابِهُهَا في الأنصابِ الجنائزية والنذرية أمرٌ يسهِّل ذلك.

*– يجبُ على المؤسساتِ والهيئاتِ الإدارية التي تتبنى الثقافة وحماية الاثار، أن تزيد مســـتوى التوعيـــة وأن تقوم بالتطبيق الصارم للقوانين المعمول بها في المجال حماية الآثار، فقد لاحضتُ في مدينتي الإهمالِ الكبير لمحطاتِ الرسومِ الصخريةِ، والتعدِّي الصارِخ عليها خاصةً من طرفِ الرعاة والمتنزهين.

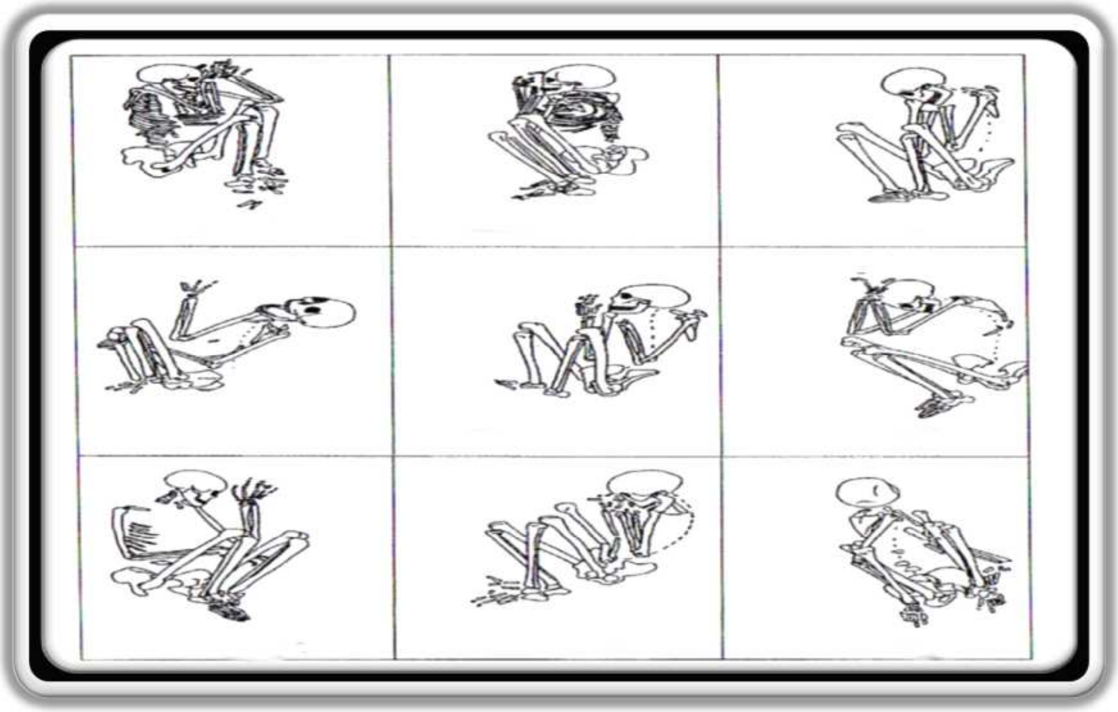
ولعلِّي – بهذا العرض المحدود – قد أكونِ أبرزتُ بعض ملامِحِ الحُضور البوني في المعتقـــداتِ النوميديـــة، ولفتت النظر في جوانب مختلفة من تلك الملامح عسى الدارسين أن يزيدوا الموضوع ثراءا بالبحثِ والتنقيـــب، سواءاً في آثارِ العمران الباقية أو الوثائق المنقُوشة أو المكتُوبة، أو حتى في التُراثِ الشَّعبي لما يضُم مِن معالِمٍ هامة ودقيقةٍ، عن مختلفِ المعتقداتِ القديمَة.

وفي الختام، لا أدَّعي تمكُّني من الوُصولِ إلى نتائج حاسِمةٍ وكامِلةٍ، غير أنني قد فتحت من خلاله باباً آمـــل أن يلج منه باحثون من مختلف التخصصات (تاريخ، آثار، لغات، وأنثروبولوجيا) عسى أن يُفضِـــي تكامُـــل جُهودِهم إلى حقائِق حاسِمة حول هذا الموضُوع.

تم بحمد الله

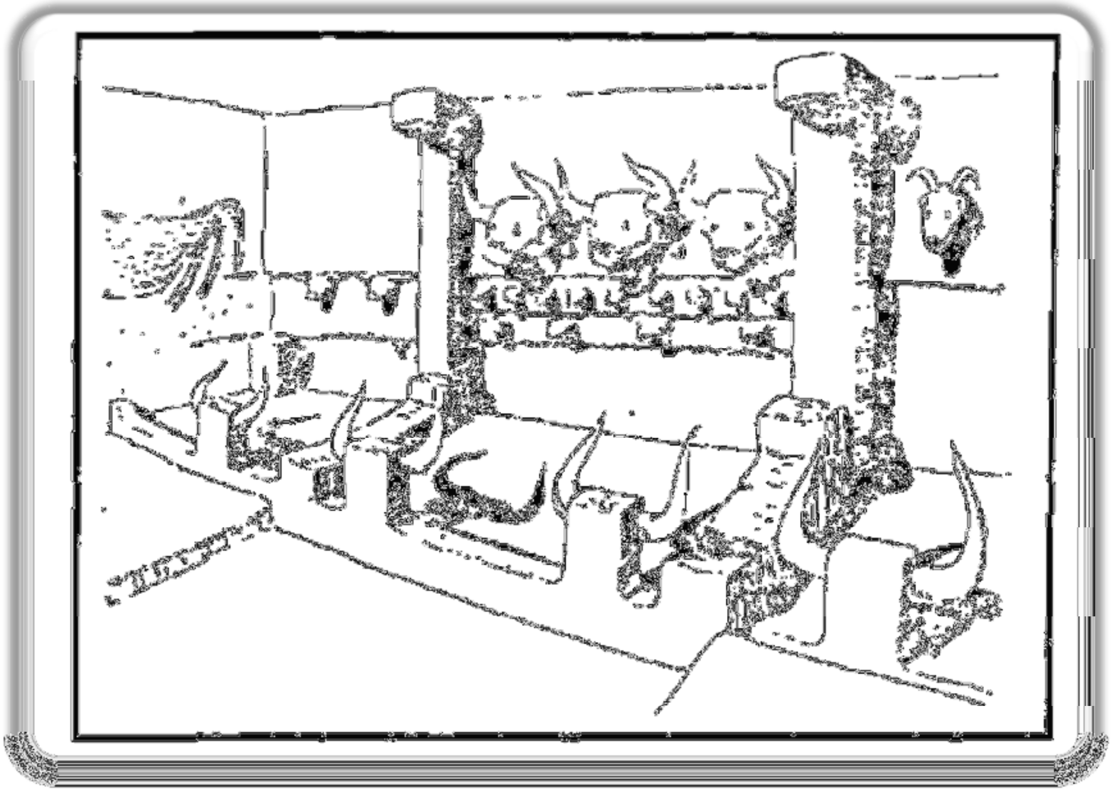
الملاحق

1- الأشــــكال:



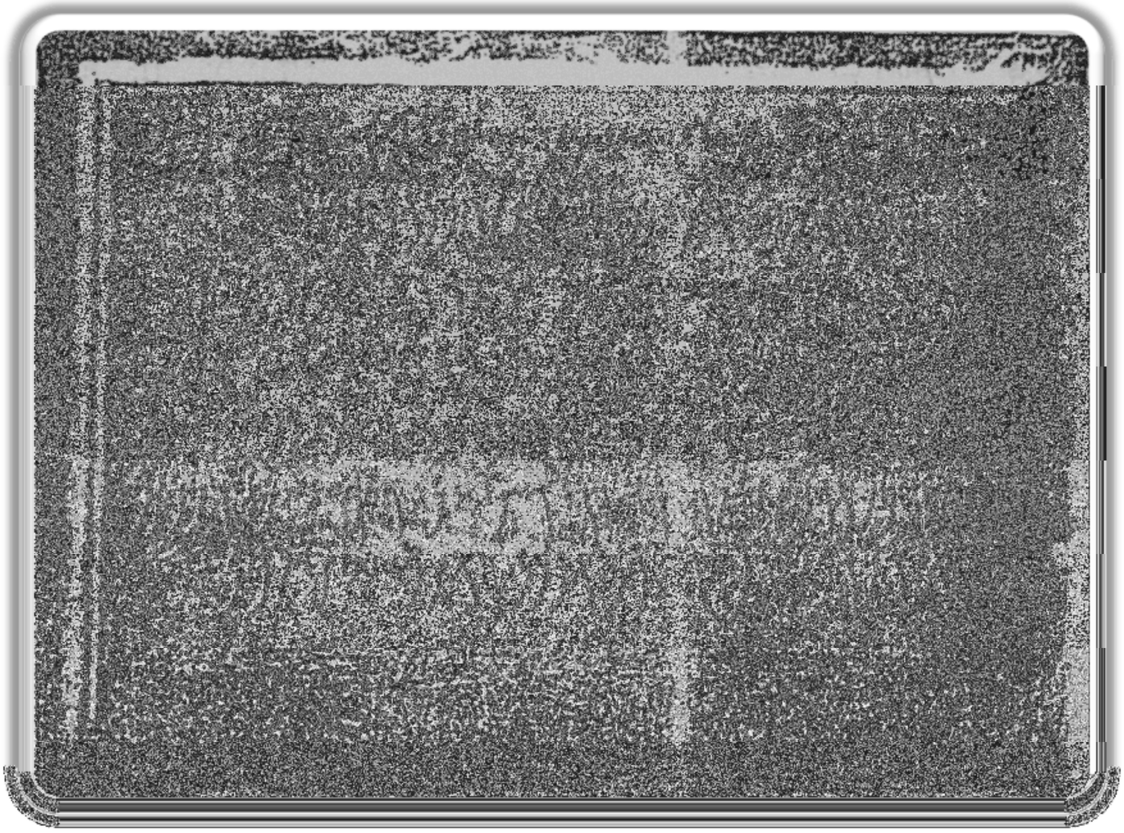
(الشكل3) **نماذج مختلفة لوضعية الدفن عند الإنسان القديم**

عزيز طارق ساحد (2009) المرجع السابق، ص214.



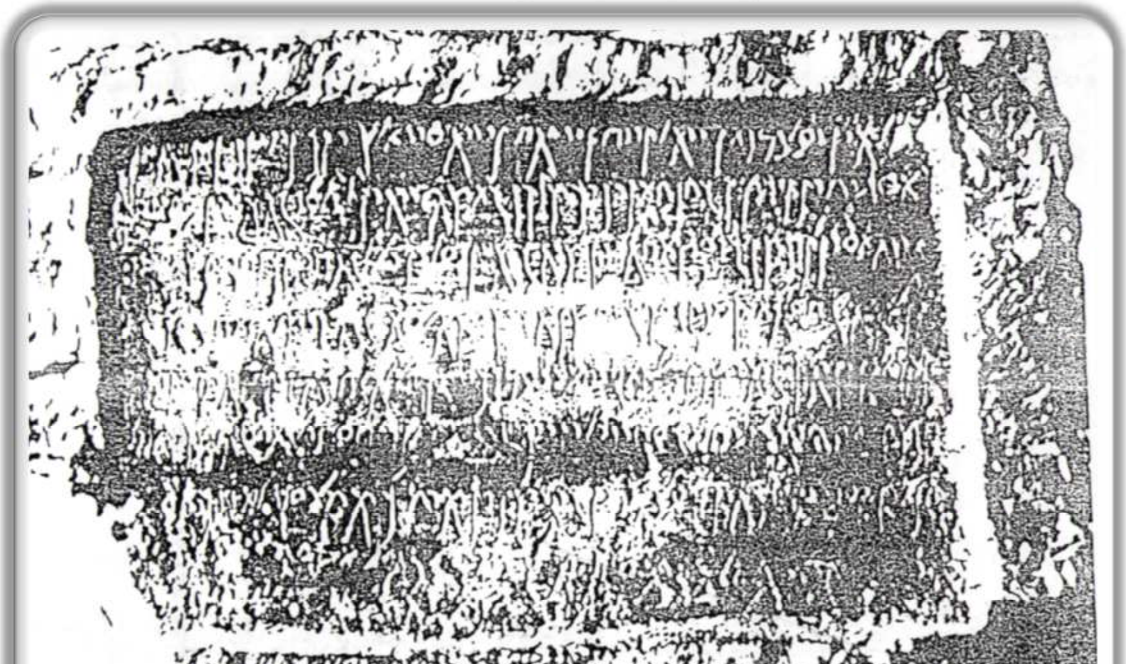
(شكل5) **رصف رؤوس الثيران بشكل يوحي بتقديسها في كهف شتال هيوك بتركيا**

خزعل الماجدي (1997) أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص98.



(الشكل13) **نقش بوني يشير إلي تشييد الأهالي لمعبدين على شرف بعل حمون ورفيقته تانيت**(**القرن**1**ق.م**)

يفصح نادية (2004) المرجع السابق، ص31.



(الشكل14) **نقش بوني يشير إلي تشييد سكان ألثيبيروس معبدا للإله بعل حمون**

Fantar MH(1986) Kerkouane, cité punique de Cap bon (Tunisie), Tunis: t.III, p69.



(الشكل 18)**الجرار التي كانت توضع فيها بقايا الأضاحي**

www.britishmuseum.org/

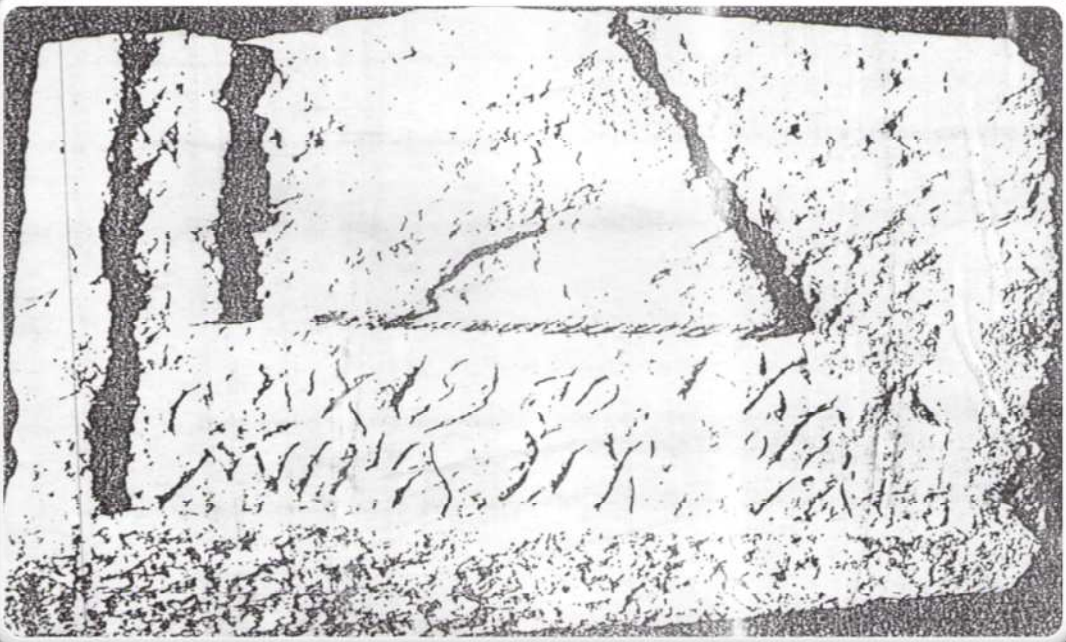


(الشكل19) **نقيشة بونية تشير الي نذر فدم على شرف بعل حامون وتانيت وجه بعل**

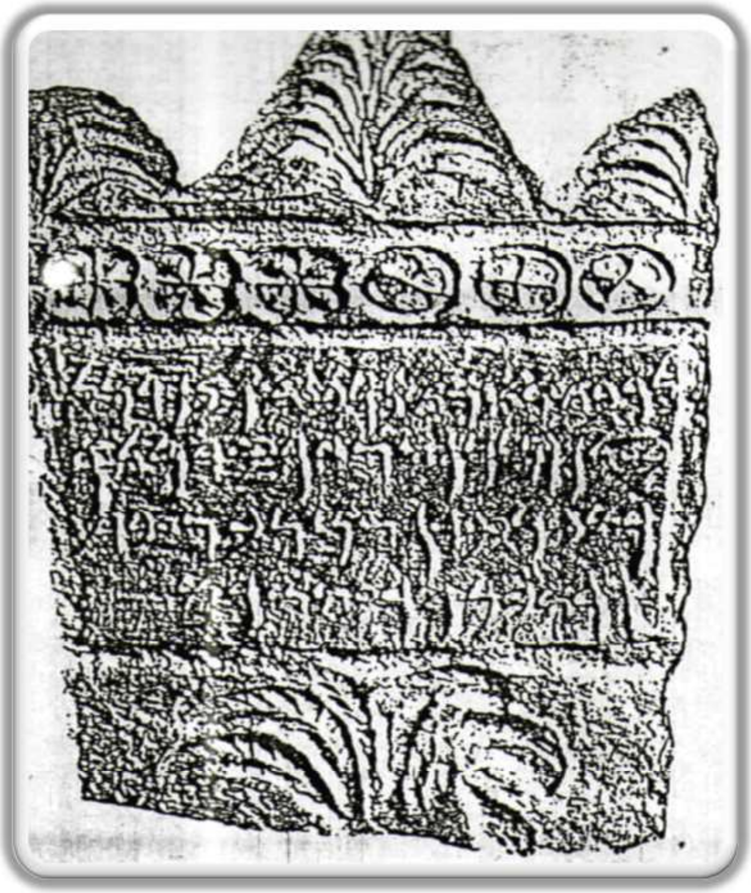
Berthier A & Charlier AR (1955) op.cit, XXI,a.



(الشكل20) **نقش إهدائي لبعل حمون عثر عليه بألثيبيروس(هنشير المدينة)**
Sznycer M (1982) op.cit, Semitica XXXII,pl VIII.



(الشكل21) **نقش إهدائي لبعل حمون عثر عليه ببولاريجيا**
Fantar MH(1990) op.cit, SemiticaXXXVIII,p113, pl XIX.



(الشكل25) **نصب إهدائي بوني على شرف تانيت وجه بعل** (**القرن** 3**ق.م**)
CIS, II, N°3741.



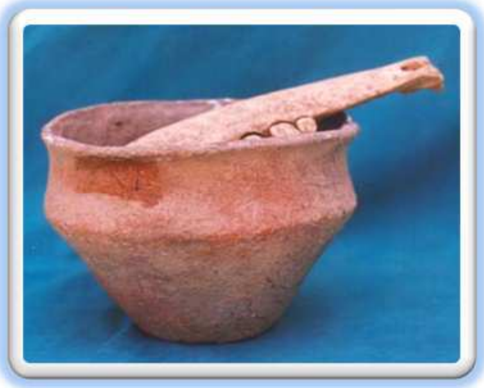
(الشكل26) **نقيشة بونية تتضمن نذرا قدم لتانيت وجه بعل**

CIS, III ,N°3777

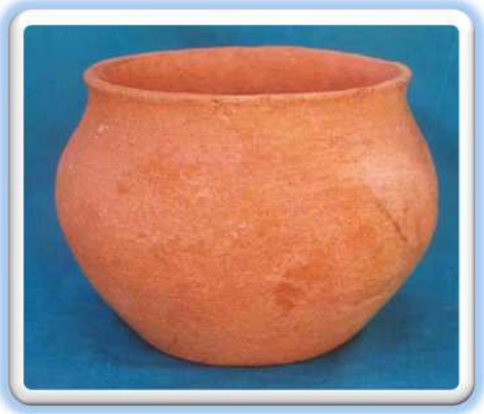
2- الصُـور:



(الصورة4) **مغارات قديمة مقدسة بجبل الشيلية**
عزيز طارق ساحد (2009) المرجع السابق، ص383.



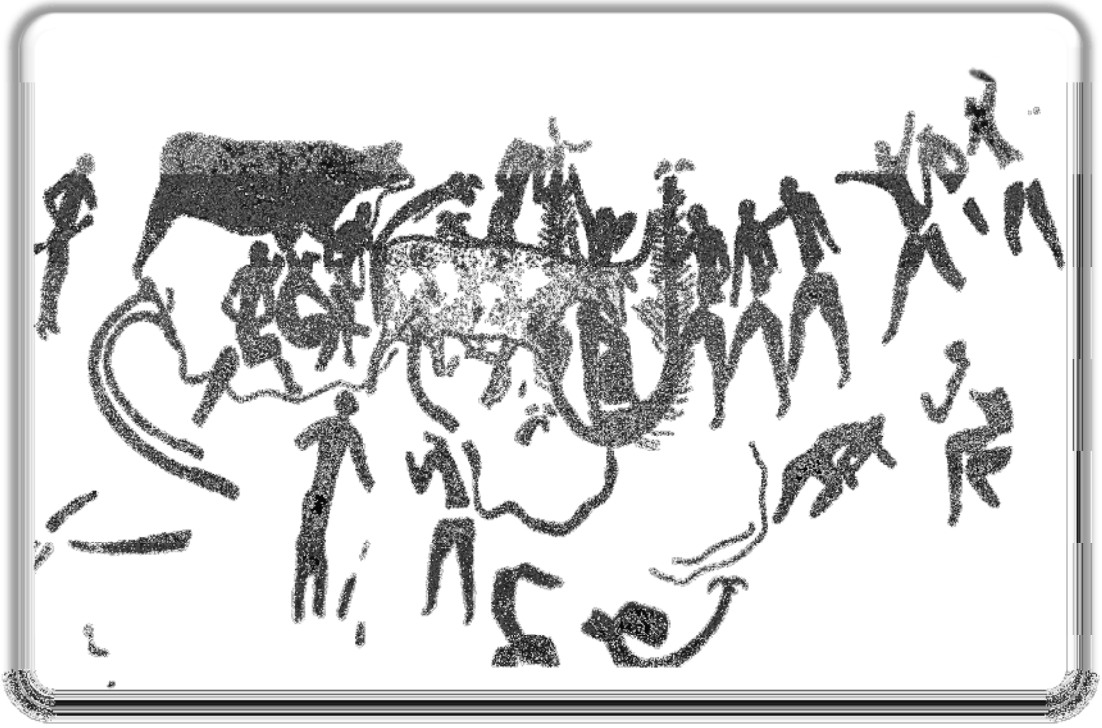






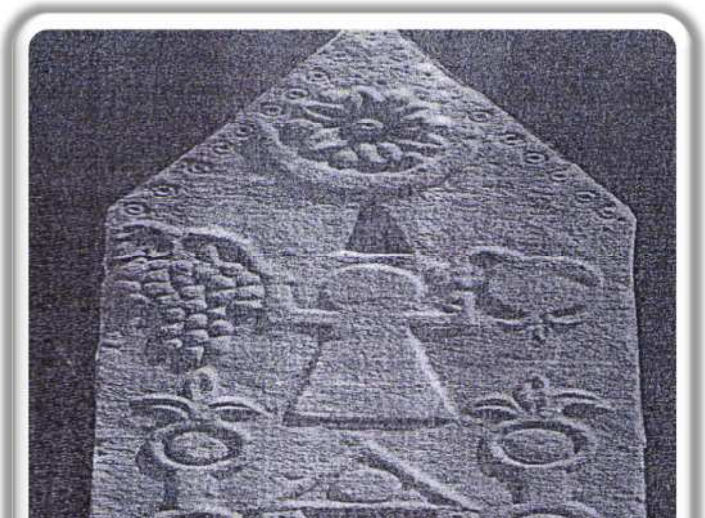
(الصور6) **بعض الأواني الفخارية التي عثر عليها بتديس والركنية**

www.bardomuseum. dz /



(الصورة14) **منظر طقوسي يبين أبقارا مقدسة وهي تمر عبر بوابة بتاسيلي– نآجر.**

Hachid M (1998) op.cit, p349 .



(الصورة25) **نصب تذكاري على شرف الالهين البونيين ،تانيت (أعلى) و بعل حمون (أسفل)**

Tlatli SE (1978) op.cit, p114.



(الصورة28) **تمثال برونزي يصور الاله بعل حمون واقفا**

Encyclopedie univesalis (1985)T2, p 444.



(الصورة31)**منظر عام من داخل التوفاة**

فرانسوا دوكريه (1994) المرجع السابق، ص213.





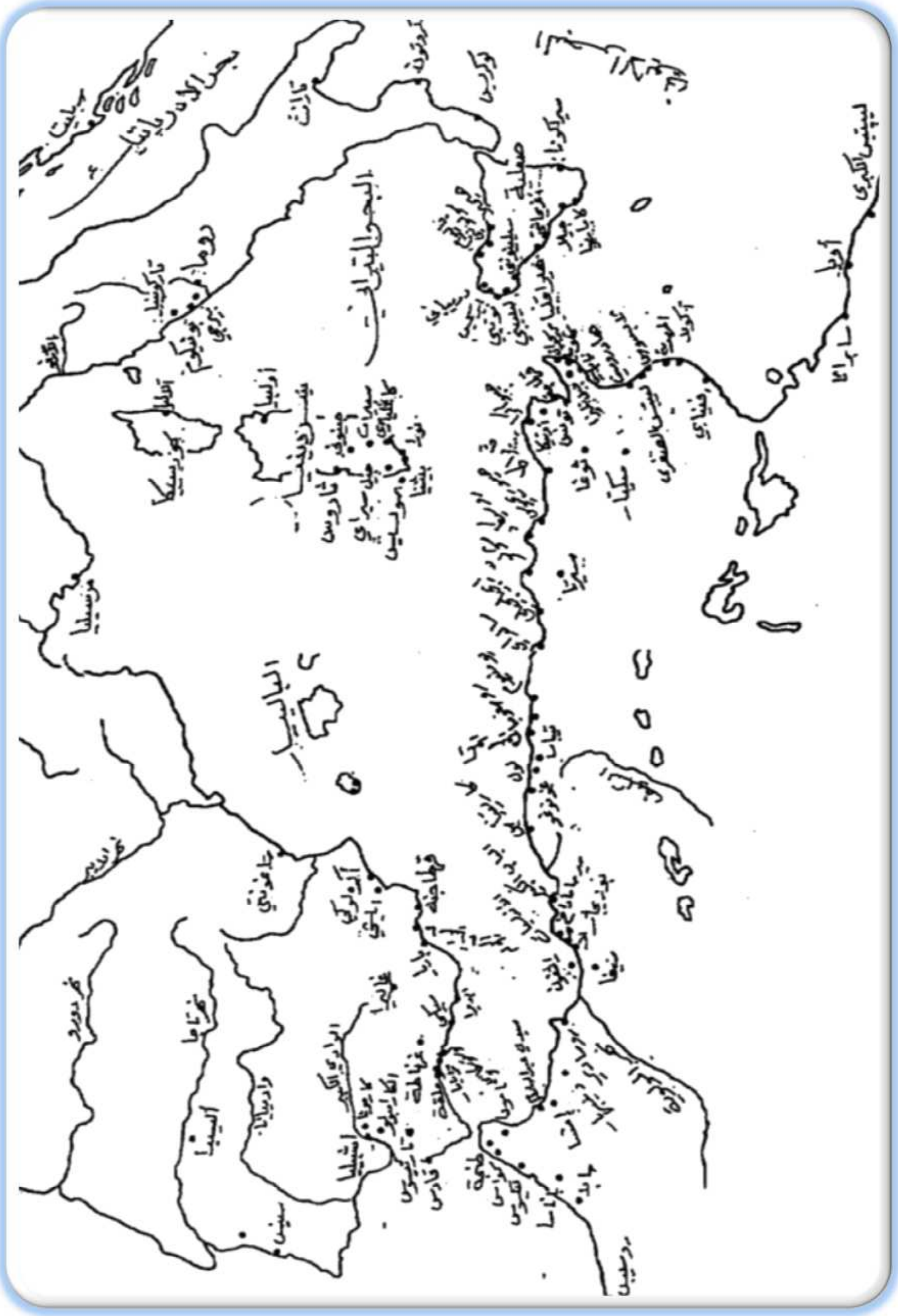
(الصور51.50)**أنصاب من ثاموقادي Thamugadi لساتورن**

Rebecca Newman March 2010 Incidents of travel in Algeria , The Association for Roman Archaeology (ARA), Issue 23, pp 6-7
www.associationromanarchaeology.org.uk

3- الخرائط:

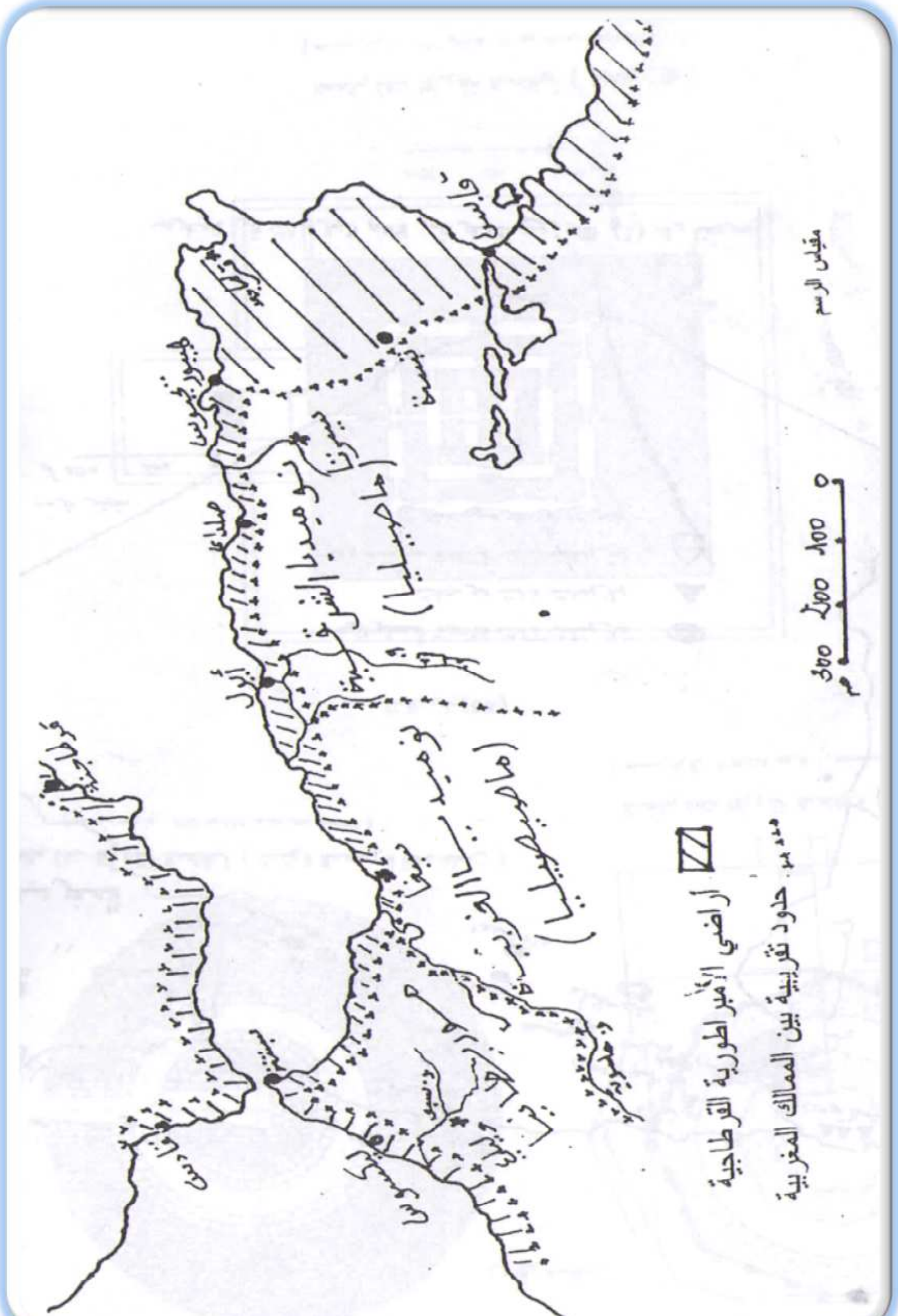
(الخريطة2) **التوسع الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط**

فرانسوا دوكريه (1944) المرجع السابق،ص12.



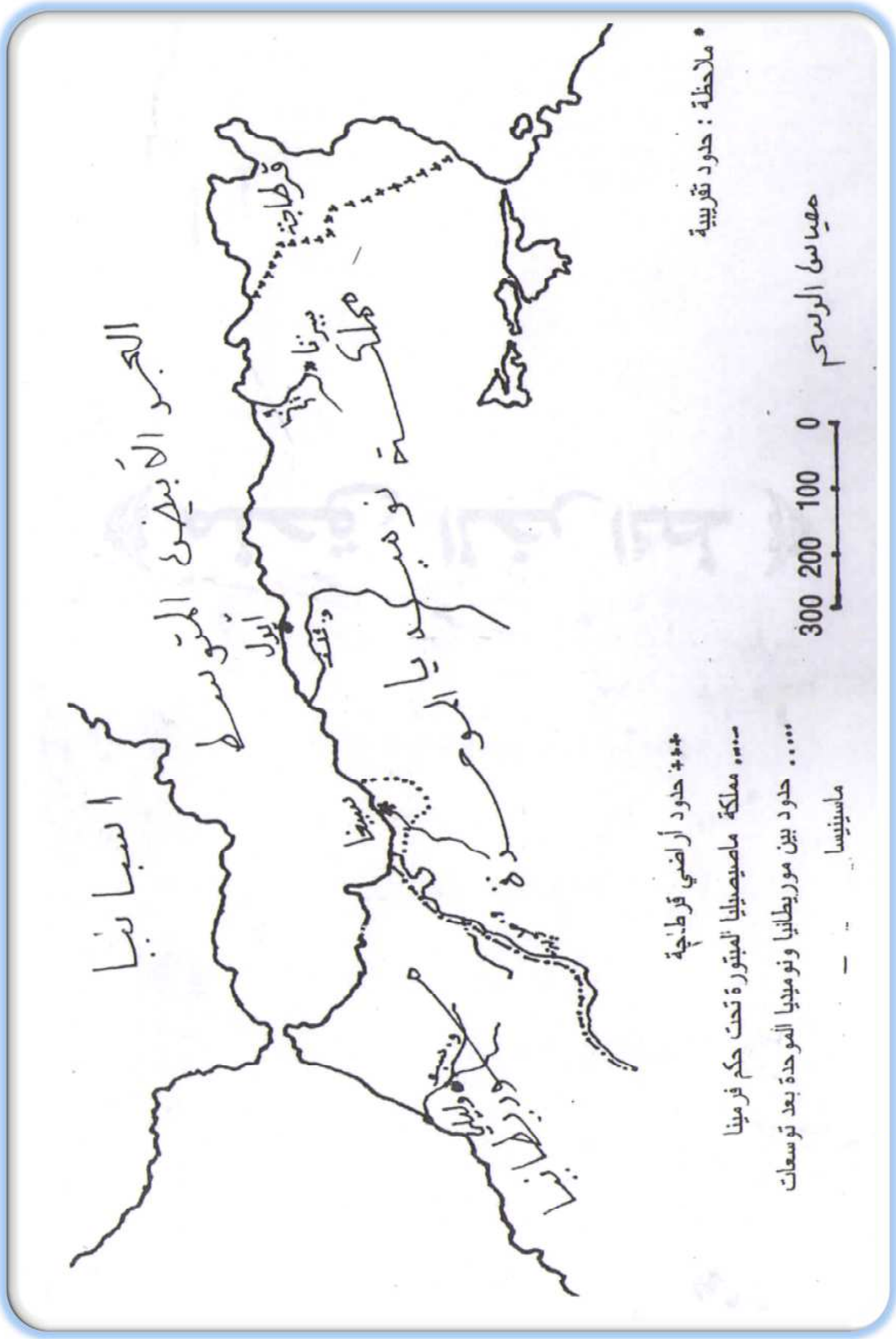
(الخريطة3) **تقسيم نوميـــــــديا**

محمد البشير شنيتي (1984) المرجع السابق، ص163.



(الخريطة4) **نوميـــــــــديا الموحدة**

رابح لحسن (2007) المرجع السابق، ص371.



بيبليوغرافيا البحث

أولا : المصـــــادر

* القرآن الكريم.
*- الكتاب المقدس (العهد القديم)، نسخة الكترونية.

أ- العربية:

- ابن خلدون (1971) العبر وديوان المبتدأ والخبر وأخبار العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ج6
- أبو عبيد الله البكري(1989)المسالك والممالك في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تحقيق محمد سويدي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

ب- الأجنبية:

- Diodore de scille(1916) bibliothèque historique ,trad par Miot AF, paris: Librairie de Hachette.
- Diodore de Sicile (1967) Bibliothèque Historique, trad : Miot A. F, Paris: édit Old Father XV -24.
- Hérodote, Histoires (texte établi et traduit par Ph. E. Legrand), Paris: société d'édition Les belles Lettres, (1945).
- Justin (1873) Histoire Universelle ,trad. par: Perrot, J, & Boitard E, édit Panckoucke, 2vol.
- Plutarque (1977) les vies des hommes illustres, trad Jaques Amyot, édit établi et annoté par Gérard Walter, Gallimard, France :Caton l'ancien, III.
- Polybe (1970) Histoire Romaine, trad par Roussel D, Paris: collection pléiade, III, 33.
- Salluste (1968) la conjuration de Catilina, la guerre de Jugurtha, trad E Richard Paris: Flammarion.
- Strabon (1909) Géographie, trad Tardieu A, édit Hachette et Cie.
- Tite Live (1950) Histoire Romaine, Trad. E. Lassere, éd paris : Librairie Garnier frères.

ثانيا : المراجـــع

I- الكتـــب :

أ- الكتب العربية:

- ابراهيم العيد بشّي (2009) تاسيلي ناجر تاريخ الاستقرار البشري بالمنطقة، الجزائر: منشورات الحبر، ط1، ج3،ج4.
- احمد السليماني واخرون (2007) المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954.
- أحمد صفر (1959) مدينة المغرب العربي في التاريخ، تونس : دار النشر بوسلامة، ج 1.
- أحمد فخري (1955) الحضارة المصرية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية .
- أنيس فريحة (1980) ملاحم وأساطير من رأس الشمرا، بيروت: دار النهار للنشر.
- بازمة مصطفى (1973) تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية ـ ج1.
- خزعل الماجدي (2001) المعتقدات الكنعانية، عمان :، دار الشرق ط1.
- ـــــــــــ (1998) بخور الالهة، دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، ط1.

- ــــــــــــ (1997) أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، الاردن:دارالشرووق.
- خير الله شوقي (1992) قرطاجة العروبة الأولى في المغرب، دار الدراسات العلمية والمركز العلمي،ط1.
- ديب بطرس (1993) لبنان في تاريخه وتراثه، بيروت: طبع مركز الحريري الثقافي.
- رابح لحسن (2007) أضرحة الملوك النوميد والمور دراسة أثرية وتاريخية مقارنة، الجزائر: دار هومة.
- رشيد الناضوري (1976) مدخل في التطور التاريخي والديني، جنوب غربي اسيا وشمال افريقيا، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- الشاذلي ب و طاهر م (1999) قرطاج البونية، تونس: مركز النشر الجامعي.
- عبد الإله الملاح (2001) تاريخ هيرودوت، الإمارات العربية المتحدة: طبع المجمع الثقافي لإمارة أبو ظبي.
- عبد الرحمن الجيلالي (1980) تاريخ الجزائر العام، الجزائر:جـ1، دار الثقافة، ط4.
- عبد مرعي (1993) فيلون الجبيلي، دمشق: دار الأبجدية للنشر.
- عرب معن (1970) صور حاضرة فينيقيا، بيروت: دار المشرق للطباعة والنشر.
- عقون محمد العربي (2008) الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم ،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- غلاب عبد الكريم (2006) قراءات جديدة في تاريخ المغرب الكبير، بيروت: ط1، ج1، دار الغرب الاسلامي.
- فاروق الدّملوجي (2003) تاريخ الأديان (الألوهية وتاريخ الآلهة)، بيروت: الدار الأهلية للنشر والتوزيع.
- فراس السواح (2002) دين الانسان، دمشق: منشورات دار علاء الدين، ط 04 .
- ــــــــــــ (1985) لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دمشق: ط10، دار علاء الدين.
- محمد ابو المحاسن عصفور(1981) المدن الفينيقية، بيروت: دار النهضة العربية.
- محمد البشير شنيتي (1984) التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- محمد الصغير غانم (1992) التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- ــــــــــــ (1998) المملكة النوميدية والحضارة البونية ،الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر، ط1.
- ــــــــــــ (2003) معالم التواجد الفينيقي بالجزائر، عين مليلة :دار الهدى.
- ــــــــــــ (2003) مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم،عين مليلة: دار الهدى للنشر.
- ــــــــــــ (2005) مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، عين مليلة: دار الهُدى.
- ــــــــــــ (2008) سيرتا النوميدية النشأة والتطور، عين مليلة: دار الهدى.
- محمد الهادي حارش (1995) التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الى الفتح الاسلامي ،الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- محمد بوكبوط (2002) الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، صفحات من تاريخ الأمازيغ القديم، الرباط: مركز طارق بن زياد، ط1.
- محمد شفيق (د.ت) لمحة تاريخية عن ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الامازيغيين، الرباط : دار الكلام.
- محمد فنطر (1999) الحرف والصورة في عالم قرطاج، تونس: منشورات البحر الأبيض المتوسط (أليف).
- محمد مصطفى بازمة (1975) ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، بنغازي: قورينا للنشر والتوزيع،ط2.
- محمود الأمين (1969) «الكنعانيون الشرقيون »، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- مصطفى كمال عبد العليم (1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم، ليبيا: المطبعة الاهلية ،ص 24؛التاريخ اليوناني.
- ــــــــــــ (1968) ليبيا في التاريخ، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية.
- مهران بيومي محمد (1990) مصر والشرق الادنى القديم، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية الازراطية
- وهيب أبي فاضل (2004) لبنان في مراحل تاريخه الموجزة، بيروت: مكتبة أنطوان، ط2.

ب- الكتب المترجمة:

- إبراهيمي ك (1982) تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي و رشيد بوربيه، - الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- جان مازيل (1998) تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع ،اللاذقية (سوريا).
- رينيه ديسو (1969) الديانات السورية القديمة، ترجمة موسى الخوري، دمشق: الابجدية للنشر.
- سيغموند فرويد (1997) الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- شارل اندري جوليان (1969) تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة ،تونس: الدار التونسية للنشر، ج1.
- شارل فيريللو (1990) أساطير بابل وكنعان، ترجمة ماجد خير بك، دمشق: مطبعة الكاتب العربي.
- فرانسوا دوكريه (1994) قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- ـــــــــ (1996) قرطاجة أو امبراطورية البحر ،ترجمة عز الدين أحمد عزو ،دمشق :الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- فيليب حتّي (1981) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ،ترجمة جورج حداد، بيروت: دار الثقافة، ج 1
- كاوفاليك ديكوف (2000) الحضارات القديمة، ترجمة تيم واكيم اليازجي، دمشق: منشورات دار علاء الدين، ج2، ط1.
- كونتينو ج (1997) الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسن، القاهرة: الهيئة العربية للكتاب.
- مادلين هورس ميادان (1981) تاريخ قرطاج، ترجمة ابراهيم بالش، بيروت: ط 1، منشورات عويدات.
- مارسيل ديتيان (2008) اختلاق الميثولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مجموعة من المؤلفين (1994) دور سوريا في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم ،تر سعد صائب، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر،ط1.
- موسكاتي سباتينو (1986) الحضارات السامية القديمة ،ترجمة يعقوب بكر، بيروت: دار الرّقي.
- ـــــــــ (1988) الحضارة الفينيقية، ترجمة نهاد خياط دمشق: العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- يولي بركوفيتش تسولي (1988) الحضارة الفينيقية في اسبانيا ، طرابلس الشرق: المطبعة العربية، ط1.

ت- الكتب الأجنبية:

- Adel Ismail (1972) Lebanon History of a people ,trad shereen Khairallah , Beirut: édit Dar Al-Makchouf.
- Albertini E (1988) les Phéniciens, édit Bompiani, Milan.
- Ben Abou M (1975) La résistance Africaine a la romanisation, paris: édit Maspero F.
- Berbugger M (1867) Tombeau de la chrétienne, Mausolée des Rois Mauritaniens, Alger: édit, coll, Bastide librairie.
- Berthier A & Charlier AR (1955) le sanctuaire punique d’El-Hofra à Constantine, paris: 2Vol, édit A.M.G.

- Bordreuil P (1987) Tanit du Liban (nouveaux documents religieux phéniciens III*), S.Ph, V, édit Leuveu.
- Bosquet GH (1974) les Berbères, France: presse universitaires, édit que sais-je ?.
- Briquel F Ch. & Gubel E (1998) Les Phéniciens aux origines du Liban, édit Gallimard.
- Brisson G.P (1973) Carthage ou Rome, éd Fayard, paris.
- Camps G (1961) Massinissa ou les débuts de l'histoire, Alger: imprimerie dfficielle.
- ———— (1980)Berbères aux marges de L'histoire, Ed. Des Hespérides, paris.
- ————(1961) Aux origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'Histoire, Alger: Imprimerie officielle.
- Charéne CH (2002) Les Relations commerciales de la Numidies et de la Mauritanie Césarienne avec Rome: notes préliminaire , L'Africa RomanaXV, Roma .
- Chéhab M (1975) L'expansion phénicienne(Carthage), Paris: édit Gallimard.
- Cintas P (1970) Manuel d'archéologie punique, paris, t1.
- ———— (1948) fouille punique à Tipaza, R.AS.N4.
- Contenau G (G) (1960) Civilisation ancienne du Proche Orient, Paris, Hachette.
- ———— (1949) la civilisation Phénicienne, paris: édit Payot
- Décret F & Fantar MH(1981) L'Afrique du nord dans L'antiquité, Paris : Payot.
- ———— (1977) Carthage ou l'empire de la Mer, éd. du sud.
- Desange J (1978) Recherches sur l'activité des Méditerranées aux confins de l'Afrique, Diffusion de Boccard
- Dussaud R (1937) les découvertes de Ras-Shamra (Ugarit et l'ancien testament),paris
- ———— (1949) Les Religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens, paris: edit°2 Presse universitaires de France.
- Fantar MH (1997) les phéniciens en Méditerrané, Tunis :édit Alif.
- ———— (1973) visite de Carthage, Tunisie: Maison tunisienne d'Edition.
- Gautier EF (1952) le passé de l'Afrique du nord, siècles obscures, édit Payot, paris.
- Gillette & Louis Lefebvre (1967) Corpus et gravures des peintures rupestres de la région de Constantine, éd. Arts et Métiers Graphiques, paris.
- Gras M & Rouillard R & et Texidor J (1989) L'univers phénicien, paris: édit Arthaud
- Gsell S & Marçais G (1927) Histoire de l'Algérie, paris
- ———— (1920) H.A.A.N, T4, paris: Libraire Hachette.
- ———— (1923) H.A.A.N, t2.
- ———— (1927) H.A.A.N T2.
- ———— (1927) H.A.A.N T5.
- ———— (1916) Textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique du nord, Hérodote, paris.
- La payer G & Pellegrin A (1946) Carthage punique (314-146av.J.C), paris: Payot.
- Lancel S (2003) l'Algerie antique de Massinissa à saint augustin, paris: édit Menger
- Leglay M (1961) les religions orientales dans l'Afrique ancienne d'après le collections du musée Stéphane Gsell, RM.S.B, 3éme trimestre N° 24

- Lipinski E (1995) Dieux et Déesse de l’univers phénicien et punique, Paris: édit Peeters Publisher.
- ———— (2006) On the skirts of Canaan in the Iron age, historical and topographical researches, USA, library of congress.
- Mahjuoubi S (s.d) Histoire de la Tunisie ,Maison Tunisienne d’édition
- Marcy MG (1936) Les inscriptions libyques de l’Afrique du nord, paris:.
- Merlin A (1910) Le sanctuaire de Baal et de Tanit près de Siegu, paris: édit Ernest Leroux.
- Moscati S (1988) Les phéniciens, Milan: édit Bombiani.
- ———— (1996) L’empire de Carthage, Tunis: La méditerranée.
- Munk R (s.d) Palestine description géographique historique et archéologique, paris: librairies de l’institut de France.
- Picard CH.G (1959) La civilisation de l’Afrique romaine, paris .
- Picard G (1956) Le Monde de Carthage, paris: édit Corréa Bushet
- Picard C H & Colette (1970) Vie et mort de Carthage, Paris :Hachette.
- Piganiol A(1957) la religion et les mouvements sociaux dans le Maghreb antique Cahier d’histoire Mondiales, Vol III
- Tlatli SE (1978) La Carthage punique études urbaine, la ville, ses fonctions, son
- Toutain J (1920) Les cultes païens dans l’empire romain ,paris: édit bibliothèque de l’école des hautes études sciences religieuses (25éme volume)
- Warmington BH(1959) Histoire et civilisation de Carthage814-146Av.J.C, trad. Guillemin S.M, paris: edit Payot.
- Slim M & autres (s.d) Histoire de la Tunisie, des origines à la conquête romaine, Société Tunisienne de la diffusion, t.1.

II- المجلات والجرائد:

أ- العربية:

- خالدية مضوي (2011)" أضواء على العلاقات الجزائرية الأرو متوسطية خلال النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد"، دورية كان التاريخية، عدد13.
- رضوان ع، « أهم موقع أثري في الجزائر يغتاله الاهمال» جريدة الخبر،ع4475(16-08-2005)، السنة 14.
- سجية .ب، «معالم أثرية تتعرض للنهب والتخريب » جريدة الخبر، ع 4201 (26-09-2004)، السنة 13.
- عبد الرحمان بن مرزوق (1992) « الضريح الملكي النوميدي إمدراسن »، باتنة : مجلة التراث، العدد الخامس.
- عبدالحفيظ فضيل الميار (1999) « ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية »، مجلة آثار العرب العدد21.
- عزيز طارق ساحد (2010) "فترة فجر التاريخ في الجزائر حالة تساؤل"، مجلة الاثار.
- محمد الهادي حارش (1987) « حول أصول عبادة بعل حمون في قرطاجة » ، جامعة الجزائر: مجلة التاريخ،العدد3.
- ———— (2002) « قراءة تحليلية لبعض مقومات الوحدة المغاربية في القديم » ، حولية المؤرخ، عدد01.

- ــــــــــــــ(1992) «حملة حنبعل على ايطاليا » جامعة الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد السادس.
- ــــــــــــ (1988) « أصول عبادة بعل أمون في المغرب القديم »، الجزائر: مجلة التاريخ،عدد 24 .
- محمد بن عبد المومن (2010) « قمح بلاد المغرب القديم بين المادة الغذائية والسياسية »، دورية كان التاريخية، ع12.
- محمد حسين فنطر (2008) « التربية والثقافة في قرطاجة » ،تونس: نشر جريدة الحرية.
- منصور خديجة « ماسينيسا ودول المدن الإغريقية من خلال البقايا المادية التي وجدت بالخروب وضواحيها »، حوليات المتحف الوطني للأثار، العدد11.

ب- الأجنبية

- Aïbeche Y(2003) « Le mausolée royal de la Soumâa: L’Algérie au temps des royaumes numide. Djazaïr », paris :l’ année de l’Algérie en France.
- Ballu A (1929) « le Kharoub dans Rapport sur les travaux de fouilles et de consolidation »,dans B.C.T.H.
- Baradez J (1957) « survivance du culte de Baal et Tanit au 1ere siècle de 1ere chrétienne », Libyca Arch. Epig, TV, 2éme semestre
- Benseddik N(1993) « religion du Maghreb, les cultes Romaines », R.A, N°4.
- Bertrandy F (2003) « Approche géographique et historique de Numidie antique », Revue de l’année d’Algérie en France.
- Bertrandy F et Sznycer M (1987) « Les stèles puniques de Constantine», paris: notes et documents des musées de France , N°14.
- Bertrandy (1993) « Les représentations du signe de Tanit sur les stèles votives de Constantine », Roma : dans R.S.F, Vol. XXI, 1.
- Blas de Roblès JM & Claude S (2003) « Sites et Monuments antiques de l’Algérie », paris: édit Sécum; édisud.
- Bondi SF (1971) « Libifenici nel ordinamento Cartaginese », Rendiconti dell Accademia Nazionale del Lincei, 8em ser.
- Bonnel M (1916) « monument gréco-punique de la Souma », dans : R.C, T49.
- Camps G (1979) « Les Numides et la civilisation punique », paris: Ant Afr .XIV.
- ———— (1967) « origines du Royaume Massyles »,dans: RH,T3.
- ———— (1973) « Nouvelle observation sur l’âge et l’architecture du Medacen, Mausolée royal de numide »,dans C.R.A.I.
- ———— (1994) « Mausolée princiers du Numidie et Mauritanie » dans R. Arch
- Cécile C (2003) « deux Mausolée royaux de Numidie », paris: l’Algérie au temps des royaumes numides, V éme Siècle, AV J.C, 1ére Siècle J.C, édit arts.
- Chabot J.B (1916) « inscriptions puniques de Dougga », paris: BAC.
- Charbonneau (1862) « le Mausolée se Khruob » dans annuaire de province de Constantine.
- Charbot A(1941) « note sur une inscription de Tirekbine », paris: BAC.
- Cintas P (1947) « Le sanctuaire punique de Sousse », Alger: R.Afr, N°91

- ———— (1951) « deux campagnes de fouilles à Utique », paris: Karthago II.
- Dahmani S (2003) « le royaume de Massinissa, un projet contrarie », L'Algérie au temps des royaumes numides, Vé siècle av J.C-1ER siècle après j.c.
- Dellatre RP (1901) « fouilles exécutées dans la nécropole punique à Carthage », paris : CRAI, t II.
- Desanges J (1980) « permanence d'une structure indigène en marge de l'administration romaine :le Numidie traditionnelle » ,Paris: Ant Afr. XIV
- Dussaud R (1947) «Astarté, Pontos, Baal», paris: CRAI
- Fabrice Léomy (1994) « La Phénicie : Puissance maritime et commerciale », paris: revue Les grandes batailles de l'histoire, N°29
- Fantar MH (1986) « nouvelles stèles à épigraphes néopuniques de Mididi » Semitica, N°XXXVI.
- ———— (1990) « Survivance de la civilisation punique en Afrique du Nord », A.R, Vol.7.
- ———— (1973) visite de Carthage, Tunisie: Maison tunisienne d'Edition.
- ———— (1990) « Survivance de la civilisation punique en Afrique du Nord », A.R, Vol.7.
- ———— (1990) « une inscription punique de Bulla-régia », Semitica, N° XXXVIII.
- Ferchiou N (1987) « Le paysage funéreraire pré-romain dans deux régions céréalières de Tunisie antique », Ant.Afr,23.
- Fevrier F& et Berthier A (1980) « Les stèles néo puniques de Tiddis », Alger: dans B.A.A, t. VI.
- Fevrier JG (1955) « un sacrifice d'enfant chez les Numides ».
- ———— (1960) « Essai de reconstitution du sacrifice Molokh », paris: J.A, N°248.
- krandel A (1990) « Les stèles de Thibaris et de ses environs »,Tunis: Reppal, l'institut national d'archéologie et d'Art, V édit.
- Leglay M (1954) « Saturne et les Dieux indigènes de l'Afrique Romaine », Alger: Actes du 79eme congres Nationales des sciences savantes archéologiques.
- Picard G F (1956) « Carthage et l'archéologie contemporaine », Revue de paris.
- Picard G-C (1957) « Civitas noctaritama », paris: Karthago, N°VIII.
- Poinssit L & Lantier (1923) « Un sanctuaire de Tanit à Carthage », R. T, paris
- Poinssot (1958) « les ruines de Dougga», Tunis: dans Institut National d'archéologie et d'art.
- Rakob F (1979) « Nomadische Kœnigs Architektur in Nord Afrika » , Bonn : dans Die numider. rayonnement paris :éd librairie d'Amérique et dorient.
- Rebecca Newman (2010) « Incidents of travel in Algeria », dans A Roman Archaeology (ARA), Issue 23.
- Sznycer M (1982) « une inscription punique d'Althiburos (Henchir Medeina) », Paris : Semitica N°XXXII.
- Troussel M(1948) « le tresor Monitaire de Tiddis », R.S.A.C, Vol, LXVI.

- Vassel E (1910) « Les deux inscriptions puniques de Tanesmat », Tunis : R.T, N°73.
- ———— (1919) « études puniques, les animaux des stèles de Carthage; le bélier », Tunis: R.T, N°131.
- Vuillement G (1964) « Fouille du Monument de Beni-Renan en Oranie » dans C.R.A.I.
- ———— (1955) « le nécropole punique du phare dans l'ile de Rechgoune », Libyca Arc. Epig, TIII, 1er trim.

III- الأبحاث والدراسات الأكاديمية:

أ- العربية:

- الامين علي أمين « تانيت الفينيقية »، مصر: جامعة الزقازيق، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، أبحاث المؤتمر الدولي الأول لدراسات الشرق الأدنى القديم،9-11-2010.
- جيان ديزانج & جون أفريك (1998) « البربر الأصليون » ـ تاريخ إفريقيا العام - تورينو (إيطاليا): اليونسكو. ج 2.
- سعد بن فايز(2002) «الجذور التاريخية للهجرات العربية الى المغرب»، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول تونس 2-4-جوان 2002م. الرياض: طبع مؤسسة التميمي للبحث العلمي.
- سُليمان بن عبد الرحمن الذُبيب (2004)« الأوجارتيون والفينيقيون»، مدخل تاريخي، الرياض: إصدارات الجمعية التاريخية السُعودية،الاصدار17.
- عقون محمد العربي (2004) « من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج: ثورة الجند المأجور » ، جامعة قسنطينة : مجلة العلوم الانسانية ،ع21.
- محمد فنطر (1973) الحضارة البونيقية في الوطن القبلي كركوان، المؤتمر السادس للأثار العربية، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة.
-

ب- الأجنبية:

- Camps G (1995) « Modèle hellénistique ou modèle punique? » Les destinées culturelles de la Numidie. paris :Actes du IIIe Congrès Intern. des études Phéniciennes et Puniques (Tunis 1991).
- Moscati S (1976) « L'expansion phénicienne-punique dans la Méditerrané occidentale », Alger : actes du II congres internationale d'études des cultes de la Méditerrané occidentale.
- Trousset M (1957) « Le dieu Ammon et la déesse Africa » Alger : Actes du 79éme Congres Nationale des Sociétés savantes.
- Xella P(1991) « Baal-Hammon :Recherche sur l'identité et l'histoire d'un dieu phénico-punique », Roma: édit Consiglio Nationale delle ricerche.

IV- الموسوعات والقواميس:

أ- العربية:

- ابن منظور(1988) لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت: دار لسان العرب، و دار الجيل، المجلد 11.
- بيار بونت & ميشال ايزار(2006) معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف مصباح الصمد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- حسن نعمة (1994) موسوعة ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة، معجم أهم المعبودات القديمة، بيروت: دار الفكر اللبناني.
- نائل حنون (2001) المعجم المسماري: معجم اللغات الاكادية والسومرية والعربية، بغداد : بيت الحكمة،ط1،ج1.
- هنري عبودي (1991) معجم الحضارات السامية، طرابلس: جروس برس،ط2.

ب- الأجنبية:

V - الرسائل الجامعية:

أ- العربية:

- بومعقل الحاج أحمد مولاي (2009) مظاهر من التأثير القرطاجي في نوميديا،الزراعة،الديانة،واللغة من القرن الثالث الى 146ق.م، جامعة الجزائر: مذكرة ماجستير، معهد التاريخ.
- عمروس فريدة (1999) المباني والطقوس والشعائر الجنائزية للفترة الليبية البونية، جامعة الجزائر: مذكرة ماجستير ، معهد الاثار.
- فاطمة الزهراء عزوز (2006) الروابط الفكرية الفينيقية – العبرانية المعتقدات الدينية الآداب الفنون، جامعة الجزائر: مذكرة ماجستير، قسم التاريخ.
- محمد الهادي حارش (1985) التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول203-46 ق.م، جامعة الجزائر: رسالة ماجستير، معهد التاريخ.
- يفصح نادية (2004) الهة الخصب البونية النوميدية، جامعة الجزائر: رسالة ماجستير، معهد التاريخ.
- يوغرطة حدادو(2006) أهم مشاهد الحيوانات الطبيعية الكبرى في محطات النقوش الصخرية للأطلس الصحراوي وعلاقتها بالإنسان من الناحية الاجتماعية والعقائدية" رسالة ماجستير، معهد التاريخ.

ب-الأجنبية:

- Nicolas Carayon (2008) Les Ports Phéniciens Et Puniques, Géomorphologie Et Infrastructures, Thèse Doctorat, Université Strasbourg II.
- Ouiza Ait Amara (s.d) Recherche sur les Numides et les maures face à la guerre, depuis les guerres puniques jusqu'à l'époque de Juba 1er, thèse pour le doctorat, Université Jean Moulin Lyon3.

VI - المواقع الإلكترونية:

- www.bardomuseum. dz /
- www.clio.fr.
- www.phenicien.com/articles.
- www.rasshamra.ougarit.mom.fr
- www.twalt.com.

الفهـــارس

أولا: - فهرس الأعلام :

رابعا: - فهرس المواقع

ثانيا: - فهرس الآلهة:

ثالثا: - القبائل والشعوب:

خامسا: - فهرس الخرائط و الصور والأشكال:

قائمة الخرائط

قائمة الصــور

قائمة الاشكال

الفهرس

ثانيا - تقديس مظاهر الطبيعة و الحيوانات

دور مختلف العلاقات القرطاجـــــية النوميدية في التأثير الديني

أولا : خُلاصة المعتقدات القرطاجية

ثانيا: دور العلاقات القرطاجية النوميدية في التأثير الديني

الآلهة والطقوس الدينيـــة والجنائزيـــة البونية فـــــــي نوميديا

أولا: المعتقدات الدينية القرطاجية في نوميديا